رسول الله وخاتم النبيين

دين ودولة

القسم الأول

علم السيرة النبوية
العالم والمصطفى والوحي



أ. د عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

أستاذ السيرة النبوية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

رابطة العالم الإسلامي

الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته

كرسي المهندس عبد المحسن الدريس للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة

رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

دين ودولة

تأليف

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقاً)

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقًا)

ح
عبد العزيز بن إبراهيم العُمري
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم.
رسول الله وخاتم النبيين/عبد العزيز إبراهيم العُمري –
الرياض، ١٤٣٢هـ
٥ مج
ردمك:٩- ٧٥٦٦- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨ (مجموعة)
٦- ٧٥٧٦- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨ (ج١)
١- السيرة النبوية أ. العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٣٢/٥١٦١

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٥١٦١ ردمك:٩- ٧٥٦٦- ٠٠- ٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ/٢٠١١م

حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمؤلف

ص. ب: ١٠٠٤٣٧ الرياض: ١١٦٣٥

هاتف: ٢٧٤٦٦٧٧ ، فاكس:٢٧٥٩٠٢٠

E-mail:azizomary@hotmail.com

يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ(فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون تغيير بإذن المؤلف (دون مقابل).

رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَ

دين ودولة

القسم الأول

علم السيرة النبوية

العالم والمصطفى والوحي

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب]

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن
قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فأعترف بأن المؤلفات في السيرة النبوية كثيرة، والجهود عظيمة، وما صدر منها في أزمان مختلفة جل أن يحصى، وفضلها كبير، وقد غُطيت السيرة إجمالاً دروساً وأدباً وعلماً، شارك في ذلك جميع من كتب وألف فيها، حيث جرى تحبيبها إلى الناس وعرضها بأساليب مختلفة ولغات متعددة ومستويات شتى.

ومع اعترافي وشكري ودعائي لكل هؤلاء السابقين لي - في مجال السيرة- فقد أردت أن أنضم إلى صفوفهم، لعلي أجد لي فيها موضع قدم كمن يقف خلف إمامه في الصلاة (إمام المرسلين ﷺ).

ورأيت أن الكتابة في سيرة المصطفى ﷺ تحقق سعادة آمل منها أن أكون ضمن تلك الصفوف الطويلة خلف المصطفى ﷺ، لعلي أنال بها شفاعته وأحظى بلقائه وإني لأرجو من الله ذلك.

ومما يلفت النظر عند مطالعة السيرة النبوية أو الكتابة فيها

أنها تؤدي إلى محبته ﷺ، في كل أحواله وأعماله حتى في شكله الظاهر، فأنت حينما تقرأ أوصافه وهيئته ﷺ تشعر بالحب يتضاعف في قلبك، وبالروح الإيمانية تزداد قوة ويقيناً، وتجد سيرته قريبة من الإنسان سهلة التناول والتطبيق يستطيع أن يقتدي بها كل الناس، فهي ليست خاصة بفئة معينة أو قوم دون آخرين أو طبقة محددة من طبقات المجتمع.

واني لأعترف وأعلن أن أهم ما دفعني للكتابة في السيرة هو محبة الرسول ﷺ والتقرب إلى الله بذلك، وهذا شرف افتخر به وأذكره وأريده وأردده، وأطمع من ذلك في محبة الله ومحبة من رسوله ﷺحين أرد حوضه - بإذن الله ورحمته- .

ولا أزعم أني عالم أو أني آتي بجديد، لكني أطمع في أن أفيد من يقرأ في السيرة، وقد حاولت جهدي أن أسلك منهجاً معيناً في هذا الكتاب واضعاً أمام عيني أن أخدم القارئ لسيرة النبي ﷺ من عامة المسلمين، بالحقائق دون زيادة.

والكتابة في السيرة ليست صعبة عليّ بفضل الله، وقد قمت ولله الحمد بتدريسها ما يزيد على الخمسة وعشرين عاماً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وفي غيرها من الجامعات والمراكز الإسلامية في شتى أنحاء العالم باللغة العربية والانجليزية، وأزعم أن لدي اطّلاعاً على مصادرها

ومناهج الكتابة فيها، وما يرتبط بذلك من علوم، وقد أجريت عدداً من الأبحاث والدراسات حولها وألممت بمصادرها، ولذلك فإن هذا الأمر ولله الحمد ميسراً لي بفضل الله ومنه وكرمه.

وقد اخترت منهجاً لهذا الكتاب يقوم على الاستفادة من مصادر السنة في الروايات المرتبطة بالسيرة وتقديمها على غيرها، وخصوصاً ما يرتبط بأحكام شرعية، ويأتي في مقدمة ذلك صحيح البخاري، بكتبه وأبوابه المتفرقة وعناوينها المميزة، وغيره من مصادر الحديث، كما استفدت من الكتب المتخصصة في السيرة وتفاسيرها، والمصادر التاريخية المختلفة وغيرها، وبعض الكتب الحديثة المتخصصة، كما أنني استفدت كثيراً من المراجع والأبحاث الحديثة في مجال السيرة النبوية، مما يصعب حصره، وأشرت إليه بالتفصيل في مواضعه في هوامش الكتاب وفي قائمة المصادر، التي قاربت الأربعمائة مابين مصدر ومرجع.

وقد حاولت صياغة الأحداث بأسلوبي الخاص، ممزوجاً بالشواهد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي أوردت نصوصها عندما رأيت مناسبة لذلك، وحاولت الدمج بين ذكر الحدث وفقهه والاستفادة من دروسه في حياة الناس عامتهم

وخاصـتهم، وأبـرزت الجوانـب الحضـارية العالميـة والتنظـيم والإدارة في السـيرة النبويـة، وترجمـت لأكثـر النـاس معايشـة للرسول ﷺ، وبعض ما يرتبط بتلك المعايشة من أحداث، بانياً ذلك على ما يصح من الروايات، وقد جعلت الكتاب شاملاً لما قبل ميلاد الرسول ﷺ، وما يتعلق بـأحوال العـالم المختلفـة قبـل الإسـلام، وانتظـار البشـرية لخـاتم الأنبيـاء ﷺ، وخصوصـاً أهـل الكتاب منهم.

وحاولت استقصاء الشواهد من مصادرهم من خلال نُسخها المعاصـرة المعـترف بهـا مـن قبـل علمـائهم حاليـاً، وكـذلك مـن خلال مؤلفاتهم الحديثة، وأقوال المستشرقين عن النبي ﷺ.

وقد فصلت في أحوال العالم المعاصر للنبي ﷺ، وتحدثت عن أحوال العهـد المكـي بجميـع أحداثـه ووقائعـه، وكـذلك المرحلـة المدنية من السيرة بحوادثها المختلة مدنيها وعسكريها، وتطرقـت للــنظم الإســلامية في العصــر النبــوي، وتأسيســهﷺ لدولــة الإسلام، والقيم التنموية والمدنية الـتي بثهـا في المجتمـع البشـري ﷺ، وأدارها بنجاح وتميز، وصـارت نبراسـاً للبشـرية، ولـلإدارة الإنسانية الشاملة.

كما تحدثت عن بيعة أبـي بكـر الصـديق رضـي الله عنـه يـوم وفاة الرسول ﷺ، ونجاحه في قيادة الأمة بعد رسول الله ﷺ.

وترجمت بالتفصيل للشخصيات المعايشة له ﷺمن المؤمنين به من أهل البيت ومنهم أمهات المؤمنين، وبناته، وأصهاره، ومن عاش في بيته من خدمه ومواليه ومن في حكمهم المؤثرين في الأمة، واجتهدت في هذا للربط بينهم وبين حياة الرسول ﷺ، وتأثير التربية النبوية على حياتهم في أيامه ﷺ وبعد وفاته.

ولأن لم أنل شرف رؤيته ﷺ فإني آمل أن لا يفوتني شرف صحبة سيرته وحياته، عبر أسفار الكتب ونبض القلم، وفيضان الحب والمشاعر، ونقل ذلك لأحبابه المؤمنين به، ومن يرغب التعرف عليه ﷺ.

وقد شعرت بالسعادة والتيسير والبركة في الوقت منذ اليوم الأول من عملي الجاد في هذا الكتاب، فكنت وأنا أكتب أحس بقرب إلى الحبيب المصطفى ﷺ وأتنفس عصر النبي المصطفى ﷺ وأعيش أحداثه.

ومع بعد الزمان فقد كنت أحس بقربي منه وارتباطي بالزمن الذي أُعتقت فيه الإنسانية من رباط الوثنية ودخل الناس في توحيد الله تعالى والخضوع له وعبوديته، وأردت أن يدخل مع القارئ الكريم في هذا الشعور والإحساس.

كما أن في الاشتغال بالسيرة تقويماً للنفس ومحاسبة ومراجعة

لها فيما قدمت، في ضوء ما عُرف من سيرة المختار تدفع الإنسان إلى الشعور بالتقصير وكثرة الاستغفار، ومحاولة تقويم للذات، وتربيتها، على إتباع منهج المصطفى ﷺ في السلوك والحياة.

كما أني اعتبر عملي بهذا الكتاب من الاستعداد للإجابة يوم القيامة - بإذن الله- حينما أسال عنه ﷺ ما علمك به فأجيب بما يجيب به المؤمنون، وأقدم كتابي هذا بين يدي الجواب، وأكون _بإذن الله_ عوناً للآخرين على الإجابة الصحيحة.

ورغم أن بعض أصحابي المخلصين ألح إليَّ أني ربما لا أتي بجديد في كتابة عامة عن السيرة، إلا أني رأيت أن هذه الكتابة ستأتيني أنا بجديد، وستدخل بإذن الله سعادة على قلبي، كما آمل أن أجدها عند ربي، وأن يشاركني فيها القارئ الكريم، سائلاً الله أن يقربني لرضاه، عائذاً بالله من عمل يسخطه، راغباً بالعون من الله والتوفيق.

وأجد هنا أن من الواجب علي أن أقدم جزيل الشكر والعرفان لمعالي الدكتور علي بن إبراهيم بن حمد النملة الذي شجعني على العمل في هذا المؤلف وتكرم بمراجعته واستفدت من ملاحظاته جزاه الله عني خير الجزاء، وأدعو لكل من كان عوناً لي في إنجازه ونشره.

الرياض بلودان الشام، بريدة

رجب ١٤٣٠هـ، ربيع الثاني١٤٣٢هـ

أهداف دراسة السيرة النبوية وفوائدها:-

إن أي عمل يقوم به الإنسان لا بدَّ أن يكون له هدف واضح، وثمرة متوقعه تدفعه للقيام به، ولعل دراسة السيرة النبوية من العلوم الإسلامية والإنسانية واضحة الأهداف والمعالم، متحققة الفوائد والثمرات، فالنبي ﷺ أحب الخلق إلى الله اصطفاه من خلقه، وحمله رسالته، فمحبة الله وحبنا له تدفع لمعرفته ودراسة سيرته.

وهذا جزء من حقه علينا ﷺ وعلامة حقيقية لمحبته ومحبة الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران].

كما أن دراسة سيرة المصطفى ﷺ فيها معرفة ما كان عليه ﷺ من تجسيدٍ حيٍ للإسلام، حيث عاش ﷺ عبداً لله جمع بين الدنيا والآخرة، وهذا ماثلٌ في سلوكه ﷺ في تطبيق عملي للإسلام ولشريعته وأحكامه، وبذل للنفس والمال في سبيل الله.

كما أن سيرة رسول الله ﷺ فيها دراسةٌ لتاريخ أعظم البشر وأفضلهم، والناس فطروا على دراسة سير العظماء على وجه العموم، ومعرفة سيرهم وحياتهم

وقصصهم، ولذلك فكل أمة من الأمم تحاول أن تبرز عظماءها، وتغزو بهم وبسيرهم العالم، بل ويلمعونهم وينسجون حولهم القصص الكاذبة أحياناً، ليظهروا للناس أن لديهم من يفتخرون به من الأعلام والرجال.

أما نحن المسلمين فحبيبنا وزعيمنا وقائدنا ﷺ هو أحسن وأفضل البشر سيد ولد آدم، ولذلك فإننا بدراسة سيرة المصطفى ﷺ نلبي هذه الحاجة الموجودة طبيعياً عند الناس، بأن نغطي هذه الحاجة بالمعلومات الصادقة الصحيحة، التي يحرص الناس بطبيعتهم على الاطلاع عليها، ونغطيها بمن يجب علينا أن ندرس حياته وسيرته لكي نتعلق به، وهنا لا بُدَّ من التأكيد على أن غير المسلمين جعلوا النبي ﷺ أبرز البشر، فكيف بنا نحن أتباع رسول الله ﷺ، الذين ينبغي أن لا نقدم أي إنسان عليه ولا نتعلم سيرة أحد أو تاريخ بشر قبله، لا ملكاً ولا وزيراً ولا عالماً ولا عظيماً ولا كائناً من كان قبل رسول الله ﷺ.

ومايكل هارت مؤرخ أمريكي زعم انه يؤرخ للإنسانية في كتابه: أعظم مائة رجل في تاريخ البشرية "The ١٠٠ ARanking of the most inflential

"personsin history" وضــع رســول الله ﷺ أول إنســان في تـاريخ البشـرية، حيـث قـال مـا نصـه: ((لقـد اخـترت محمـداً ليكـون في أول القائمـة، ولابـد أن ينـدهش كـثيرون لهـذا الاختيـار ومعهـم حـق في ذلـك، لكـن محمـداً هـو الإنســان الوحيـد في التـاريخ الـذي نجـح نجاحـاً علـى المسـتوى الـديني والـدنيوي، هـو قائـد دعـا إلى الإسـلام ونشــره كواحــد مــن أعظــم الــديانات، وأصــبح قائــداً سياسـياً وعسـكرياً ودينيـاً، وبعـد مـرور (١٣) قرنـاً مـن وفاتـه فـإن أثـر محمـد - عليـه السـلام- مـا يـزال قويـاً متجـدداً))، [١] وهـذا يـذكرنا بقـول الله تعـالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح].

وقـد قـال عنـه جوسـتاف لوبـون في كتابـه: حضـارة العـرب: ((إذا قيسـت قيمـة الرجـال بجليـل أعمـالهم كـان محمد أعظم من عرفه التاريخ)). [٢]

وقـد قـال عنـه ولـيم مـوير **muer**: ((مهمـا نـدرس

---

(١) مايكل هارت، **أعظم مائة رجل في التاريخ**، ترجمة أنيس منصور، المكتب المصري، القاهرة، ص:١٤.

(٢) جوستاف، لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة، عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ، ص : ١٤ .

حياتـه نجـدها علـى الـدوام كتلـة فضـائل مجسـمة، مـع نقـاء سـريرة، وخلـق عظـيم، وسـتبقى تلـك الفضـائل عديمـة النظير على الإطلاق في جميع الأزمان)).(١)

إن الله سبحانه وتعالى تعبد الأمة الإسلامية بدراسة حياة الأنبياء السابقين وسنن الله في الأمم الماضية تبعاً لموقفهم من أنبيائهم ودعوتهم لله، وقد جعلهم نبراساً يحتذى وذكراً يتلى، وقدوة وتثبيتاً لرسوله ﷺ، وبالتالي فقصص النبي ﷺ وسيرته تثبيت لمن يتعلمها من المسلمين، خصوصاً أنها مرتبطة بكتاب الله وسنة نبيه ورسوله ﷺ من الذين جعلهم الله نبراساً ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف].

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا

---

(١) محمد خير الدرع، **نبي الإسلام شخصيته حياته رسالته في عرض جديد**، ص٦.

قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾ ﴾ [طه].

كل هذه الآيات وغيرها تؤكد أن دراسة ما جرى للأنبياء السابقين جزء من القرآن والدين والعلم الشرعي، الذي يوجه حياة محمد ﷺ وحياة أمته معه، وبالتالي فإن في دراسة حياته تربية للأمة، وعلم لا غنىً عنه إلى يوم القيامة.

كما أن دراسة سيرة النبي ﷺ تعلم الإنسان الثقة بالله وأن لله سنناً ثابتة ينصر فيها الحق ويخذل الباطل، وأن العاقبة للمتقين وأن وعد الله تعالى لنبيه ﷺ قد تحقق بحمايته ونصره وتمكينه على من اعتدى عليه وظلمه، وأن مكر الله سبحانه وتعالى لنبيه ونصره لنبيه قائم إلى قيام الساعة.

كما أن في دراسة سيرته امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى وعبودية له ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب]، معلمنا الأول ﷺ بأمر الله ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة] وبالطبع فإن التأسي لا يكون إلا بعلم سنته، وسيرته وشمائله جزء من سنته، فيها قدوة للمؤمنين به في سائر أحوالهم، فهو قدوه للدعاة في حمل الهم والعمل الجاد وسمو الأهداف والغايات، وحب الخير للناس والرحمة بهم.

وللأزواج في التعامل والرحمة والعطف والحنان والحب الحقيقي.

وللزعماء والقادة قدوة في الإدارة وتقديم مصلحة الأمة، والرحمة بالناس والبعد عن الأنانية، والأمانة والإخلاص والسياسة بما يرضي الله، واستعمال الأصلح للناس في أعمالهم.

وللجيران قدوة في معرفة حقوقهم، وحسن التعامل مع جيرانهم والرفق بهم والهداية لهم وحفظ حقوقهم وحسن الصلة بهم.

وللمصلحين قدوة في الصبر والتحمل، وسمو الأهداف وترتيب الأولويات، والتغيير الاجتماعي للأصلح بهدوء وفعالية، سعي لتنمية الإنسان، وحفظ حقوقه.

فهو للآباء قدوة في العطف، والتربية والرحمة، والحب الحقيقي والتعلم، وللفقراء قدوة في الصبر على الجوع والعفة والأمانة، وللأغنياء قدوة في الصدقة والتواضع، والإيثار والأمانة والوفاء بالعهد، وعدم الإسراف، وللمريض قدوة في الاحتساب، وطلب الأجر والبحث عن الدواء فيما أحل الله وعدم الإثقال على الآخرين.

وعلى العموم فهو قدوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من سائر الأمة ونُذكر أنه بدون علم لا يمكن التأسي[1].

(١) انظر: محمد بن محمد عواجي، أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين، بحث في ندوة: عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٠٥هـ.

في دراسة سيرته ﷺ تحقيق لمحبته[(١)] :-

فمحبته مقدمه على النفس ومحبته محبة لأخلاقه وفضائله، محبة المُحْسَن إليه للمُحْسِن بالثناء والإجلال والتقدير، كيف لا وإحسانه ﷺ قائم للمسلمين وللإنسانية جميعاً إلى يوم القيامة، بما حمل لهم من هداية الله، فمحبته أعظم وأسمى مراتب المحبة، فهو أعظم الناس تأثيراً في حياتنا ﷺ لنؤدي بعض حقه علينا ونقدمه على أنفسنا، وعلى كل شيء آخر، لنأخذ عنه ونقدم أوامره على غيره: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ۝٧﴾ {الحشر}، وقد قال ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده وفي رواية والناس أجمعين)).[(٢)]

---

(١) انظر: سلسلة كتاب البيان، حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال تقديم صالح بن فوزان الفوزان وآخرين، دار البيان، ط١٠، الرياض ١٤٢٦.

وعبد الله بن صالح الخضيري و عبد اللطيف بن صالح الحسن، محبة النبي ﷺ وتعظيمه، ط١ دار البيان، الرياض١٤٢٧هـ.

وعصام محمد عطية، لماذا نحب محمدا، ط١ إدارة الدراسات والأبحاث الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض ١٤٢٨هـ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب " وحب الرسول ﷺ من الإيمان " (ج١/٩).

كان ﷺ آخذاً بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك)، فقال عمر: فإنه الآن والله أنت أحب إلي من نفسي، فقال ﷺ: (الآن يا عمر)[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران].

قول تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

---

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، كتاب الإيمان، شرحه (باب حب الرسول ﷺ من الإيمان).

وبدراسة سيرته ﷺ معرفة لفضله ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران].

ونقدر له ﷺ كم بذل من نفسه(في سبيل الله): ومن ماله، ومن دمه، ومن أحبابه وأقاربه وأهله ومن وطنه.

وكذلك يتبين لنا فضل الله على نبيه ﷺ وفضله سبحانه علينا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى].

ومن المعروف للمسلمين جميعاً بل ولمن سبقهم من الأمم أهمية دراسة تاريخ الأنبياء:

ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

﴾ [الأحزاب]. وقد تأسى ﷺ بالأنبياء قبله. وقص عليه القرآن الكريم ذكرهم.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف].

﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف].

في معرفتنا بسيرة الرسول ﷺ نعرف الأمم المختلفة والأنظمة التي حكمت العالم وسادت قبل الإسلام، سياسياً أم فكرياً ودينياً أم أخلاقياً، ونعرف النعمة التي أحدثها الإسلام في حياة الناس، كما قال عمر رضوان الله عليه: (لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية).

بعلم السيرة نعرف ما كانت عليه أحوال الأمم عامة والعرب قبل الإسلام خاصة، التي يمكن إيجازها في قول ربعي بن عامر حينما رد على رستم يوم القادسية: قال: (الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه،

ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبي قاتلناه أبداً، حتى نفضي إلى موعد الله، قال: وما موعود الله قال الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى)(١).

لقد فهم ربعي كيف كانت حاله وحال الناس وكيف صارت بمبعث محمد ﷺ ـ إنها الجاهلية التي أشار إليها القرآن في قوله: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح: ٢٦]، وحذر منها ﷺ بقوله: ((أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهرهم)).(٢)

ونحن ينبغي أن ندرك التغيير الذي جاء به ﷺ والنعمة والرحمة التي حملها للبشرية جمعاء. وهذا يعرف بدراسة سيرة المصطفى ﷺ.

إن الصدق في سيرة المصطفى ﷺ لا يقابله أي طرح تاريخي عن شخصية أخرى مهما كانت تلك الشخصية.

فنحن بدراسة السيرة نتعلم صدقاً لا زوراً كما يحدث لبعض الشخصيات، كما أننا نصل إلى تفصيلات

---

(١) الطبري: تاريخه، ج٤/١٠٧

(٢) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم: ٣٥١٨.

وحقائق لا تتوفر لغيره ﷺ.

حيث إن بعض الشخصيات التي درسها العالم وأولعوا بالحديث عنها نجهل الكثير من جوانب حياتهم، فالنصارى ليس عندهم تفصيلات حقيقية عن نبيهم عيسى عليه السلام، ولعل من يعرف تاريخ عيسى عليه السلام ويعرف ما كتبه النصارى عنه يدرك أن جوانب حياته عليه السلام لم ترصد، ولم تسجل ولم تكتب ولم تدرس بشكل صحيح فأتباعه هم أجهل الناس بها .

أما المسلمون فعندهم شمول الحديث عن سيرة المصطفى ﷺ ودقائق الأمور في حياته ﷺ وهذا دليلُ على محبة الأمة لنبيها ﷺ .

ولا يعد من معرفة أن ذكره ﷺ سابق لزمانه، حيث إن الحديث عنه ﷺ كان في زمن الأمم السابقة، ففي زمن عيسى عليه السلام يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[الصف].

كما تحدث موسى عليه السلام في زمنه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف]. إن أخبار محمد ﷺ وصفاته عرفت قبل ولادته بقرون، حيث كان علماء أهل الكتاب ينتظرون مبعثه، ولا تزال في بعض كتب النصارى إشارات قوية وواضحة لرسول الله ﷺ نبي آخر الزمان.(١)

بدراسة السيرة نتعرف على كتاب الله(٢)، فحياة الرسول ﷺ مليئة بالأحداث التي نزلت فيها آيات من كتاب الله سبحانه وتعالى في مناسبات مختلة .

كما أن بعض أسماء سور القرآن الكريم ارتبطت بأحداث السيرة ، كما في الأنفال والتوبة، والإسراء، وطه، والأحزاب، والشرح، والعلق، والهُمزة والفيل، وقريش والكوثر، والكافرون، والنصر، والفلق.

---

(١) انظر : الموضوع المتعلق بـ (العالم وانتظار الرسولﷺ) من هذا الكتاب.

(٢) انظر : صالح أحمد الشامي، أضواء على دراسة السيرة، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١١هـ ص٢١.

مع أن بقية السور لا تخلو من آيات مرتبطة بأحداث السيرة كما في غزوات بدر وأحد والأحزاب وفتح مكة حنين وغزوة تبوك وغيرها من الغزوات التي ورد فيها آيات من كتاب الله سبحانه وتعالى في ثنايا العديد من السور.

بل نجد أحداثاً أخرى خاصة كعلاقته ﷺ بنسائه وزواجه من بعضهن كزينب بنت جحش، والحديث عن آل البيت وعن الصحابة رضوان الله عليهم، وعن أحوال الأمة وتطوراتها وردت فيها آيات في كتاب الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فدراسة سيرته تعطي الإنسان تصوراً صحيحاً عن ما ورد في كتاب الله من أسباب النزول، وتعطيه انطباعاً خاصاً وكأنه يعيش عصر تنزل القرآن، والتحديات التي تعرض لها رسول الله ﷺ، ومعه الأمة والمجتمع المسلم، وكيف ثبَّت الله إيمانهم بما شاهدوه من أحداث عرفوها في القرآن المنزل عليهم في تلك الفترة، ومن يتدبر السيرة يعيش كما عاشوا عن علم ويزيد إيمانه بما يعرفه ويتعلم، وبالتالي يحيى في عصرهم وإن بعُد زماناً ومكاناً عنهم، ويرى بنفسه التجسيد الحي للإسلام وأهله في معية رسول الله ﷺ،

وأصحابه ويعيش تنزل الآيات تبعاً للأحداث.

إن الإنسان ليعجب كيف يجرؤ بعض المستشرقين على تناسي هذه الحقيقة، ويزعم بعضهم أنه تعلم القرآن في أثناء رحلته إلى الشام وهو صبي،[1] أي عقلية تلك التي تتجاهل هذه الحقائق وبأي منطق تتحدث؟!

إن في دراسة السيرة معرفة جيل الصحابة وفضلهم وتنمية محبتهم ومعرفة درجاتهم التي أشار الله إليها في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد].

فيعرف السابقين إلى الإسلام من هؤلاء الصحابة، والمبشرين بالجنة منهم، و أصحاب بدر وبيعة الرضوان وفضلهم، ويربط إسلامهم وأعمالهم بالسيرة النبوية

---

(١) انظر: (R. Gottheil. " Achristion Bahira legened " Zeitschrift für Assqriologie, ١٣, (١٨٩٨). pp. ١٨٩-٢٤٢, ١٤:١٤ (١٨٩٩). Pp. ٢٠٣-٢٦٨. ١٥ (١٩٠٠) pp. ٥٦-١٠٢; ١٧ (١٩٠٣(pp. ١٢٥-١٦٦) نقلاً عن، فارس الجميل، رحلة الرسول إلى الشام ومقابلة بحيرا الراهب، مجلة الجمعية التاريخية السعودي سنة١٤٢٥هـ .

وأحداثها، وقد وضح البخاري وغيره في كتابه الصحيح مناقب هؤلاء الصحابة.(١)

ويدرك المسلم أن تزكية رسول الله ﷺ لهؤلاء وبشارة من بشر منهم بالجنة كان عن وحي يوحى، وأنه لا ينطق عن الهوى حين قال: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم).(٢)

وأن بشارته بالجنة للعشرة ولغيرهم تعنى خاتمة حسنه لهم، وأنهم بالتالي لقوا الله وهو راض عنهم، فتزيد محبة هؤلاء لمن يعرف مواقفهم، ويقف أمام الكارهين لأصحاب رسول الله الذين طعنوا فيهم ليشككوا في الرسول نفسه وفيما قاله فيهم، كما أننا نعرف المواقف التي قام بها كل منهم مع رسول الله في إبلاغ دعوته والدفاع عنه، فمنهم شعراء الرسول: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحه وعاصم بن ثابت.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب.

(٢) من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، ص: ٦٤، باب فضل من شهد بدراً، ٩.

ومـــنهم خطبـــاء الرســـول ﷺ، كثابـــت بـــن قـــيس بـــن الشماس، وأبي بكر وعلي بن أبي طالب ﷺ وغيرهم .

ومـنهم أمـراء الرسـول: أبـو بكـر وعمـر وعلـي بـن أبـي طالـب ومعـاذ بـن جبـل وسـعد بـن معـاذ وخالـد بـن الوليـد وعبـد الله بـن جحـش وزيـد بـن حارثـة وابـن أم مكتـوم، وأبو عبيده بن الجراح وغيرهم، ﷺ أجمعين.

كمـا نعـرف الشـهداء مـن الـدعاة للرسـول مـن أصـحابه، وعلـى رأسـهم أصـحاب الرجيـع، وبئـر معونـة وغيرهـم، وشـهداء الغـزوات المختلفـة، ونعـرف الأغنيـاء مـنهم كيـف بـذلوا وأنفقـوا كعثمـان وعبـد الـرحمن بـن عـوف، والفقـراء كيـــف صـــبروا وتعففـــوا، المتزوجـــون مـــنهم والعـــزاب الصَـــادقين والصـــادقات والقِـــانتين والقانتـــات والحَـــافظين فروجهم والحافظات.

هـذا الكـلام عـن رسـول الله وأصـحابه أخـبر بـه موسـى بـني إسـرائيل قبـل مـا يزيـد علـى ألـف سـنة مـن مبعثـه ﷺ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف].

أولئـــك تلاميـــذ محمـــد ﷺ الـــذين كـــان مـــنهم خلفـــاء راشـــدون، وقـــادة محنكـــون وسياســـيون وأبطـــال فـــاتحون

وعلمـــاء قـــادوا العـــالم وأظهـــروا فيـــه العـــدل والتوحيـــد والرحمة.

إنهـــم الرعيـــل الأول الـــذين ســـبقوا إلى الـــدخول في الإســـلام وحمـــل رســـالته للعـــالم فلـــهم فضـــل كـــبير علينـــا، فواجبنـــا الـــدفاع عـــنهم ضـــد أعـــدائهم وكـــارهيهم، مهمـــا لبســـوا مـــن لبـــاس وأظهـــروا مـــن تقـــوى، أولئـــك الـــذين حـــاولوا إبعادنـــا عـــن جيـــل محمـــد ﷺ وأصـــحابه، في وقـــت قدســـوا فيـــه علمـــائهم، ونزهـــو أصـــحاب علمـــائهم، وقدســـوا تلاميـــذهم علمـــائهم، ورضـــوا بـــالطعن في تلاميـــذ محمد ﷺ وأصحابه.

وبدراســة السيرة نعــرف الخصــائص النبويــة[١] الــتي أنعــم الله بهــا علــى رســوله المصــطفى ووجــوب إتباعــه ومــا لــه مــن حقــوق ﷺ وأن مــا جــاء بــه الحــق، وأن أمــره مقــدم علــى أمتــه وعلــى النــاس جمعــاء وهــذا أمــر مــن الله ســبحانه وتعالى في كتابه العزيز.

---

(١) لمزيد من التوسع انظر : كتاب الخصائص النبوية للإمام السيوطي (رحمه الله)؛ وأبو بكر الجزائري، هذا الحبيب يا محمد.

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء].

فهو ﷺ معلم للأمة وقائدها دائماً وأبداً في الأفراد والمجتمعات والدول ما بقي الزمان، فمحمد دائم في حياة الناس، له عليهم حقوق، في حال الضعف يذكرونه، وفي حال القوة يذكرونه، ذكره دائم، ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح].(١)

خصائصه متعددة، أولها الرحمة للعالمين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء].

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام].

فهو أعظم البشر، علّمه وأدّبه رب العالمين كما قال ﷺ: (أدبني ربي فأحسن تأديبي).(٢)

---

(١) انظر: **كتاب الخصائص النبوية**، الإمام السيوطي (رحمه الله)؛ وأبو بكر الجزائري، **هذا الحبيب يا محمد**.

(٢) حسنه عدد من العلماء، وله شواهد.

اختاره واصطفاه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾[الجمعة].

خاتم الأنبياء، وأرحم الناس، وأكرم الناس، واصدق الناس، وأنظف الناس، وأطهر الناس.

أيد بالمعجزات والبينات والبراهين والكرامات، شاهدها معاصروه وأدركها العلماء ومحبوه، علا ذكره على سائر الخلق بما له من حق، وبما وعده الحق تبارك وتعالى.

صلى الله عليه والملائكة وأمر العباد بذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب].

فتح الله له ونصره وغفر له، قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ ﴾ [الفتح].

إن دراسة السيرة النبوية تقوي عزائم المؤمنين

انظر تخريجه عند: أحمد عبدالعزيز الحداد في، **أخلاق النبي في القرآن والسنة**، ج٢/١٠٣٣.

وتعلمهم الصبر وتفتح لهم الأمل بانتصار الحق على الباطل، وبغلبة دين الله على ما سواه وبالقوة بعد الضعف وبأن الله ناصر دينه ونبيه وأمته إلى يوم الدين.

- إن السيرة النبوية علم بذاته ومفتاح لعلوم متعددة فمن خلالها يتعلم المسلم الأخلاق وتطبيقها والعقيدة وأصولها، والأحكام الشرعية والآداب المرعية، والعدل والنظم الإسلامية وسياساتها الشرعية وكسب الناس لدين الله.

واستظهار الحقائق الكثيرة عن حياة الرسول ﷺ ودرء الشبهات عنها ومعرفة هذا العلم بعيداً عن المغرضين وجهالة العوام.

كما يتعرف دارسو السيرة على كثير من الحقائق الجغرافية لبلاد العرب عموماً والحجاز خصوصاً وسائر العالم المجاور الذي ارتبطت به أحداث السيرة، مثل الحبشة، وبلاد فارس، والروم، ومصر، وغيرها فيما له صلة بحياة الأمة الإسلامية الأولى في عصر النبوة، وارتباطها بأحداث السيرة زمن النبي ﷺ، فقد كان ابن عمر يتتبع آثار النبي ﷺ في منازله التي مر بها في غزواته

وأسفاره.(١)

والدارس الحقيقي للسيرة يعيش بعلمه وعقله وروحه ووجدانه وشعوره زمن النبي ﷺ، يرى حجراته ومسجده وكيفية بنائها، يشاهد مجالسه ومن يحف به من الصحابة، يسمع آيات الله من فيه ﷺ، يرى عطفه وشفقته، يتصوره حاملاً سيفه في بدر وأحد وحنين شجاعاً مقداماً.

وفي الوقت نفسه يرى بكاءه وهو يسمع القرآن من أصحابه فرحاً بما آتاه الله، وبتعلم الصحابة له، عطوفاً على الفقراء رحيماً بالناس أجمعين، في زمنه وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

- كما أن الدارس المتعلم لسيرة النبي ﷺ ومصادرها الصحيحة يتعلم ما صح من الروايات فيما يبنى عليه علم وحكمة.

- ويدرك الإنسان مراحل حياة الرسول ﷺ المختلفة وتدرجه في دعوته وفي اختيار المناسبين لاستقبالها وقبولها من الناس، ويعرف الدارس المراحل

(١) ابن سعد، الطبقات. ج٤/ ١٤٥

داخل المراحل والمواقف في الواقع، ويستفيد من ذلك في تطبيقها في حياتنا المعاصرة وخصوصاً للدعاة حاملي هم دعوة الرسول ﷺ ودينه ورحمته للناس.

كيفية دراسة السيرة النبوية:-

إن أي باحث أو قارئ للسيرة النبوية ينبغي عليه أن يستشعر شخصية الرسول ﷺ، وما له من حقوق وخصائص حباه الله إياها، اصطفاه لوحيه ورسالته من بين خلقه، وأعطاه عصمة ثابتة لا يتطرق إليها شك في الدين والأخلاق في توحيده الخالص لله سبحانه وتعالى، وعصمته من الشرك، والكذب قبل البعثة وبعدها، في عدله وإنصافه وأمانته ورحمته بالناس قبل البعثة وبعدها، في عناية الله به وحفظه وتأديبه له قبل البعثة وبعدها منذ مولده ﷺ وأنه ليس لأحد أن يخطِّئ رسول الله ﷺ إلا ما ذكره ربه تبارك وتعالى في معرض تأديبه له، كما في قصة الأعمى في سورة عبس، أو في أسرى بدر، أو فيما ذكره هو ﷺ ولا يقبل من أحد من البشر غير ذلك.

وبالتالي فإن على دارس السيرة أن يلتزم الأدب مع النبي ﷺ.

حين الحديث عه ﷺ وعن سيرته وحقه ومحبته ﷺ وماله في أنفسنا وقلوبنا، ويجب أن نرتبط بالأدلة الشرعية، ونتذكر ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى وما أخبر به رسول الله ﷺ من أنه عبد لله ورسوله، وأنه بشر من البشر، لكنه أفضل البشر كما قال ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض).[١]

ففي مصاف العظماء هو الأول لا يسبقه أحد، لكنه صلوات ربي وسلامه عليه أكد أنه عبد من عباد الله تعالى، وقد ورد ذلك في آيات عديدة من كتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء].

---

(١) رواه الترمذي في **صحيحه**، باب فضل النبي ﷺ رقم (٣٦١٥)، وروى البخاري أجزاءً منه في **صحيحه، كتاب التفسير**، **سورة الإسراء**، ومسلم في **كتاب الإيمان**.

انظر: تفاصيل تخريجه عند: أحمد الحداد في **كتاب أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة**، (٤٦٠/١).

وانظر: ابن كثير، تفسير سورة الإسراء ج١٠٨٥/٢

ويأتي التأكيد على عبوديته في معرض الحديث عن رفعه والإسراء به، حتى لا يأتي من يسير على خطى النصارى ويخرجه عن بشريته فيغلوا فيه كما غلو في عيسى عليه السلام، فمع ذكر هذه الكرامة الفريدة لرسول الله ﷺ يأتي التأكيد على عبوديته لله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء] مع أنه لو ذكرت الآية أسرى برسوله لكانت حقاً، لكنها تؤكد على مقام العبودية الذي هو تكريم له ولسائر البشر، كما جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف] مذكراً بعبوديته ﷺ لله ومع ذلك فإن مقامه لا يصل إليه أحدٌ، من البشر فلا يقدم المسلم أحد من البشر لا من الأهل ولا من الولد ولا غيرهم على محبة رسول الله ﷺ.

وقد أكرمه الله بالعبودية مع اصطفائه بالوحي والرسالة، وليس في هذا ضعف وإهانة لرسول الله ﷺ بل من كمال رسول الله ﷺ أن يكون عبداً، وليس ككل العبيد حيث كان ﷺ عبداً شكوراً كما قال صلوات ربي وسلامه عليه لأم المؤمنين عائشة

رضي الله عنها حينما رأته يقف من الليل يصلي حتى تتفطر قدماه فكأنها أشارت على الرسول ﷺ أن يكفيه بعض ذلك فقال ﷺ: (أفلا أكون عبداً شكوراً)، [(١)] لم يقل نبياً شكوراً ولا رسولاً شكوراً، لأنه يرى أن من كمال نبوته ﷺ أن يكون عبدالله، وذلك تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦ ﴾ [الزمر].

لكنه سيد البشر ﷺ وهو قدوة الناس، جاء ليقودهم للعبودية الحقة لله تعالى وحده، فكان ﷺ في مقدمتهم وأمامهم في أمر الله.

وكان ﷺ يعيش حياة البشر، يأكل وينام ويتزوج ويبيع ويشتري يصادق ويعادي كل ذلك داخل عبوديته لله. ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ [الأنعام].

إن أي دارس للسيرة النبوية وأحداثها ينبغي عليها أن يستشعر العصر الذي عاشه النبي ﷺ وإمكاناته وظروفه، ليدرك الصعوبات التي واجهها ﷺ

(١) من **حديث البخاري**، في التمهيد، باب قيام الليل، و**مسلم** في صفة القيامة " باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة " برقم ٢٨٢٠.

وأصحابه، يدرك المناخ ودرجة الحرارة، وحجم الإنتاج الزراعي والحيواني والاقتصادي في منطقته ومحدودية الإمكانات المادية والبشرية والثروات الطبيعية في بيئته مقارنة بغيرها.

كما يدرك الظروف الجغرافية والعادات والتقاليد وأحوال العرب قبل الإسلام، مما يجعله يأخذ تصوراً صحيحاً عن الوضع الذي عاشه الرسول ﷺ ليعطيه حقه من التقدير وحق أصحابه ﷺ.

كما أن عليه إجراء المقارنات الذهنية اللازمة بينه وبين أعدائه ومعانديه من مشركي العرب ويهودها في تلك المرحلة.

وعليه أن يدرك المراحل المختلفة لسيرة النبي ﷺ ولدعوته، ومن ذلك بالدرجة الأولى ما قبل البعثة وما بعد البعثة، وما قبل الهجرة وما بعدها، وما قبل بدر وما بعدها، إلى غير ذلك من الأحداث الحاسمة في حياة الرسول ﷺ وحياة أمة الإسلام في أيامه، والعالم أجمع.

كما أن على الدارس أن يربط أحداث السيرة بما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى وان يرجع إلى كتب التفسير

والى أسباب النزول إن احتاج الأمر إلى ذلك.

وأن يضع الإنسان في ذهنه الأهداف العامة لدراسة السيرة النبوية وأن ما يكتبه أو يقوم به في عمله العلمي يحقق هذه الأهداف أو شيء منها[١].

كما ينبغي ربط ألسيرة بالحوادث المعاصرة في المجتمعات الإسلامية والإنسانية[٢]، وتأثير العصر النبوي علينا في زماننا، ومعرفة سنن الله في الخلق.

كما ينبغي أن يدرك أنه أمام شخص اصطفاه الله سبحانه وتعالى وحرم الكذب عليه ويتذكر قول الرسول ﷺ: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). [٣]

وبالتالي فإنه ﷺ ليس بحاجة أن يُكذب عليه أو يُكذب له، سواء بحسن نية أو بسوء نية، فقد يظن البعض بدوافع عاطفية أن إضافة حوادث غير صحيحة

---

(١) انظر: سليمان حمد العودة، قضايا ومباحث في السيرة النبوية، دار المسلم، ١٤١٦هـ ص١٩.

(٢) انظر: سر الختم عثمان علي، تدريس السيرة النبوية في مناهج التاريخ المدرسية، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ ص٣٥.

(٣) متفق عليه :من رواية البخاري في صحيحه، كتاب العلم باب إثم من كذب على الرسول ﷺ ج١/٣٦

تجلب المحبة للنبي، وهذا بالطبع ما نهى عنه النبي ﷺ مهما كانت الدوافع لا يجوز الكذب عموماً، فما بالك على رسول الله ﷺ، كما أن هذا بعيد عن خلق العلماء والعقلاء، وعن طلب الحقيقة وعن المنهج العلمي الإسلامي والإنساني عموماً.

ويكفينا ما صح عن رسول الله ﷺ ولسنا بحاجة لإضافات عليها، وهذا بالطبع لا يمنع الدراسة والتحليل واستخراج الفقه مما صح حدوثه، فهذا مطلب علمي وفقهي صحيح يصب في أهداف دراسة السيرة.

كما أن النقد العلمي للمتن منهج صحيح يمكن تطبيقه في مرويات السيرة النبوية.

والباحث العملي في سيرة النبي ﷺ يجد أنها غطيت بدقائق الأحداث وتفصيلاتها.

وقد عد كثير من العلماء علم السيرة علماً قائماً بذاته، وكانوا يرونه قسماً من السنة النبوية، لكن مناهج المؤلفين فيه أخف من منهج المحدثين في شروط قبول الرواية الحديثة لما يبنى على الحديث من أحكام شرعية.

ولذلك نجدهم فيما يتعلق بالسيرة أكثر مرونة فيما لا

يتبعـه حكـم، مثـل ترتيـب الأحـداث أو أعـداد المقـاتلين أو السـلاح. مـع إيـراد الكـثير مـنهم لسـند روايتـه في معظـم الأحيـان، وحرصـهم علـى نقـد الروايـة باسـتمرار، واستبعادهم للضعيف منها.

ومـع هـذا فـإن المحـدثين الـذين أدرجـوا في كتـبهم أقسـاماً في السـيرة كالبخـاري في كتـاب المغـازي مـن صـحيحه، ومسـلم في كتـاب الجهـاد والسـير، وغيرهـم عـن أصـحاب السـنن طبقـوا قواعـدهم العامـة في تمحـيص الأحاديـث المنسـوبة للـنبي ﷺ ولم يسـتثنوا مرويـات السـيرة مـن هـذه القواعد.

وقـد اهـتم المؤرخـون المسـلمون عمومـاً وأوائلـهم بالـذات في جمـع روايـات السـيرة النبويـة، بطـريقتهم وحسـب تـرتيبهم للأحـداث وذكـروا أسـانيدهم بدقـة، وحـاولوا تصـوير الوقـائع والأحـداث وترتيبهـا زمنيـاً بمـنهج تـاريخي وتميـز واضـح وإثـراء في الأسـلوب وإيـراد السـند كمنهج المحدثين.[١]

وقـد انصـب جهـد المـؤرخين في القـرون الثلاثـة الأولى

---

(١) د. أكرم ضياء العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص١١.

علـى جمـع الروايـات الخاصـة بالسـيرة وتـدوينها والاجتهـاد في انتقـاء مـا يـراه المؤلـف كـابن إسـحاق في سـيرته وشـارحه ابن هشام وكذلك الطبري.(١)

وقـد قـام المتـأخرون بعـد ذلـك بجهـود خاصـة، لتمحـيص الروايـات والتـدقيق فيهـا ونقـد متونهـا بطريقـة علميـة أكثـر دقـة.(٢) حتـى غـدا علـم السـيرة قائمـاً بذاتـه، علـم وسـط يجمـع علـم السـنة (الحـديث النبـوي) وعلـم التـاريخ، يطبـق عليـه منـاهج النقـد المختلفـة ويسـير وسـط بـين هـاذين المنهجين.

ولعـل الكـثير مـن السـلف عرفـوا هـذا العلـم باسمـه الواضح علم السيرة أو علم مغازي رسول الله ﷺ.(٣)

وقـد بـذلت الأمـة جهـوداً مختلفـة عـبر عصـورها التاريخيـة المتعـددة في التـأليف في هـذا الفـن ودقائقـه، حيـث ألفـت كتـب شـاملة في مرويـات السـيرة مثـل مرويـات عـروة بـن

(١) د. أكرم ضياء العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص١٦.

(٢) د. أكرم ضياء العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص١٦.

(٣) انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، المخطوط، **السيرة والمدائح النبوية**، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٩٦م.

الـــزبير (ت٩٤هـــ)، [1] وموســـى بـــن عقبـــة(ت ١٤٠هـ)وغيرهم.

كمـا اشـتهرت مؤلفـات بعينهـا كالسـيرة النبويـة لابـن إسـحاق (ت: ١٥١هــ)[2] وشـرحها لابـن هشـام[3] وهـو أكثر كتـب السـيرة انتشـاراً وتـداولاً بـين النـاس فيمـا أظـن، ومـا تبعهـا مـن شـروح مختلفـة، [4] وكتـاب المغـازي للواقدي[5]، وكتاب المغازي لابن أبي شيبة.[1]

---

(١) انظر: سلوى مرسي الطاهر، **بدايات الكتابة التاريخية عند العرب**، أول سيرة في الإسلام عروة بن الزبير، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

(٢) سيرة ابن إسحاق المسماة المبتداء والمبعث والمغازي، لمحمد بن إسحاق بن يسار (٨٥-١٥١هـ)، تحقيق وتعليق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث، فاس - المغرب، ١٣٩٦هـ.

(٣) **السيرة النبوية** لابن هشام بن محمد بن عبدا لملك بن هشام المعافري، ت ٢١٣هـ، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٤م.

(٤) **أشهرها (الروض الأنف) في تفسير السيرة النبوية** لابن هشام، للفقيه المحدث أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي ((ت٥٨١هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ، وكتاب شرح السيرة رواية ابن هشام للحافظ أبي ذر بن محمد بن مسعود الخشني، (ت٦٠٤هـ)، صححه بولس بروتله، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) **المغازي**، للواقدي، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ)، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب بيروت، بدون تاريخ.

كما عمل البعض حديثاً على استخراج أقسام السيرة من كتب التاريخ العام، أو من كتب الطبقات، ولعل من ذلك ما جرى من استخراج السيرة النبوية من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد[٢] والسيرة النبوية من تاريخ الطبري،[٣] والسيرة النبوية من تاريخ الإسلام للذهبي،[٤] السيرة النبوية من كتاب البداية والنهاية لابن كثير،[٥] ويضاف لذلك المؤلفات العديدة المختلفة في الشمائل والخصائص النبوية، والدلائل والمعجزات التي

---

(١) أبو بكر بن أبي شيبة، كتاب المغازي، تحقيق وتخريج الدكتور عبدالعزيز العمري، دار إشبيليا، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٢) **السيرة النبوية من الطبقات الكبرى،** لابن سعد، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٩هـ، مجلدين؛ **وغزوات الرسول وسراياه** لابن سعد، أخرجها أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم، بيروت، ١٤٠١هـ.

(٣) **السيرة النبوية لابن جرير الطبري،** تحقيق جمال بدران، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٤هـ.

(٤) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،** للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام التدمري جزء خاص بالمغازي، وجزء خاص بالسيرة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٥)**شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، تحقيق شعيب الأرناؤط وعبد القادر الأرناؤط في خمس مجلدات وفهارس مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٦هـ .**

يصعب حصرها في مثل هذه العجالة بالإضافة إلى الموسوعات الأخرى الشاملة للسيرة ومنها: (زاد المعاد) في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية.[(١)]

وكذلك سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ) فيما يزيد على عشر مجلدات.[(٢)]

والدلائل والشمائل، ومن ذلك دلائل النبوة، للحسن بن عبدالله الأصبهاني.

والخصائص الكبرى لجلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ) وكتاب أعلام النبوة، للماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت: ٤٥٠هـ).[(٣)]

والشمائل النبوية للترمذي، والشمائل الشريفة للسيوطي، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب

---

(١) **السيرة النبوية من الطبقات الكبرى**، لابن سعد، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٩هـ، مجلدين؛ **وغزوات الرسول وسراياه** لابن سعد، أخرجها أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم، بيروت، ١٤٠١هـ.

(٢) حققها وأخرجها عدد من العلماء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، تواريخ مختلفة حتى ١٤١٤هـ.

(٣) دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.[١]

والشفا لتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، (ت٥٤٤هـ).[٢] وابن حجر الهيثمي في اشرف الرسائل إلى فهم الشمائل.[٣]

كما أنه ألفت كتب متخصصة في فقه السيرة، وهي مفيدة جداً للقارئ العادي والداعية يستقي دروساً وأدباً وسلوكيات من حوادث السيرة وتقدمها بأسلوب

وقد اجتهد مؤلفوها وكتابها، ونقلوا علم السيرة إلى مرحلة جديدة نستطيع أن نسميها " فقه السيرة "، كما سماها أولئك العلماء الذين كان لهم منهج واضح في كتاباتهم، رغم عمليات التصحيح والتقويم التي تعرضت لها كتبهم من قبل علماء آخرين وخصوصاً في تصحيح الروايات التي أوردوها في الكتب.[٥]

---

(١) تحقيق الدكتور عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٢) دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(٣) تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

(٤) من هؤلاء محمد الغزالي في فقه السيرة، ومحمد سعيد رمضان البوطي، في فقه السيرة. ومنير الغضبان وغيرهم.(انظر: قائمة المصادر)

(٥) انظر: فقه السيرة، لمحمد الغزالي، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني.

لكنهم وبكل أريحيه ردوا على منتقديهم واحترموهم وأبدوا وجهة نظرهم فيما قيل عن تلك المؤلفات.[١]

كما أن بعض المؤلفين كتبوا في قضايا محددة كالحديث عن شخصية الرسول ﷺ، وهديه في التغيير الاجتماعي أو في نظام الدولة الإسلامية،[٢] أو في غزواته بشكل عام، أو في مرحلة معينة كالعهد الملكي، أو المرحلة المدنية، إلى غير ذلك من النماذج والطرق في التأليف في السيرة، التي لا يتسع المجال لطرحها والإلمام بها جميعاً، حيث تأتينا المؤلفات الحديثة في السيرة كل يوم بجديد.

وأما الكتابة في العصر الحديث فقد أخذت أشكالاً متعددة.

منها ما ركز على حادثة معينة وجمع رواياتها ودرسها وحكم عليها وأخرج حولها بحثاً كاملاً يعد

(١) انظر: محمد الغزالي في فقه السيرة، ص١١، مقدمة بعنوان: حول أحاديث هذا الكتاب.

(٢) من ذلك تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمود سلامه، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٠١هـ، ومن ذلك نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية لعبدالحي الكتاني.

مرجعاً في ذاك الحدث ورواياته وما ورد حوله والحكم عليها من حيث الصحة من عدمها. وقد توجه لهذا الأمر عدد من الأقسام العلمية في الجامعات الإسلامية في مقدمتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وغيرها من الجامعات السعودية والمصرية وغيرها.

كما ألفت كتب وأبحاث مختلفة تعد شاملة للسيرة النبوية ومن أمثلة ذلك:

- مرويات غزوة بني المصطلق، إبراهيم قريبي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- مرويات غزوة الحديبية، حافظ حكمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- مرويات غزوة بدر، أحمد محمد العليمي باوزير، رسالة علمية من الجامعة الإسلامية في المدينة، مكتبة طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ.
- غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، دراسة نقدية، د. بريك بن محمد بريك أبو مايلة العُمري، مركز البحوث الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١، ١٤٢٤هـ.

- عبـد القـادر حبيـب السـندي، الـذهب المسـبوك في تحقيـق روايـات غـزوة تبـوك، مكتبـة المعـلا، الكويـت، ١٤٠٦هـ.
- السـرايا والبعـوث النبويـة حـول المدينـة ومكـة، د. محمـد بريـك أبـو مايلـة العُمـري، دار ابـن الجـوزي، الدمام، ١٤١٧هـ.
- غـزوة أحـد، دراسـة دعويـة، محمـد عطيـة بـن سـعيد با مذحج، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٩هـ.
- غـزوة الأحـزاب في ضـوء القـرآن الكـريم، عـرض وتحليـل د. سـعود بـن عبـدالله الفنيسـان، دار إشـبيليا، الرياض، ١٤١٨هـ.
- السـيرة النبويـة في الصـحيحين وعنـد ابـن إسـحاق، د. سـليمان بـن حمـد العـودة، ط١، جامعـة الإمـام، الرياض، ١٤١٤هـ.

ومـن المؤلفـات المطـول الشـامل(١) ومنهـا المختصـر

(١) ومن ذلك موسوعة نضرة النعيم، في مكارم أخلاق الرسول الكريم، تأليف صالح بن عبدالله بن حميد وعبدالرحمن محمد ملوح، في (١٢) مجلد، دار الوسيلة، جدة، ط٤، ١٤٣٠هـ.

المركز، ولكل شيخ طريقته، وجميعها مفيدة، فمنها ما أعد للعالم المتعمق المتخصص في علم السيرة، ومنها ما أعد للقاري العادي، ومنها ما أعد للصغار أو للشباب، ومنها ما جعل بحثه سرداً للأحداث، ومنها ما جمع بين الحدث وفقه الحدث وهي الأنفع لقارئ السيرة، ويختلف بعضها عن بعض في صعوبة الأسلوب من سهولته، اشتهر بعض منها أحياناً، وانتشر أكثر من غيره، مع أن هناك أحياناً ما هو أفضل منه، أعتمد بعضها على منهج واضح يمكن تلمسه، وصدر بعضها بعفوية من مؤلفه.

وفي رأيي أن كل تلك المؤلفات المتنوعة والمتعددة تخدم السيرة ومساراتها المختلفة، وتصب جميعاً في نشر علم السيرة ما دامت تحقق أهداف دراستها، ولا تخرج عن الصحيح من الروايات.

ولعل من أبرزها ما ألف عن السيرة النبوية في القرآن الكريم، [1] أو ما استخرج من كتب حديثية أو

(١) انظر: محمد عزه دروزة، سيرة الرسول ﷺ مقتبسة من القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، وعبد الصبور مرزوق، السيرة النبوية في القرآن الكريم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، بدون تاريخ.

شروحاتها مباشرة.[١]

خصائص السيرة النبوية:-

لا شك أن سيرة النبي ﷺ علم عظيم عن شخصية مصطفاة من الرب تبارك وتعالى، وأحداث شهد عليها القرآن فيما تنزل من آيات تتلى إلى يوم القيامة وبالتالي تميزت بخصائص منها:

- أن صاحبها أفضل البشر، رفع الله له ذكره، وأدبه فكان سيد ولد آدم على الإطلاق، منذ وجد الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- علو المصدر في هذه السيرة النبوية المؤيدة بآي القرآن الكريم في اغلب حوادثها وعامة مغازي المصطفى ﷺ وخلقه وسجاياه.
- أنها أدق سير الأنبياء والصالحين تفصيلاً ودقة حيث تابع الصحابة كافة جوانب حياته الخاصة والعامة ونقلوها لنا بدقة متناهية، كما لم تنقل سيرة بشر آخر من قبله ﷺ.

(١) انظر: محمد الشنقيطي، السيرة النبوية عند ابن حجر في فتح الباري، الكويت ١٤١٤هـ.

- أنهـا أصـح سـيرة عرفتهـا البشـرية صـاحبها الصـادق الأمـين ﷺ، نقلـها الصـادقون مـن أصـحابه عـرف ناقلوهـا، وصحت أسانيدها.

- أنهـــا جمعـــت في ثناياهـــا أعمـــال الرســـول ﷺ التعبديـة والدنيويـة، وسياسـته الشـرعية وجهـاده ومغازيـه، ومن عاصره من أصحاب وأمم وأقوام.

- ارتبــاط السـيرة وأحــداثها بمعــالم جغرافيــة محــددة ومعروفـة، تـدعمها وتؤكـد مصـداقيتها وتمكننـا مـن متابعـة أحــداثها، وأمــاكن وقوعهــا بدقــة وواقعيــة، وتناســق وتناغم عجيب.

- أنهـا مليئـة بالـدروس والعـبر الـتي يمكـن للمسـلم خصوصـاً وللإنســان عمومــاً مهمــا كانــت حالــه ومكانتــه ووظيفتــه أن يســتفيد منهــا، ليصــل إلى أســباب النجــاح، والسعادة الدنيوية والأخروية.

- أن في حيـــاة الرســـول ﷺ وإيـــواء الله لـــه في يتمـــه وحفظـه وعصـمته مـن النـاس معجـزة تشـاهد وتحـس مـن خـلال السـيرة النبويـة، ومـن خـلال نصـر الله وحفظـه دينـه وانتشـاره ومراحـل حياتـه ودعوتـه، صـدق الله فيهـا مـا

وعد نبيه وما وعد عباده الصالحين في أيامه.

- أنها نالت اهتماماً عظيماً من الأمة فقهائها وعلمائها ومحدثيها، فقلَّ: أن يوجد عالم بارز إلا وقد ضرب بسهم في الكتابة في السيرة النبوية، فاستفاد منها وأفاد ما ساهم في تربية الأمة عبر الأجيال، وترقية الأخلاق والقيم.

- أن فيها تطبيقاً حياً لمعرفة سنن الله في الكون والحياة ونصر الله لنبيه ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر].

- أن السيرة تعالج كافة جوانب حياة الرسول ﷺ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام]. وتغطي حياته وصفاته وشمائله وتربط ذلك برسالته ونبوته واصطفاء الله له.

- إمكانية اختيار موضوعات محددة بذاتها من السيرة تشكل حدثاً جديراً بالدراسة لوحدها بتفصيلات أدق ودروس أشمل.

- كثرة المؤلفات فيها واختلاف مستوياتها وشمولها، فمنها ما يصلح للعالم ومنها ما يصلح

للعـامي ومنهـا مـا يصـلح للصـغار والشـباب أو الرجـال والنسـاء، وغـير ذلـك مـن المسـتويات، كمـا أنـه كتـب عنهـا بلغـات العـالم قاطبـة دون اسـتثناء[١]، وكتـب عنهـا في مختلـف العصـور ولا يـزال يكتـب عنهـا إلى يـوم الـدين، وكل تلك الكتابات تأتي بجديد.

- أنهـا تـؤرخ لعصـر انقـلاب عـالمي وتغـير في حيـاة البشـرية، نُقـل فيهـا النـاس مـن الوثنيـة إلى التوحيـد، ومـن الشرك إلى عبادة الله وحده ومن الجاهلية إلى الإسلام.

- تـأثير السـيرة العظـيم في نفـوس المطلعـين عليهـا، ومسـاهمتها الكـبرى في التـأثير علـى السـلوك وتقويمـه وتزكيـة الـنفس والأخـلاق وتربيتهـا علـى الزهـد في الـدنيا والرغبـة فيمـا عنـد الله، وشـعورها بالسـعادة، كمـا أنهـا تزيد الإيمان بما تثير في النفوس من حب الرسول ﷺ.

- أنـه مـن خـلال السـيرة يمكـن التعـرف علـى أحـوال العـرب وبلـدانهم وقبائلـهم وكـثير مـن العناصـر الإنسـانية والعمرانيـة والأعـراق والعـادات السـائدة عنـد العـرب ومـن

---

(١) انظر: د.علي النملة، المستشرقون والسنة والسيرة في المراجع العربية، مكتبة بيسان بيروت، ١٤٣١هـ.

جاورهم، واحتك بهم قبل الإسلام وبعده، وتطلع على أوضاع العالم قاطبة وحضاراته في مرحلة حساسة من تاريخ البشرية.

- من خلالها يتم التعرف على الدور العظيم لأصحاب النبي ﷺ ونصرتهم له بالنفس والمال والأهل، ومحبتهم عند الله وعند رسوله وأتباعه، وبالتالي الدفاع عنهم أمام أعدائهم المستنقصين لهم، وهم أحباء رسول الله وأصهاره، من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ وأمهات المؤمنين وبقية الآل والصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

- جمال السيرة وحقيقتها وكمالها وواقعيتها وطيب حياة صاحبها ﷺ.

أن السيرة النبوية المدخل الصحيح لفهم القرآن الكريم، وما تنزل فيه من آيات على رسول الله ﷺ في مراحل حياته المختلفة.

أقسام السيرة النبوية:-

مرت السيرة النبوية وما يرتبط بها من أحداث وحياة للنبي ﷺ بمراحل متعددة، وقسمت حسب اصطلاح

علماء السيرة إلى أقسام زمنية مترابطة ومتسلسلة، ينبغي أن يدركها الباحث في السيرة، ومن المعلوم أن مواقف النبي ﷺ ترتبط بوحي من الله وإذن منه تبارك وتعالى في كثير من أحواله، ترتيب عليها نزول الشرع وأحكامه مع تحركات النبي ﷺ ومراحلها، إضافة إلى قلة وضعف أتباعه في البداية، وكثرتهم وقوتهم في آخر حياته وخصوصاً بعد فتح مكة، ومن هنا فإن العلماء قسموا السيرة وعصرها إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: العهد المكي، والقسم الثاني: العهد المدني:

وقُسم العهد المكي إلى قسمين (ما قبل البعثة) و(ما بعد البعثة).

القسم الأول من العهد المكي ويحوي: الأوضاع في مكة والعالم قبل الولادة، وحياة النبي ﷺ من الولادة إلى البعثة النبوية، وهي تغطي أربعين سنة من حياة الرسول ﷺ، وما سبقها.

وقد احتاجت هذه المرحلة إلى مزيد من العناية في تمحيص الروايات الخاصة بها ومعرفة طرقها، والتأكد

من صحتها وما ذكر من أخبارها إذ إنه من الثابت نقلاً وعقلاً أن الرسول ﷺ حين نزل عليه الوحي لم يكن ينتظره ولم يكن يدعيه، ولا يتحدث عن شيء من ذلك على الإطلاق قبل أن ينزل عليه جبريل بإقراء، بل إنه ﷺ احتار فيما رأى حتى اتضح له الأمر وتكرر عليه الوحي.

ولذلك فمن الثابت أنه لم يكن يعلم بنبوته قبل أن ينزل عليه الوحي، ولم يكن أحد من الناس يعلم أنه ﷺ بذاته هو نبي آخر الزمان قبل أن يبعث، وإن كان أهل الكتاب ينتظرونه ويقرون بحضور زمنه، فلم يكونوا يحددونه شخصياً لهذا الأمر، وربما لم يتوقع الكثير وخصوصاً اليهود أنه من خارجهم.

ولا يعني هذا أن النبي ﷺ كان عادياً كسائر الناس. حاشا وكلا، فقد كان مصطفى ﷺ من الله تعالى قبل ولادته، ولكن الناس لم يعلموا بنبوته، ولا هو علم بذلك ولا قال به إلا بعد البعثة.

ومع اصطفاء الله له فقد حماه الله قبل الولادة وبعدها، وأدبه الله منذ صغره واتصف بأفضل الصفات وأزكاها وآواه الله في يتمه، وعصمه من الخطأ والشرك

ودفع عنه شر الإنس والجن، وكان الناس يرون تميزه في الأخلاق والصفات، ويرون فيه كمالاً وأمانة ليست في غيره، وكان جده عبد المطلب يتوقع له شاناً، لكنه لم يقل على الإطلاق لا هو ولا غيره بنبوته، وبالتالي فإن أحداث السيرة من الولادة إلى البعثة ينبغي أن تدرس في إطار هذا التصور الزكي النقي للمصطفى ﷺ دون معرفة أحد من الخلق بأنه نبي، وبعيداً عن أي ذكر منه ﷺ لنبوته، مع معرفة كماله واصطفاء الله له دون علم الناس بهذا في هذه المرحلة.

القسم الثاني من العهد المكي: وقد امتد قرابة ثلاثة عشر عاماً، ويبتدئ بنزول الوحي على رسول الله ﷺ وينتهي بوصول الرسول ﷺ إلى المدينة.

وهذا القسم من العهد المكي لم يؤمر فيه الرسول ﷺ بقتال المعاندين له.

وأمر بالدعوة سراً في أولى المرحلة ثم أمر بالجهر بالدعوة والصدع بها.

وعاش خلالها ﷺ مرحلة من الأذى الشديد الذي أصابه من طغاة قريش ومشركيها، كما عاش ذلك

المستضعفون من أصحابه، حتى أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة في مرحلتين مختلفتين، ودفعتين متفرقتين.

شهدت هذه المرحلة وجود مدافعين عن الرسول ﷺ منهم عمه أبو طالب، ولم يكن مسلماً، وزوجته خديجة رضي الله عنها وهي أول المؤمنين به وبناته وأصحابه الكبار أبو بكر وأمثاله، وشهدت وفاة أهم المدافعين عنه عمه أبي طالب وزوجته خديجة، وحزنه عليهم، كما شهدت محاولات الرسول ﷺ الهجرة إلى الطائف والبحث عن قبائل خارج مكة وفي أسواق العرب المجاورة لها لعلها تؤويه وتنصره.

كما شهدت إسلام الأوائل من الصحابة في مكة وإسلام أشخاص معينين من خارجها رصدتهم كتب السيرة وعنونت لذلك كعلامات بارزه في أحداث هذه المرحلة.

كما شهدت حادثة الإسراء والمعراج، وهي من أهم الأحداث، في مكة التي عزت النبي ﷺ ورفعت منزلته، حيث كشف الله لرسوله ﷺ فيها من المعجزات والوقائع الحاضرة والمستقبلية ما لم يعلمه قبل تلك الرحلة.

وفي نهاية هذه المرحلة جاءت بيعة العقبة الأولى والثانية، وهاجر الرسول ﷺ بعدها إلى المدينة، وسبقه ولحقه أصحابه ﭫ من مكة ومن خارجها.

ولذلك فإن سمات المرحلة المكية واضحة، وخصوصاً فيما تنزل فيها من آيات في كتاب الله ومن أحكام شريعة، ومن طريقة للتعامل مع الأعداء ومجادلتهم والحوار معهم تختلف إلى حد ما عن المراحل التالية بعد الهجرة إلى المدينة.

حيث وقعت حوادث معينة وأخذ الصراع فيها مع المشركين والكفار منحى آخر وخصوصاً بعد الإذن بقتال المشركين.

وفي الوقت الذي تعد فيه هذه المرحلة في معظم أحداثها مرحلة جهاد وقتال ومعارك ضد أعداء الله ورسوله فإنها تعد في الوقت نفسه مرحلة بناء للمجتمع المسلم الجديد في المدينة المنورة، بناءاً شرعياً نظامياً، بداء بمعاهدة المدينة التي أسست لتكوين مجتمع مدني مشترك مع غير المسلمين إن أرادوا السلام، هدفه العدل وحفظ الحقوق الإنسانية والدفاع عن المدينة، وبناء اقتصاد تنموي عام، ركز على تشجيع الإنتاج والعمل

والجديـة، سـواء بتشـجيع الزراعـة واستصـلاح الأراضـي عـن طريـق التشـريع أو الإقطـاع، أم الثنـاء النبـوي علـى المنـتجين والـدعاء لهـم أم العمـل علـى البنـاء بـلا مبالغـة الـذي بـدأه الرسـول ﷺ بنفسـه ببنـاء مسـجد قبـاء والمسـجد النبـوي وحجـرات أمهـات المـؤمنين، ومـا تـلاه مـن بنـاء دور ومـزارع المهـاجرين، والتشـجيع العـام علـى الإنتـاج حتـى في الاحتطـاب، وتشـجيع التجـارة وتبـادل المصـالح مـع المنـاطق الأخـرى داخـل الجزيـرة العربيـة، وداخـل المدينـة وتأسيسـه ﷺ سـوق المدينـة، والخـروج مـن حصـار يهـود الاقتصادي للمسلمين في سوق بني قينقاع.(١)

كما شهدت هذه المرحلة تنظيماً إدارياً للمدينة.

كـان ﷺ مـع منزلـة النبـوة رأس الدولـة وقائـدها، لـه مسـاعدون مـن كبـار الصـحابة. وكـان ﷺ حريصـاً علـى إقامـة العـدل والإنصـاف بـين النـاس مسـلمهم وكـافرهم، يؤمَنَ كل مستقيم مقيم غير معتد ولا آثم.

ولـذلك مرحلـة المدينـة ليسـت جهـاداً ومغـازي فقـط،

---

(١) انظر: عبدالعزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، الطبعة الأولى، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي، الدوحة، قطر، ١٩٨٥م.

كما يظنها البعض، بل هي بناء ونظام وترتيب اجتماعي واقتصادي، مع الجوانب الأخرى العسكرية. ونستطيع القول إن ذلك كله صحبه تخطيط دقيق حكيم مصيب من المصطفى ﷺ.[1]

ولعل لهذا العهد المدني محطات معنية تفصله إلى أقسام محددة، فلدينا (غزوة بدر) محطة كبرى يختلف فيها وضع الأمة الإسلامية ما بعد بدر عن ما قبلها.

وكذلك غزوة الأحزاب تعد محطة أخرى، حيث بدأ الميزان يتأرجح لصالح المسلمين، إذ إنه بعد الأحزاب أصبح المسلمون هم المهاجمين لقريش بعد أن كانت هي الغازية للمدينة.

وتأتي (غزوة الحديبية) وصلحها لتفتح الطريق للدعوة الإسلامية في كل الجزيرة العربية وخارجها، ولينطلق فيها دعاة الرسول ﷺ إلى القبائل كافة دون خوف أو وجل.

ولتنطلق رسائل الرسول ﷺ بعدها إلى ملوك العالم

---

(١) انظر: عبدالعزيز العمري، مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٨هـ.

في كـل اتجـاه إلى الـروم والفـرس والقـبط والحبشـة وغيرها.[(١)]

يلـي ذلـك الفـتح الأكـبر، فـتح مكـة، حيـث سـقط أكـبر عـدو للرسـول ﷺ والفئـة المؤمنـة، وتوجـه رسـول الله ﷺ بعـد ذلـك لتأكيـد دعـائم الإسـلام وترتيـب أوضـاع الجزيـرة العربيـة الـتي دانـت كلـها لـه، فنظمهـا وبـث فيهـا العلـم والعـدل ووزع الأمـراء والقضـاة والمعلمـين،[(٢)] اسـتعداداً للانطلاقة العالمية الكبرى في كافة أنحاء الأرض.

وتـأتي المحطـة الأخـيرة، حجـة الـوداع،[(٣)] ليـبين الرسـول ﷺ للبشـرية جمعـاء الحاضـر منهـا والغائـب أنـه أدى رسـالة

---

(١) انظر : محمد بن عبدالله غبان، مرويات الوثائق المكتوبة من النبي ﷺ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم التاريخ والحضارة في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
وانظر: عون الشريف قاسم، نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ، دراسة في وثائق العهد النبوي، ومحمد حميد الله، في كتابه وثائق العهد النبوي والخلافة الراشدة.

(٢) انظر الفصل الخاص بـ (الولاية على البلدان في العصر النبوي)، من كتاب الولاية على البلد في عصر الخلفاء الراشدين لعبد العزيز العمري ص٣٩ .

(٣) انظر: حجة الوداع.. دراسة جامعة للأحاديث والآثار الواردة في حجة النبي ﷺ والجمع بينها على طريقة أهل الحديث والفقهاء للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق خالد أبو صالح، دار الوطن الرياض، ١٤١٦هـ.

ربـه ولتجيبـه جمـوع الحاضـرين: (نشـهد أنـك بلغـت الرسـالة وأديـت الأمانـة) صـلوات ربـي وسـلامه عليـه وليسـتعد ﷺ للقـاء ربـه بعـد أن جـاءه نصـر الله والفـتح، وليلقـى الرفيـق الأعلـى بعـد ذلـك وهـو في حِجْـر عائشـة وحُجرتهـا ليقـول الصـديق كلمـة الحـق في الموقـف الصعب: (من كان يبعد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كـان يعبـد الله فـإن الله حـي لا يمـوت)، [(١)] وليسـاهم الصـديق ومعـه أصـحاب رسـول الله ﷺ في توصـيل رسـالة الـنبي ﷺ للنـاس كافـة بتوحيـد الله وإخـلاص العبـادة لـه والقضـاء علـى المرتـدين والانطـلاق في أرض الله فـاتحين حـاملين رايـة لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله، إلى الأنحـاء كافـة، ولتسـعد نـبض الإسـلام حتـى اليـوم بتلـك الجهـود المباركـة لأصـحاب محمـد ﷺ وتلاميـذه، ولتسـعد وتشـهد البشرية بذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

تلـك أبـرز ملامـح السـيرة النبويـة ومحطاتهـا الـتي ينبغـي أن يخـرج دارس السـيرة بتصـور عنهـا، ولا شـك أنـه داخـل ذلـك تـأتي جملـة أحـداث مختلفـة تحمـل دروسـاً ومواقـف

(١) انظر: موضوع(وفاة الرسول ﷺ) من هذا الكتاب.

للاستفادة والقدوة والوعي تحمل الخير والرحمة للمطلع عليها.

ومن المعروف أن المجتمع المدني في العهد النبوي مر بمراحل كثر فيه عدد الصحابة وازدادوا بالتدرج، تنوعت قبائلهم ومناطقهم، واختلفت أعمارهم وتنوعت مشاركاتهم، منهم من شهد المشاهد كلها، ومنهم من شهد بدراً واستشهد فيها، ومنهم من أسلم قبل الفتح ومنهم من اسلم بعد الفتح، لكل منهم موقف وحديث ولكل حادثة رجال لكل منهم دوره، حيث بدأت غزوة بدر بثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً ووصل العدد إلى ثلاثين ألف مقاتل في غزوة تبوك.

كان في ملامح هذا العهد بناء لمجتمع ودولة امتدت يميناً وشمالاً حتى غطت الجزيرة العربية وشارفت على الخروج منها، واستعدت لتلك الانطلاقة العالمية بعد أقل من سنتين من وفاته ﷺ.

شهد هذا العهد تدرجاً في أحكام الشريعة سواء في التحريم مثل الخمر والربا أم في الواجبات مثل صيام رمضان والحج وغيرها أم في التنظيم وترتيب ولايات الدولة الإسلامية وعمالها وموظفيها.

كما شهدت صراعاً مع قوى معادية كانت في أولها مع قريش والمنافقين ويهود المدينة وخيبر، ومع قبائل مختلفة، وفي آخرها احتكاك مع الروم والفرس أعظم قوتين في العالم في أيامه.

كل هذا التصور في التدريج والتغيير والبناء السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري وما يشمله من ملامح حياة الرسول ﷺ والأمة معه، ينبغي أن يكون حاضراً في ذهن المطلع على السيرة النبوية وعلومها، ليدرك الظروف المختلفة والمحيطة بأحداث السيرة العطرة.

مصادر السيرة النبوية:-

إن سيرة النبي حديث عن أخبار ماضية، من باب الرواية التي يلزم الإنسان التحقق منها، بالأساليب العلمية الصحيحة، وهي رواية عن أفضل الخلق وأحب الناس، فلابد من معرفة مصدر الخبر ومن أين جاء.

ولا شك أن المصادر بأقسامها المختلفة تنوعت، وهي التي استقى منها المؤلفون في السيرة أخبارهم ورواياتهم.

وأهمية الخبر تقترن بمصادره، وأمانة من نقله، وحين الحديث عن مصادر سيرة النبيﷺ يتبادر إلى الذهن، أن

قسماً كبيراً منها متفرق يرتبط بالقرآن وبعلوم شرعية وأدبية مختلفة منها.

القرآن الكريم وعلومه :-

القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولأمن خلفه، اشتمل في العديد من سوره وآياته أخباراً عن رسول الله، وبعض أحداث سيرته ﷺ وأخباراً كثيرة عن عصره، وعن ما قبله ابتداء من آدم عليه السلام، نجد فيه حديثاً عن الجاهلية وأوضاعها، والعرب وأصنامها، والضلالة وامتدادها، وعن حال العالم عامة وأحوال قريش خاصة، وما فيها من جهالة وضلال، تضمن حوار رسول الله ﷺ مع قريش، وحواره ﷺ مع اليهود والنصارى، وقصص كثيرة كانت تحدث بين رسول الله ﷺ وأناس مختلفين من أصحابه، أو من أعدائه، تنزلت بها آيات من القرآن بينات.

كما نجد ارتباطاً لأسماء بعض سور القران الكريم بحياة الرسول ﷺ وسيرته.

ودراسة أسباب النزول من أهم ما يخدم المتعلم لسيرة الرسول ﷺ، ولو استعرضنا أسماء السور في القران

الكريم لوجدنا ارتباطاً بين أسماء تلك السور وبين حياته ﷺ، فنجد في سورة الأنفال ارتباطاً بأحداث غزوة بدر، كما نجد في سورة التوبة حديثاً عن غزوة تبوك (غزوة العسرة) وعن المؤمنين والمنافقين، والحديث عن أول مسجد بني في الإسلام (مسجد قباء)، وفي سورة الإسراء الحديث عن الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وسورة (الأحزاب) سميت بتلك الغزوة، نجد وصفاً دقيقاً لحال المؤمنين وتكالب الأعداء عليهم، ولبيت النبوة وأوضاع أمهات المؤمنين، مع التأكيد فيها على التأسي بالرسول ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

كما ترسم المستقبل لدور أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، في تعلم ما يتلى في بيوتهن ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب] حتى يقمن بهذا الدور بعد وفاة الرسول ﷺ.

سورة (محمد) سميت باسمه ﷺ، وقد ألف علماء الأمة

كتباً في أسمائه ﷺ ومعانيها[١].

وفي سورة (الفتح) يأتي الحديث عن صلح الحديبية وغزوتها، وكيف أن الله سبحانه وتعالى جعلهما فتحاً، في وقت ظن البعض أنها هزيمة، وفيها الآيات العظيمة المتعلقة بصفات رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه، دفاع من الله عنهم إلى يوم الدين وجمع بين الصحابة ونبيهم ﷺ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح].

سورة (الحجرات) ارتبطت التسمية بحادثة وفد بني تميم، حينما جاءوا لرسول الله ﷺ ضمن وفود قبائل العرب فكانوا ينادونه ﷺ بشيء من الجفاء ونداء غير منضبط، كما ينبغي لرسول الله ﷺ.

سورة (المجادلة) فيها حديث عن امرأة كانت تجادل

---

(١) انظر: الموضوع الخاص بأسمائه ﷺ.

رسول الله ﷺ، وكما قالت عائشة رضي الله عنها كنا في الدار قد يفوتنا بعض كلامها.[(١)]

وفي سورة المنافقين فضح الله سبحانه وتعالى ما قالوا في رسول الله ﷺ: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [المنافقون]. ورد الله سبحانه وتعالى عليهم وفضحهم.

وفي سورة (التحريم) حادثة مرتبطة ببيت النبوة برسول الله ﷺ وبأمهات المؤمنين، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ ﴾ [التحريم].

---

(١) ابن كثير، كتاب التفسير، ج٢/١٨٣.

وفي سورة (المزمل) والمدثر ارتباط بالحديث عن مبعث رسول الله ﷺ، وعن دخوله إلى دار ه مرتجفاً وحديثه لخديجة رضي الله عنها زملوني زملوني دثروني دثروني فإذا بالآيات تتنزل على رسول الله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾[المزمل]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾[المدثر]. إلى آخر ما ورد في تلك السور.

وفي سورة (عبس) ذكر للأعمى (ابن أم مكتوم) وحادثته مع رسول الله ﷺ، وكيف أن الله سبحانه وتعالى أدب رسوله ﷺ، ولذلك يقول ﷺ (أدبني ربي فأحسن تأديبي).(١)

وفي سورة (العلق) ارتباط بالحديث عن بدء نزول الوحي على رسول الله ﷺ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[العلق].

وفي سورة (الفيل) حديث عن حادثة الفيل قبل الإسلام، وجيش أبرهة الحبشي ومحاولته هدم الكعبة المشرقة في مكة المكرمة، في العام الذي ولد فيه الرسول

---

(١) سبق تخريجه.

ﷺ، ويوافق سنة ٥٧٠م[١].

والحديث عن تجارة قريش وأحلافها ينطلق من سورة (قريش) ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ ﴾ [قريش]. وفيها تركيز على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والحلف بين قريش و القبائل قبل مبعث الرسول ﷺوبعده يرتبط بأحوال العرب قبل البعثة، وأهم الأحداث التي جرت حينذاك.

ويأتي الرد على الكفار في سورة (الكافرون) حينما فاوضوا الرسول ﷺ وقالوا نعبد الله عاما وتعبد آلهتنا عاما، فيأتي الرد عليهما تكراراً وتأكيداً لمبدأ التوحيد عند الرسول وتبرئته من الشرك في هذه السورة ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾ [الكافرون].

والتأكيد على الفرق بين الكفر والإيمان، وأن المسلم لا يشرك بالله في يوم ولا ساعة ولا لحظة ولا ثانية، وأن الشرك ليس فيه مفاوضة أو أنصاف حلول.

---

(١) انظر : موضوع (مولد الرسول ﷺ،) من هذا الكتاب.

والأمثلة كثيرة يصعب حصرها، حيث سيرد الحديث عن ما ورد في القرآن الكريم من آيات مع حوادث السيرة النبوية في موضعه.

"والقرآن وهو يعرض بعض آياته للحديث عن الرسول ﷺ يعرض لك عرضاً تحس معه إحساساً حقيقياً أن كل جملة من آياته تفيض بالحركة"(١)

ولابد من التأكيد دائماً على أن مصدرنا الأول في دراستنا لسيرة المصطفى ﷺ هو القرآن الكريم الذي نجده يسير معنا منذ ما قبل مبعث رسول الله ﷺ مثل سورة [الشرح] والحديث عن يتم الرسول ﷺ إلى أن تأتي وفاة رسول الله ﷺ، حيث أشير لها في ثنايا آيات متفرقة،(٢) أو سور سميت بحادثة مرتبطة بسيرة الرسول ﷺ.

وقد ارتبطت بالقرآن علوم خاصة تخدمه، وتقربه لأفهام الناس، ولكي نفهم الآيات وأسباب نزولها وارتباطها بحياة الرسول ﷺ لابد أن نتابع ذلك من خلال كتب التفسير

---

(١) شقرة، محمد إبراهيم، السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، ط١، مكتبة المعارف، الرياض١٤١٨هـ.

(٢) انظر: موضوع (وفاة الرسول ﷺ) من هذا الكتاب.

المختلفة، سواء منها ما ركز على المعاني، أم ما ركز على الآثار وأسباب النزول، أم ما جمع بينهما.

ومن أهم ما يرجع إليه في تفسير الآيات بالأثر تفسير الإمام الطبري (رحمة الله)، أو تفسير ابن كثير (رحمه الله) أو غيرهما، كما أن كتب أسباب النزول تعد مصدراً مهماً لا غنى عنه للباحث في السيرة.

كتب الحديث: - (١)

تعد كتب الحديث من أهم مصادر سيرة النبي ﷺ، ويأتي في مقدمتها (صحيح البخاري)، الذي يحوي كثيراً من أخبار السيرة مجموعة في (كتاب المغازي) من الجامع الصحيح، كما يحوي أخباراً متفرقة ذات صلة بأحداث السيرة، في أبواب الصحيح المتفرقة التي يظهر من عناوينها موضوعات أخرى كالعبادات والمعاملات وغيرها، لكنها ذات صلة بأحداث السيرة، كما أن (كتاب المناقب) عند البخاري يحوي مناقب مختلفة لأصحاب رسول الله ﷺ ولأمهات المؤمنين وآل البيت، ولبعض القبائل والمجموعات التي عاصرت النبي ﷺ، ولا يُستغنى عن تلك الروايات في

(١) سيأتي ذكر للشواهد الواردة في مواقعها من الكتاب.

معرض الحديث عن الروايات المرتبطة بها.

ومـن الأمثلـة علـى أهميـة روايـات صـحيح البخـاري نجـد فيمـا يتعلـق بغـزوة بـدر مـثلاً، (بـاب ذكـر الـنبي ﷺ مـن يقتـل ببـدر)، تضـمن أحاديـث عمـن يقتـل مـن المشـركين، قالهـا قبـل المعركـة ووقعـوا وقتلـوا كمـا اخـبر الرسـول ﷺ، ثـم يـذكر البخـاري (بـاب قصـة غـزوة بـدر)، (بـاب إذ تسـتغيثون ربكـم فاسـتجاب لكـم)، وهنـا يـربط البخـاري بـين الآيـات والأحاديـث وتفسـير تلـك الآيـات مـن خـلال أحاديـث صـحيحة (بـاب: عـدة أصـحاب بـدر)، (بـاب: دعـاء الـنبي ﷺ علـى كفـار بـدر)، (بـاب: قتـل أبـي جهـل)، (بـاب فضـل مـن شـهد بـدراً)، (بـاب: شـهود الملائكـة بـدراً) (بـاب: تسـمية مـن سمـى مـن أهـل بـدر)، كمـا يضـع بابـاً في غـزو الخنـدق وغـير ذلـك مـن الأمثلـة الـتي يصـعب حصـرها، فهـذه بعـض أبـواب داخـل كتـاب المغـازي في الجـامع الصـحيح تابعـة للحديث عن غزوة بدر وما ورد فيها.

تـبين لنـا أهميـة روايـات البخـاري في الجـامع الصـحيح لأحداث السيرة.

ومـن المعـروف أن فقـه البخـاري في صـحيحه لا يقـل عـن عملـه في الجمـع والروايـة، فالبخـاري لديـه فقـه خـاص

للأحاديث يتمثل في عناوين أبوابه في كتبه يستكشف منها مقدار علم البخاري رحمه الله وفقهه للحديث.

كما أن ابن حجر في فتح الباري وغيره شرح أحاديث البخاري، وتوسع في الحديث عن السير، وقد استخرج الشنقيطي كتاباً جميلاً في مجلدين عنوانه (السيرة النبوية في فتح الباري)[1].

كما يأتي (كتاب الجهاد والسير) عند الإمام مسلم في صحيحة بثروة كبرى من الروايات الخاصة بالسيرة النبوية في كتب متفرقة في ثنايا صحيحه، ذات علاقة بسيرة النبي ﷺ جمعها في كتابه، وفي هذا القسم أحاديث وروايات عن معظم غزوات الرسول ﷺ والكثير من الحوادث التي شهدها النبي ﷺ، ولا يستغني دارس السيرة النبوية والكاتب فيها عن الاطلاع على مثل هذه الأبواب داخل صحيح مسلم، ومن الأمثلة على ذلك (بَاب كُتُبِ النبي ﷺ) إلى مُلُوكِ الْكُفَّارِ يَدْعُوهُمْ إلى اللَّهِ عز وجل)،[2] (بَاب

(١) انظر: د. محمد الأمين محمد الشنقيطي، السيرة النبوية في فتح الباري، الكويت، ١٤١٥هـ .

(٢) صحيح مسلم ج٣/١٣٩٧

في غَزْوَةِ حُنَيْنٍ)، [١] والأمثلة كثيرة يصعب حصرها.

والاطلاع على شرح النووي لصحيح مسلم يفيد القارئ والباحث في السيرة، كذلك فإن بقية كتب الحديث ومصادره المختلفة ذات أبواب خاصة بالسيرة وحياة النبي ﷺ، حيث توجد في كتب السنن المختلفة أبواب في مناقب الرسول ﷺ، ومناقب أصحابه.

وكتب المسانيد ثرية بالروايات ذات العلاقة بالسيرة وأحداثها، ومن ذلك (مسند الإمام أحمد)، الذي يحوي أغزر مادة في السيرة النبوية، حيث يورد الرواية مرتبطة بالراوي من الصحابة، وليست رواياته مبوبة حسب الموضوعات والأحداث كغيره، وهؤلاء الرواة هم شاهد الأحداث بأنفسهم، مما يعطيها قيمة تاريخية علمية مهمة.

وبعض تلك الروايات في المسانيد وكتب السنن تحتاج إلى طريقة خاصة لمعرفة الصحيح من الضعيف منها، وللعلماء مناهجهم التي طبقوها فيما كتبوا عن سيرة الرسول ﷺ.

ولعل من الكتب المهمة في هذا الجانب ما ألفه الهيثمي

(١) صحيح مسلم ج١٣٩٨/٣

(ت: ٨٠٧هـ). في كتابه "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد".[١]

كتب السيرة والمغازي:-

خُدمت سيرة الرسول ﷺ بكتب متخصصة منذ القرن الأول الهجري، فيما عرف بعلم السيرة والمغازي، وطيلة العصور الماضية لم يتوقّف التأليف في حياة الرسول ﷺ الذي بدأ منذ أيام الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم في مدونات مختصرة لأحاديث ذات علاقة بالسيرة النبوية.

ومن أقدم من كتب في سيرة النبي ﷺ عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنه أمه أسماء بنت أبي بكر وخالته أم المؤمنين عائشة (رضوان الله عليهما)، تأهل بين بيت النبوة وبيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في بيت الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة ممن شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ واستقى الأحداث وكثيرٌ من روايته من خالته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أمه أسماء بنت أبي بكر، وكانت وفاة عروة بن الزبير ﷺ سنة ٩٢هـ.[٢]

---

(١) الهيثمي: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤/٤٢١؛ وقد قامت سلوى مرسي الطاهر،

وممن ألف في السيرة من علماء القرن الأول الهجري سعيد بن المسيب (ت: ٩١هـ) (رحمه الله) الذي عمل على جمع مرويات السيرة، كما فعل الشيء نفسه وهب بن منبه (ت: ١١٤هـ) وكذلك أبو المعتمر التميمي (ت: ١٤٣هـ)، [(١)] وابن شهاب الزهري، (ت: ١٢٤هـ)، [(٢)] وموسى بن عقبة (ت: ١٤١هـ). [(٣)]

ويعد محمد بن إسحاق (ت: ١٥١هـ) [(٤)] من أشهر من كتب في سيرة النبي ﷺ. ووصلنا معظم كتابه وقد عاش

بإصدار كتاب بعنوان " بدايات الكتابة التاريخية عند العرب أول سيرة في الإسلام، عروة بن الزبير، أصدرتها المؤسسة العربية للدراسات والتيسر، بيروت، ١٩٩٥م، جمعت فيها الكثير من مرويات عروة بن الزبير في السيرة من المصادر المختلفة.

(١) انظر: **أبو المعتمر التيمي ومروياته في السيرة**، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من الباحث عبدالعزيز بن محمد العجلان، للعام الجامعي ١٤٢٢هـ. أشرفت عليها في حينه.

(٢) جمع د. محمد عواجي مرويات الإمام الزهري في المغازي في مجلدين، نشرتها عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في طبعة أولى، ١٤٢٥هـ.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦/١١٤.

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار، انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج٩/٣٨.

وقد أخرج كتابه وحققه محمد حميد الله، ط٢،قونية تركيا ، مؤسسة الوقف الخيرية ١٤٠١هـ

جـزءاً مـن القـرن الأول الهجـري وجـزءاً مـن القـرن الثـاني الهجـري، وقـد شـرح كتابـه عـدة شـروحات منهـا شـرح ابـن هشـام (ت:٢١٨هـ) المشـهور بسـيرة ابـن هشـام،[(١)] الـذي يعـد أكثـر كتـب السـنة شـهرة عـبر العصـور الإسـلامية، وأكثرهـا انتشـاراً، سـواء بشـكل مخطـوط أم مطبـوع وشـرح عـدة شـروحات أهمهـا السـهيلي (ت: ٥٨١هـ)[(٢)] في كتـاب "الـروض الأنـف في شـرح السـيرة النبويـة لابـن هشـام"، كمـا أن الواقـدي لـه كتـاب جيـد وهـام في المغـازي يعـد ثريـاً جـداً فيما احتوى من معلومات (ت: ٢٣٠هـ).

كمـا دون عمـر بـن شـبه (ت: ٢٦٢هـ)[(٣)] في كتابـه تـاريخ المدينة عن حياة رسول الله ﷺ وعن حياة الخلفاء الراشدين.

وكـذلك جمـع أبـو بكـر بـن أبـي شـيبه (ت: ٢٣٥هـ) وهـو مـن شـيوخ البخـاري في كتـاب المغـازي مـن مصـنفه قسـماً كـبيراً

---

(١) هو محمد بن عبدالملك بن هشام الحميري، وانظر مقدمة تحقيق، ص ١٧، بقلم مصطفى السقا وآخرون.

(٢) أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد . انظر: ترجمته، ص ٥، بقلم المحقق طه عبدالرؤوف سعد.

(٣) هو عمر بن شيبه النميري البصري؛ انظر ترجمته بقلم محقق كتابه فهيم محمد شلتوت، في مقدمة الكتاب.

ومهماً من أخبار السيرة،[١] وهذا مما يؤكد أن الكتابة في السيرة النبوية كانت مصاحبة للتأليف في السنة النبوية، وإن كان كل فن منها عرف بمؤلفات مستقلة وموسوعات كثيرة يصعب حصرها.

ويعد كتاب الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)[٢] "سبل الهدى والرشاد" من أوسع ما كتب عن السيرة، وقد أشار في مقدمته إلى أنه استفاد من ألف كتاب في السيرة وغيرها كمصادر لكتابه، وقد ألفه في القرن العاشر الهجري، وبالتالي تهيأت له الاستفادة من مؤلفات كثيرة سبقته.

وقد ألفت كتب متعددة في اختصار سيرة الرسول ﷺ من ذلك سيرة النبي ﷺ المختصرة، لأبي الحسين بن زكريا، ومجالس في سيرة النبي ﷺلابن رجب الحنبلي، وجوامع السيرة لابن حزم الأندلسي، والرسالة الكاملية في السيرة

(١) انظر: **المغازي** لابن أبي شيبة، أبي بكر عبدالله بن محمد، دراسة وتحقيق وتخريج الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

(٢) محمد بن يوسف الصالحي الشامي، وقد طبع في عشرة أجزاء حققه عدد من العلماء بإشراف ونشر لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وهو من أفضل ما نشره المجلس.

النبوية لابن النفيس، ومختصر سيرة النبي ﷺ للمقدسي، والمقتفى من سيرة المصطفى ﷺ للحسن بن حبيب[(١)]**.**

ووسيلة الإسلام بالنبي عليه السلام لابن قنفذ القسنطيني[(٢)]**.**

---

(١)**ابن حبيب**، الحسن بن عمر (ت، ٧٧٩هـ)، المقتفى من سيرة المصطفى ، تحقيق مصطفى الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٦هـ .

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد(٣٨٤-٤٥٦هـ).جمهرة انساب العرب، راجعه لجنة من العلماء، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ.

ابن رجب ، أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي (ت،٧٩٥ هـ) مجالس في سيرة النبي ، تحقيق ياسين محمد السواس ومحمود الأناؤوط ط١ دار ابن كثير دمشق ١٤٠٨هـ

ابن زكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس، سيرة النبي ﷺ المختصرة، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، ط١،عالم الكتب، بيروت ١٤٠٩هـ

ابن النفيس ، علي علاء الدين بن أبي الحزم القرشي ،الرسالة الكاملية في السيرة النبوية ، تحقيق عبد المنعم عامر وأحمد هريدي ، وزارة الأوقاف المصرية ، القاهرة ١٤٠٨هـ

المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي الحنبلي (ت، ٦٠٠ هـ) الدرة مختصر سيرة النبي وسيرة أصحابه العشرة ، حققه ، خالد عبد الرحمن الشايع، ط ٢ دار بلنسية ١٤٢١هـ

(٢) القسنطيني: أبي العباس أحمد بن الخطيب الشهير بابن قنفذ، وسيلة الإسلام بالنبي

وقد صنفت مؤلفات دقيقة في قضايا معينة تخص السيرة مثل كتاب المقريزي "إمتاع الأسماع بما ورد للرسول ﷺ من الأبناء والحفدة والمتاع"،[1] و(القرمانية) قاعدة في ذكر ملابس النبي صل وسلاحه لابن تيمية[2]، كما وضعت كتب في أحذية الرسول، وفي شَعْر الرسول، وفي كُتَّاب الرسول وفي شعراء الرسول وفي عهوده وفي عماله وفي رسله وفي تركته[3]، ومن ذلك الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة ﷺ للسيوطي[4]، وكتاب الوفاة للنسائي[5] وغير ذلك.[1]

عليه السلام، تعليق سليمان الصيد المحامي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٤٠٤هـ.

(١) تقي الدين أحمد بن علي. انظر: تحقيق محمود محمد شاكر للكتاب، نشر لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة، د.ت .

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، (القرمانية) قاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي ﷺوسلاحه ودوابه_، ط١، دار أضواء السلف، الرياض١٤٢٢هـ.

(٣) من ذلك ما كتبه حماد بن إسحاق، تركة النبي ﷺ، دراسة وتحقيق، د. أكرم ضياء العمري، ط١، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ.

(٤) السيوطي: الحافظ جلال الدين عبدالرحمن، الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٥) النسائي: أحمد بن علي بن شعيب، كتاب الوفاة وفاة النبي ﷺ، تحقيق دار الفتح،

كما تعددت المؤلفات والأبحاث عن كتاب السيرة ومنهجيتهم في تدوينها[٢].

المؤلفات الحديثة:-

كثرت المؤلفات الحديثة في سيرة المصطفى ﷺ بلغات العالم المختلفة وباستمرار دون توقف، ولاشك أن هناك من يؤلف في هذه الساعة في سيرة النبي ﷺ وجوانب منها، ومن المؤلفات الحديثة التي يمكن أن يستفيد منها القارئ الشاب كتاب "من معين السيرة النبوية" للشيخ صالح الشامي،[٣] وكتاب الدكتور أكرم العُمري "السيرة النبوية الصحيحة"[٤] وهو كتاب مميز

ط١، الشارقة ١٤١٥هـ .

(١) للمزيد من التفاصيل، راجع فاروق حمادة، **مصادر السيرة النبوية وتقويمها**، دار القلم، دمشق، ١٤٢٥هـ.

(٢) للمزيد من التفاصيل انظر: عبدالرحمن السنيدي، ، **السيرة النبوية عند البيهقي _مع دراسة مقارنة لأبرز مؤرخي السيرة المعاصرين له في المشرق خلال القرن الخامس الهجري_**، ط١،عمادة البحث العلمي جامعة الإمام، الرياض ١٤٢٦هـ.

(٣) صالح أحمد الشامي، من معين السيرة، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٤) د. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ط٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.

يُقعِّد للكتابة في السيرة ويؤرخ لها ويعتمد على ما صح من الروايات في جمعه لها وتحليله، وكتاب" السيرة النبوية" لأبي الحسن النَدْوي[١] وموضوعاته وتحليلاته وترتيبه نفيس جداً وهو كتاب شامل وواعي في مختلف جوانب السيرة، و"دراسات في السيرة" للدكتور عماد الدين خليل،[٢] ويتناول جوانب محددة وهو غير شامل، و"السيرة النبوية دروس وعبر" لمصطفى السباعي[٣] وهو محدد وفي الدروس والفقه مختصر نافع، ويعد كتاب الدكتور مهدي رزق الله "السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية"،[٤] موسوعياً شاملاً لا غنى لمعلمي السيرة النبوية عنه واختصاره "صفوة السيرة،[٥] وهناك كتاب مشهور تداولته الأيدي وانتشر بكثرة

(١) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ط ١٠، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٥هـ.

(٢) د. عماد الدين خليل، دراسات في السيرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٥، ١٤٢٢هـ.

(٣) مصطفى السباعي، السيرة النبوية، دروس وعبر، ط٩، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ.

(٤) مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط١، مركز الملك فيصل، الرياض، ١٤١٢هـ.

(٥) مهدي رز الله أحمد، صفوة السيرة النبوية، دار إمام الدعوة، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.

وتـــرجم إلى عـــدة لغـــات، وهـــو كتـــاب المبـــاركفوري "الرحيــق المختــوم".[١] جيــد، و في تصــوري أن مــا ســبق ذكـره مـن كتـب أفضـل منـه في مجالـه، وإن كـان مـن أكثرهـا انتشـاراً، ومـا كتبـه الـدكتور محمـد أبـو شهبه، "السـيرة النبويـة في ضـوء القـرآن والسـنة"،[٢] ومـا كتبـه الـدكتور مهـدي رزق الله في كتابـه "صـفوة السـيرة النبويـة"، ومـا كتبـه محمـد الصـوياني في كتابـه " السـيرة النبويـة كمـا جـاءت في الأحاديث الصحيحة".[٣]

وكذلك كتاب الصادق الأمين لمحمد لقمان السلفي[٤]

كمـــا وجـــدت ملخصـــات حديثـــة مختلفـــة للســـيرة منها، خلاصـة السـيرة المحمديـة لمحمـد رشـيد رضـا[٥]، وموكـب

(١) صفي الرحمن المبارك فوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء، المنصورة، دون تاريخ.

(٢) عثمان محمد الخميس، كنوز السنة، ط٢، غراس، الكويت، ١٤٢٨هـ.

(٣) محمد الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، قراءة جديدة، ط٣، العبيكان للنشر، الرياض، ١٤٣٠هـ.

كما أن للمؤلف نفسه كتاب بعنوان " القصيمية " دراسة نقدية لنصوص السيرة النبوية، كتبة في بداية عمله في السيرة، واقتصر على مرويات جزء من العهد المكي حتى الهجرة الثانية إلى الحبشة(دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ)

(٤) السلفي، محمد لقمان، الصادق الأمين، دار الداعي، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.

(٥) ولد آباه، محمد المختار، موكب السيرة النبوية، ط١، دار إحياء التراث، الدوحة

السيرة النبوية لمحمد المختار ولد آباه[1]

ويأتينا الباحثون كل يوم بكتب جديدة في مجال السيرة، وقد كتب بعض الباحثين في قضايا معينة مثل وثيقة المدينة لأحمد الشعيبي، وكتاب النبي لمحمد مصطفى الأعظمي، وكتاب الوحي لأحمد عبد الرحمن عيسى، وشعراء حول الرسول لعبد الله محمد أبو داهش، ومحاولات اغتيال النبي ﷺ لعبد المنعم الهاشمي، وغير ذلك من الموضوعات التي يصعب حصرها، كما كتب عدد المستشرقين في السيرة ولا استحسن قراءتها لعامة الناس[2] فكثير منهم وإن كتب بطريقة حسنة إلا أن قصور نظرهم وعدم اعتقادهم بنبوة محمد تجعلهم غير دقيقين في حديثهم كما أن كثير منهم

قطر، ١٤٠٥هـ.

(١) السلفي، محمد لقمان، الصادق الأمين، دار الداعي، الرياض، ط١ ١٤٢٧هـ.

(٢) راجع كتاب الرسول في كتابات **المستشرقين**، نذير حمدان، ط٢ دار المنارة، جدة، ١٤٠٦هـ.

وعماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، دار الثقافة، الدوحة ١٤١٠هـ.

وعبد المتعال الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقون، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

وجوستاف بفانمولر Gustave Pfannmuller (مستشرق ألماني) سيرة الرسول في تصورات الغربيين، ترجمة محمود حمدي قنديل، ط١ مكتبة ابن تيمية، البحرين، ١٤٠٦ هـ.

بعيدين عن المنهج العلمي، ويسيئون الأدب في حق النبي ﷺ، كما أساؤوا الأدب مع أنبيائهم قبل ذلك.

كما أن هناك كتباً متخصصة في حوادث معينة من السيرة النبوية، أو في مرويات لحادثة أو غزوة بذاتها، وقد أُخْرجت مجموعة كبيرة من الأبحاث حول مرويات السيرة كرسائل علمية من قبل الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وغيرها ومن ذلك ما أخرجه عدد من الباحثين، حول موضوعات معينة سبق ذكر عدد منها على شكل رسائل وأبحاث علمية ضمن الحديث عن كيفية دراسة السيرة النبوية[١].

وتكثر المؤلفات الخاصة بحوادث معينة، ففي كل غزوة العديد من الكتب التي يصعب حصرها، وهناك عدد من المؤلفات في الجوانب السياسة والاجتماعية والاقتصادية من السيرة، مثل ذلك، وفي الحوادث الأخرى كالهجرة أو الإسراء والمعراج أو الغزوات أو حجة الوداع أو الوفاة، ما يصعب حصره سواء منها ما ألف قديماً أو ما ألف حديثاً.

وقد تبع ذلك عدد من المؤلفات في فقه السيرة في مقدمتها

(١) انظر موضوع كيفية دراسة السيرة و قائمه المصادر والمراجع من هذا الكتاب.

فقـه السـيرة للشـيخ محمـد الغزالـي، [١] وفقـه السـيرة للشـيخ محمـد سـعيد رمضـان البـوطي[٢] وفقـه السـيرة لمحمـد مـنير الغضـبان[٣] وفقـه السـيرة للـدكتور زيـد بـن عبـدالكريم الزيـد، [٤] وهـو مـن أحـدثها جميـل في بابـه واسـع في محتـواه، وغيرها من المؤلفات في فقه السيرة مما يصعب حصره.

كمـا أن جغرافيـة السـيرة، حظيـت ببحـوث ودراسـات مختلفـة، وخصوصـاً الحـديث منهـا لمعرفـة الأمـاكن المرتبطـة بالسـيرة وحوادثهـا، منهـا مـا كتبـة عـاتق الـبلادي في معجـم الأمـاكن الـواردة في السـيرة النبويـة وفي أوديـة مكـة المكرمـة، وكـذلك مـا كتبـه محمـد اليـاس عبـد الغـني عـن بيـوت الصـحابة حـول المسـجد النبـوي، وكـذلك مـا سـطره عمـاد الـدين خليـل في أطلـس السـيرة النبويـة، ومـا رسمـه سـامي المغلـوث في الأطلس التاريخي لسيرة النبي ﷺ [٥].

---

(١) محمد الغزالي، فقه السيرة، ط٧، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٦م.

(٢) محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م.

(٣) محمد منير الغضبان، فقه السيرة النبوية، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(٤) د. زيد بن عبدالكريم الزيد، فقه السيرة، ط٣، دار التدمرية، الرياض، ١٤٢٨هـ.

(٥) المغلوث، سامي بن عبدالله بن أحمد، الأطلس التاريخي لسيرة النبي ﷺ، ط٢، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ

المؤلفات عن الشمائل النبوية:-

من المعروف أن هناك موضوعات في شمائل الرسول ﷺ داخل كتب الحديث، وكتب السيرة مبثوثة فيها .

كما أنه قد أفردت مؤلفات خاصة في الشمائل والدلائل بعضها أستُلَّت من الموسوعات الحديثية وبعضها أُلف أصلاً في هذا الباب.

ومن أكثر المؤلفات عن الشمائل النبوية انتشاراً كتاب "الشمائل النبوية" للترمذي، وقد حققه وخرج أحاديثه ناصر الدين الألباني (رحمه الله)، [1] و"كتاب الأنوار على شمائل النبي المختار، "للبغوي (ت٥١٦هـ) [2]، وكتاب ابن حبان (ت: ٣٦٩) "أخلاق النبي"، [3] وكتاب ابن حجر الهيثمي (٩٧٤هـ)، أشرف الرسائل إلى فهم الشمائل[4].

---

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره، مختصر شمائل النبي ﷺ، اختصار وتحقيق ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية بالأردن ومكتبة المعارف بالرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ، وكذلك طبعة أخرى للشماتل النبوية، تحقيق ماهر ياسين فحل، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٢١هـ.

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود، الأنوار في شمائل المختار، تحقيق إبراهيم اليعقوبي.

(٣) البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين، دلائل النبوية، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٤) تحقيق وتعليق سميح عباس، ط٢ دار الجيل بيروت (د.ت).

وكتاب أوصاف النبي ﷺ للإمام الترمذي[١]، وغيرها من كتب الشمائل التي ربما استخرج بعضها من كتب السنن والأحاديث.

وقد تبعها عدد ضخم من المؤلفات الحديثة في هذا الباب أكثر ترتيباً وتحقيقاً،[٢] من ذلك ما يتعلق بشخصية الرسول ﷺ مثل ما كتبه بسام عطية أحمد فرج (نبينا ﷺ رأي العين) _دراسة مستمدة من القرآن وصحيح السنة النبوية_[٣]، وكذلك ماكتبه محمد علي الهاشمي عن شخصية الرسول ﷺ ودعوته في القرآن الكريم[٤]،.، وما كتبه عقيل بن حسين

(١) شهاب الدين بن حجر الهيثمي، أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، تحقيق أبو الفوارس أحمد بن فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

(٢) انظر : صالح الشامي من معين الشمائل، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٨هـ، وكذلك أخلاق النبي في القرآن والسنة، أحمد عبدالعزيز الحداد، ط١، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٤١٦هـ.

وكذلك محمد جميل زينو، الشمائل المحمدية ط١١، مكة المكرمة، (د.ت)

(٣) فرج، بسام عطية أحمد، نبينا رأي العين_ دراسة مستمدة من القرآن وصحيح السنة النبوية ومزينة ببعض الفوائد العلمية والتربوية، ط٢، دار الفاروق، عمان ١٤٣١هـ.

(٤) الهاشمي، محمد علي شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم، ط٤، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

عقيل بعنوان (محمد ﷺ من وحي القرآن) [١].

وهناك كتب متعلقة بدلائل النبوة[٢] ومعجزات الرسول ﷺ. منها ما ألفه البيهقي في "دلائل النبوة"، وفيه أحاديث كثيرة تحتاج إلى شيء من التحقيق والتخريج و"دلائل النبوة" لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) [٣] و"دلائل النبوة" لابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ). و"الخصائص الكبرى" للسيوطي، و"الشفاء تعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) [٤]، وكتاب خصائص النبي ﷺ لسراج الدين أبي حفص عمر بن علي المشهور بابن الملقن الشافعي(ت٨٠٤هـ)[٥].

---

(١) عقيل، عقيل حسين، محمد من وحي القرآن، ط١، دار ابن كثير،دمشق، ١٤٣٢هـ.

(٢) أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق عبد البر عباس ومحمد رواس قلعة جي، دراسات ابن كثير، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

(٣) جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) اليحصبي، القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

(٥) ابن الملقن الشافعي، سراج الدين أبي حفص عمر بن علي، خصائص النبي ﷺ، تحقيق أبي عبدالرحمن عادل بن سعد، ط١، مكتبة أبي حذيفة السلفي، القاهرة ١٤٢١هـ.

وكتاب اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ لمحمد بن عبدالله الخيضري[١].

وهي مؤلفات شاملة تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحقيق والتخريج لما ينسب للرسول ﷺ.

كتب الطبقات:-

وتعد كتب طبقات الصحابة خصوصاً وكتب الطبقات عموماً من أهم مصادر السيرة، ومنها "الطبقات الكبرى" لابن سعد (ت: ٢٤٠هـ)،[٢] حيث يحتوي الجزء الأول من هذا الكتاب سيرة النبي ﷺ. وفي هذا القسم روايات في الشمائل انفرد بها ابن سعد كما توجد روايات مرتبطة بأصحاب الرسول ﷺ وطبقاتهم في الترجمة لهم ينفرد بها المؤلف؛ حيث كان ابن سعد متقدماً في التأليف في طبقات

وانظر من المؤلفات الحديثة: العبادي، عبدالله عبد الرحيم، خصائص سيد المرسلين منذ مبعثه إلى يوم الدين، ط١، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٢٧هـ.

(١) الخيضري،محمد بن محمد بن عبدالله اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ، تحقيق محمد الأمين بن محمد محمود بن أحمد الجكني، ط١دار البخاري، المدينة المنورة وبريدة، ١٤١٥هـ

وانظر من المؤلفات الحديثة: العبادي، عبدالله عبد الرحيم، خصائص سيد المرسلين منذ مبعثه إلى يوم الدين، ط١، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٢٧هـ.

(٢) محمد بن سعد، كاتب الواقدي، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت.

أصحاب رسول الله ﷺ، كما يعد كتاب الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤٢هـ) "فضائل الصحابة"[١] من كتب التراجم الغنية بالروايات المتعلقة بالسيرة، و"كتاب التاريخ" ليحيى بن معين (ت: ٢٣٣هـ)، [٢] وكتاب ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"[٣] وكذلك كتاب "أسد الغابة في معرفة الصحابة" لابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) من المصادر الثرية في السيرة، كما أن كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانى (ت: ٨٥٢هـ)[٤] كتاب موسوعي في دراسة السيرة من خلال حياة الصحابة ﷺ.

بالإضافة إلى كتب الأعلام المختلفة ومنها "سير أعلام النبلاء" للذهبي (ت: ٨٤٧هـ)[٥] و"تاريخ دمشق" لابن

(١) الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله عباس، ط١، جامعة أم القرى، ١٩٨٣م.

(٢) يحيى بن معين بن عوف بن زياد بن بسطام، يحيى بن معين وكتابه التاريخ، ط١، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة، ١٣٩٩هـ.

(٣) أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، حاشية علي الإصابة، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

(٤) شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، دار السعادة، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

(٥) الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، دار الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

عساكر (ت: ٥٧١هـ)، [1] وكتب رجال الحديث مثل "تهذيب التهذيب" لابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، [2] و"تهذيب الكمال" للمزي (ت: ٧٤٣هـ)، [3] ومختصراتها، وغير ذلك من كتب التراجم المختلفة.

كتب التاريخ العام:-

إن مؤلفي كتب التاريخ العام ربطوا قلوب الأمة وعلمائها من خلال موسوعاتهم التاريخية بالتوحيد للخالق تبارك وتعالى، ومن أمثال هؤلاء الطبري (ت: ٣١٠هـ) في كتابه "تاريخ الأمم والملوك"[4]، وابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) في "الكامل"[5]، وابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في "البداية

(١) ابن عساكر، أبي القاسم علي بن حسن، صورة من نسخة الكتاب في ١٩ مجلد أصدرتها مكتبة الدار بالمدينة من المخطوط الأصلي في المكتبة الظاهرية بدمشق، ١٤٠٧هـ.

(٢) شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، دار الكتاب العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٣٢٨هـ.

(٣) جمال الدين أبي الحجاج المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٢هـ.

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تاريخ الطبري، ط١، المطبعة الحسينية، القاهرة.

(٥) أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ.

والنهايـة"[١]، والـذهبي (ت: ٨٤٧هــ) في "تـاريخ الإسـلام"[٢] وابـن خلـدون (ت: ٨٠٩هــ) في "العـبر"[٣] وغيرهـم، حيـث تبـدأ تلـك المؤلفـات في الغالـب بالحـديث عـن بـدء الخلـق وعـن خلـق آدم وعـن الأنبيـاء السـابقين، ثـم تأخـذ في الحـديث عـن رسـول الله ﷺ وأحـداث عصـره مسلسـلة حسـب السـنوات الهجريـة. وقـد اسـتخرجت مـن بعـض هـذه الكتـب أقسـام وكتـب كاملـة في السـيرة النبويـة مثـل السـيرة النبويـة عنـد الطـبري،[٤] والسـيرة النبويـة لابـن كـثير[٥]، وكـذلك السـيرة النبوية للذهبي وغيرهم.

***كتب الأدب*:**

(١) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٨م.

(٢) أبـو العبـاس أحمـد بـن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشـاء، وزارة الثقافـة، القاهرة.

(٣) عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتداء والخبر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩١هـ.

(٤) الإمام محمد بن جرير الطبري، السيرة النبوية لابن جرير الطبري، تحقيق جمال بدران، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٤هـ.

(٥) الإمام أبو الفداء إسماعيل، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٦هـ.

كتب الأدب العربي تحوي جملة من أخبار السيرة النبوية، وخصوصاً ما يرتبط بها من شعر أو خطب أو أمثال أو حكم، أو غير ذلك مما يتصل بالسيرة في جانب اللغة والأدب والبلاغة والحكمة، ففي مجال الخطب مثلاً نجدها أول ما تقدم خطباً من خطب الرسول ﷺ لبلاغته وحكمته وتميزها عن بقية الخطب.

كما أنها تذكر الأمثال والحكم التي وردت عن رسول الله ﷺ وهو أبلغ الناس ﷺ، وبعضاً منها أورد قصصاً محددة أخذت من سيرة النبي ﷺ في مجال استشهاد معين بالكرم أو الرحمة أو الحكمة أو السياسة أو غير ذلك.

وكذلك في موسوعات الشعر نجد قصائد لشعراء الرسول ومناسباتها، ولعل من أشهر الكتب في هذا المجال، ما كتبه ابن عبد ربه (ت: ٣٢٨هـ) في "العقد الفريد"[١]، والنويري (ت: ٧٣٣هـ) في "نهاية الأرب"[٢]، والقلقشندى في صبح الأعشى (ت: ٨٢١هـ) وغيرهم.

---

(١) الفقيه أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلس، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت .

(٢) شهاب الدين أحمد بن عبدالله، نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٩٥هـ.

كمـا تعـد دواويـن الشـعراء وخصوصـاً شـعراء الرسـول ﷺ كديوان حسان بن ثابت وغيره مصادر مهمة للسيرة.

كتب السياسة الشرعية:-

هـي مـن الكتـب المهمـة في الفقـه الشـرعي، وخصوصـاً مـا يـرتبط بـإدارة الدولـة وسياسـة الأمـة، وشـواهدها في الغالـب مـن أحـداث السـيرة النبويـة والقيـاس عليهـا، ومـن حـوادث عصـر الراشـدين، وأمثلتهـا كـثيرة فيمـا ألـف في الأحكـام السـلطانية، مثـل مـا كتبـه المـاوردي (ت: ٤٥٠هـ) في كتـاب الأحكـام السـلطانية، [١] وأبـي يعلـى الفـراء (ت: ٤٥٨هـ) في كتابـه "الأحكـام السـلطانية"[٢]، ومـا كتبـه ابـن تيميـة (ت: ٧٢٨هـ)، [٣] وغيرهـا، ولعـل مـن أهـم الكتـب في مجـال السياسـة الشـرعية مـن خـلال السـيرة النبويـة مـا كتبـه الخزاعـي (ت: ٧٤١هـ) في كتابـه " تخـريج الـدلالات السـمعية"[٤]،

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية دار الفكر، بيروت.

(٢) محمد بن الحسين الفراء، الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، ط٣، دار الفكر، لبنان، ١٣٩٤هـ.

(٣) أحمد بن عبد السلام الحراني، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ج٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٩م.

(٤) أبو الحسن علي بن محمد التلمساني، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمود

وشـرحه للكتـاني في كتابـه المشـهور "التراتيـب الإداريـة"[1]، أو نظـام الحكومـة النبويـة، أمـا المؤلفـات الحديثـة في السياسـة والإدارة في الإسلام فتحوي مادة ثرية في هذا الجانب.

ويمكـن أن يلحـق بهـا كتـب الأمـوال مثـل كتـاب "الأمـوال" لأبـي عبيـد القاسـم بـن سـلام (ت: ٢٢٤هـ)[2]، و"الخـراج" لأبـي يوسـف (ت: ١٨٢هـ)[3]، وكتـاب " الأمـوال" لابـن زنجويـة (ت: ٢٥١ هـ)[4]، و"الخـراج" ليحيـى بـن آدم (ت: ٣٠٣هـ)، و"الاسـتخراج في أحكـام الخـراج" لابـن رجـب الحنبلـي (ت: ٢٠٢هـ). وغيرهـا مـن الكتـب المتخصصـة الـتي اعتمـدت شـواهدها في الإدارة الماليـة للدولـة الإسلامية من السيرة النبوية.

كتب الأنساب:-

سلامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٠١هـ.

(١) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الفاسي، نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العلمي، بيروت.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط٢، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٥هـ.

(٣) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، ط٥، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

(٤) المرجع السابق.

عرفت كتب الأنساب كمصادر مستقلة في موضوعها ولعل من أشهرها "أنساب الأشراف" للبلاذري (ت: ٢٧٩هـ)[١] الذي حوى كثيراً من أخبار الصحابة وأبنائهم ومشاركتهم مع الرسول ﷺ في حياته، وكذلك زوجاته ﷺ وعلاقات المصاهرة فيما بينهم وبين الرسول ﷺ ومع بعضهم، وكذلك كتاب "نسب قريش" لمصعب الزبيري (ت: ٢٣٦هـ)[٢]، ومن كتب الأنساب الأخرى التي تعرضت للعرب عموماً، ومن خلال ذلك للمهاجرين والأنصار وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ مثل "جمهرة انساب العرب" لابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)،[٣] و"الأنساب" للسمعاني (ت: ٥٦٢هـ)،[٤] وغيرهما مما يصعب حصره.

كتب المعارف العامة:-

---

(١) أبو الحسن حمد بن يحيى بن عامر، أنساب الأشراف، الجزء الأول تحقيق محمد ضمر الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.

(٢) أبو عبدالله المصعب بن عبدالله الزبيري، من أنساب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

(٣) أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤، دار المعارف، القاهرة.

(٤) أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور، الأنساب، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، منشورات محمد أمين دمج، بيروت، ١٤٠١هـ.

وهـي كتـب حاويـة جمعـت أخبـاراً متفرقـة، فيهـا مـا يفيـد الباحـث في علـم السـيرة ومـا يـذكره بحـدث معـين أو نسـب ذا صـلة بالسـيرة ورجالهـا، ولعـل مـن أشـهرها المعـارف لابـن قتيبـة (ت: ٢٧٦هـ)[1]، و"المحـبر" لابـن حبيـب (ت:٢٤٥هـ)، [2] ومقدمـة ابـن خلـدون وغيرهـا مـن موسوعات المعارف العامة.

كتب البلدانيات:-

وقـد تكـون كتبـاً ألفـت أصـلاً في تـاريخ البلـدان وأهمهـا مـا ألـف في تـاريخ مكـة المكرمـة والمدينـة المنـورة، فقـد تعرضـت لأجـزاء كـبيرة مـن السـيرة، ولعـل مـن أشـهرها "وفـاء الوفـاء في تـاريخ دار المصـطفى" للسـمهودي (ت: ٩١١هـ)، [3]و"تـاريخ المدينـة" لعمـر بـن شـبه الـنميري (ت: ٢٦٢هـ)[4]، و"الـدرة الثمينـة في أخبـار المدينـة"[1]،

(١) أبو محمد عبدالله بن مسلم، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، القاهرة.

(٢) أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية، كتاب المحبر، تحقيق أيلزه، ليختن شتاين، دار الآفاق، بيروت.

(٣) عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، ط٤، دار الهلال، بيروت، ١٣٩٨هـ.

(٤) نور الدين علي بن أحمد، وفاء الوفاء، بإخبار دار المصطفى، تحقيق محمد الدين عبد الحميد، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠١هـ.

لابـن النجـار (ت ٦٤٣هــ) ، والعباسـي في "عمـدة الأخبـار في مدينــة المختــار"[٢] ، والمراغــي (ت : ٨١٦هــ) في "تحقيــق النصــرة في تلخــيص معــالم دار الهجــرة"[٣] ، والمطــري (ت : ٧٤١هــ) "التعريـف بمـا أنسـت الهجـرة مـن معـالم دار الهجـرة" ، والفيروز أبـادي (ت٨٢٣هــ) "المغــانم المطابــة في معــالم طابــة" ، [٤]والســخاوي (ت : ٩٠٢هــ) في "التحفــة اللطيفــة في تــاريخ المدينــة الشــريفة" وابــن زبالــه (ت : ١٩٩هـ) في "أخبار المدينة"[٥].

وكــذلك الأزرقــي (ت : ٢٥٠هــ) في "أخبــار مكــة"[٦] ،

---

(١) أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، نشر السيد حبيب محمود أحمد، المدينة المنورة.

(٢) الإمام الحافظ محمد بن محمود، أخبار مدينة الرسول ﷺ، تحقيق صالح جمال، ط٣، دار الثقافة، مكة ١٤٠١هـ.

(٣) أحمد بن عبدالحميد، عمدة الأخبار في مدينة المختار، تحقيق محمد الطيب الأنصاري وحمد الجاسر.

(٤) زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر، تحقيق النصرة في تلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد الجواد، ط٢، المكتبة العلمية بالمدينة، ١٤٠١هـ.

(٥) محمد بن أحمد، التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ.

(٦) أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

والفاسي (ت: ٨٣٢هـ)، في "كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين"[١]، والفاكهي (ت ق ٣هـ) "أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه"[٢]، وابن فهد (ت: ٨٨٥هـ) في "إتحاف الورى في أخبار أم القرى"[٣]، وابن فهد الهاشمي في غاية المرام في أخبار البلد الحرام.[٤]

ويدخل في هذا السياق المعاجم الجغرافية العامة مثل "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)[٥]، والحميري (ت: ٧٥٠تقريباً) في "الروض المعطار في خبر الأقطار" وغيرها[٦] من كتب البلدانيات ومعاجم المعالم

---

(١) أبو الطيب التقي محمد بن أحمد الحسني، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد محمود الطناحي، نشر محمد سرور الصبان، القاهرة، ١٣٨٨هـ.

(٢) أبو عبدالله محمد بن إسحاق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق، د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط١، مكتبة النهضة، مكة، ١٤٠٧هـ.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد، إتحاف الورى في أخبار أم القرى، تحقيق فهم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ١٩٧٧م.

(٤) عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي، غاية المرام بإخبار البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ.

(٥) ياقوت شهاب الدين أبي عبدالله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٦) محمد عبد المنعم، الروض في خبر الأقطار، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

الجغرافية.

كتب الفتوح:-

ويـــأتي في مقـــدمتها "فتـــوح البلـــدان" للـــبلاذري (ت: ٢٧٩هـــ)[١] و"فتـوح الشـام" لـلأزدي (ت: ٢٣١هـــ)[٢]، وإن كانـت بعـض الكتـب المؤلفـة في الفتـوح تخصصـت بمنطقـة بعينهـا إلا أنهـا مـن خـلال الحـديث عـن المشـاركين فيهـا تقـوم بالحـديث عـن مشـاركة هـؤلاء الصـحابة في حيـاة الرسـول ﷺ أحيانـاً، كمـا أنهـا تتحـدث عـن إخبـار الرسـول ﷺ بفتـوح تلـك البلـدان في المسـتقبل، ومناسـبة حديثـه، والوقـائع المصـاحبة لـذلك الحـديث الـذي يبشـر بـه الرسـول ﷺ الأمـة في وقت مبكر من حياته.

وفي ختـام الحـديث عـن مصـادر السـيرة النبويـة لا بـد مـن الإشـارة إلى وجـود دراسـات مسـتقلة عـن هـذه المصـادر ولعـل مـن أفضـلها مـا كتبـه الـدكتور فـاروق حمـادة ــ أثابـه الله ــ في

(١) أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

(٢) محمد بن عبدالله، تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبدالمنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٨٠م.

كتابه المعنون "مصادر السيرة النبوية وتقويمها"، (١) وخصوصاً الطبعة الأخيرة من الكتاب التي احتوت على زيادات مهمة ومفيدة، ولعل القارئ يطلع عليها لمزيد من المعرفة بالمؤلفات في السيرة والسنة على وجه الخصوص وفي أحداث السيرة والخصائص النبوية وغيرها وما استجد منها.

كما أن من المفيد أن نذكر أن مصادر السيرة تختلف بعضها عن الآخر في تحري الدقة في رواياتها وأسلوبها في التصنيف والترتيب للأحداث، كما أن المتقدم من المؤلفين إذا عرف سنده أولى من غيره، علماً أن المتأخرين من المؤلفين في الغالب عالة على من سبقهم، إلا أن الكثير من المتأخرين أجادوا الجمع والتصنيف والترتيب والشرح والأخذ عمَّن سبقهم وطرح الموضوعات بأساليب معاصرة وطرق عرض حديثه، ودراسة لفقة الحدث والربط بينه وبين الواقع.

أحوال العرب في العصر الجاهلي:

---

(١) انظر: د. فاروق حمادة، **مصادر السيرة النبوية وتقويمها**، طبعة دار القلم الأولى و دمشق، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م . وانظر : د. أكرم ضياء العُمري ، **السيرة النبوية الصحيحة** ، ج١/٤٧.

ببعثة النبي ﷺ سطح النور وانقشع الظلام وساد التوحيد والعلم والمعرفة، والحق والعدل، ولذلك عرف ما قبل الإسلام بالعصر الجاهلي تمييزاً له، ولمعرفة فضل الإسلام على العالم عامة والعرب خاصة، لا بد من معرفة الأحوال قبيل الإسلام في المجالات كافة، إذا إن الإسلام جاء مهيمناً على الحياة ليس على المسار الديني فحسب، بل على المسار الدنيوي، بأخلاقه ومعاملاته وعاداته وسائر تشريعاته وسلوكياته، ولما كانت الجزيرة العربية عامة هي مسرح أحداث السيرة بالدرجة الأولى، فإنه لا بد من الاطلاع على أوضاعها، ومعرفة أحوالها قبل مبعث النبي ﷺ، فبلاد العرب من الناحية الجغرافية شبه جزيرة كبرى، تحيط بها البحار من جهاتها الثلاث، الغربية والجنوبية والشرقية، وسطها صحراء قاحلة محدودة المياه والموارد، وإن وجدت مناطق حضرية داخلها فهي محدودة جداً، مقارنة بمساحتها الكبرى، إلا أنها تعد مناطق واحات زراعية منتجه، كما وجد في جنوبها منطقة اليمن وعُمان وهما مناطق جبلية زراعية معتدلة إلى حد ما، صعبة التضاريس كثيفة السكان واهم مناطقها وأقاليمها ما يلي:

الحجاز.

وهـي منطقـة جبليـة تمتـد مـن جنـوب بـلاد الشـام إلى أطـراف الـيمن، سميـت بـذلك لحجزهـا بـين تهامـة ونجـد قراهـا قليلـة الـزرع والمـاء، سـوى مـا عـرف عـن الطـائف، أهـم مـدنها مكـة المكرمـة ثـم الطـائف، ويليهـا يثرب، وخيبر، وتيمـاء، ووادي القرى، وفدك وغيرها.

نجد.

وتقـع إلى الشـرق مـن الحجـاز، وتمتـد جنوبـاً إلى أطـراف الـيمن وشمـالاً إلى صـحراء السـماوة وباديـة الشـام وتمتـد شـرقاً إلى البحـرين منطقـة الأحسـاء، وهـي مـوطن رئيسـي لعـدد مـن القبائـل العربيـة المشـهورة والشرسـة، الـتي تعتمـد علـى الرعـي والفروسـية، وتعـد مـن أقسـى بـلاد العـرب صـيفاً، وأحسـنها ربيعـاً، وأقساها شـتاءاً، ويـرى الـبعض أن جبلـي طـي ومـا يقـع إلى الشـمال منهـا تتميـز عـن بقيـة نجـد، وتـأتي منطقـة القصـيم حالياً في وسط نجد.(١)

العروض (اليمامة).

جنـوبي نجـد ، هـو مـا يعـرف حاليـاً بمنطقـة العـارض وتشـمل الريـاض ومـا حولهـا مـن منطقـة اليمامـة، ويدخلـها

---

(١) انظر: محمد بن ناصر العبودي، معجم القصيم، ج١/٢٣.

الكثير من الجغرافيين في نجد ويعدونها تبعاً لها وهذا هو الصحيح ،[1] وتمتد إلى نواحي حضرموت وعمان .

اليمن.

وتقع إلى الجنوب من الحجاز ، ويعد القدماء ما كان جنوب الطائف يمناً ، بحكم الاتجاه وإن كان ليس كذلك بحكم الجغرافيا والإدارة ، وتصل إلى حدود البحر في ناحية الجنوب ، وتتصل بتهامة في الغرب ، وبحضرموت وعمان في الشرق ، كانت من أغنى بلاد العرب في الزراعة والإنتاج وأكثفها سكاناً ، ذات أمطار غزيرة ومنافع متفرقة وذات مدن وتجمعات حضرية ، أشهرها صنعاء ومأرب وعدن وغيرها.[2]

تهامة.

وهي الأرض الساحلية المنخفضة غربي الحجاز واليمن ، وتشمل مناطق سهول ساحلية اشتهرت بشدة الحر وقلة الماء مع وجود شيء من الزراعة وتقيم بها بعض القبائل للرعي

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج٢/١١٩١؛ انظر: عبدالله بن خميس، معجم اليمامة، حدود اليمامة، ج١/١٧.

(٢) ياقوت الحموي، ج٥/٤٤٨.

والزراعة المحدودة، وتشمل مدناً ساحلية منها جازان حالياً وما يقع شمالها وجنوبها على الساحل.

البحرين.

وتشمل مناطق الواحات الزراعية شرقي العارض ونجد، وشمال عمان وتمتد بالقرب من السواحل الشرقية للخليج، فيها عدد من الحواضر أهمها هجر، وهي كثيفة المياه تسودها الزراعة ويتوافر فيها الإنتاج، إضافة إلى وجود قبلي حولها، يعمل على الرعي وتربية الأنعام، ذات صلة بفارس في كثير من مواردها واقتصادها وثقافتها.[١]

مناخ بلاد العرب:-

في الجملة صعب شديد الحرارة، سوى المرتفعات الجبلية، قليل الإنتاج سوى ما عرف في اليمن والطائف والبحرين، واليمامة، والواحات القليلة.

عماد حياتها الاقتصادية على الرعي الذي يقل في الصيف، وتسود معظمه قبائل عربية دون أي تنظيم سياسي يجمعها أو يوحدها، لغتها العربية واحدة وثقافتها متنوعة

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٢٠، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٣٤٧.

وأعرافها متقاربة.

السكان:

في الجملة عرب، سوى أخلاط قليلة من الغرباء في المدن بالدرجة الأولى، ويكثر الفرس في البحرين، وفي اليمن هناك أخلاط محدودة من الفرس والحبشة كانوا يتنازعون السلطة في حواضرها قبيل مبعث الرسول ﷺ.[(١)]

كانت الكيانات القبلية تشكل الكتل البشرية ومنها القوة العسكرية تسود بينهم الصلات الحسنة أحياناً، والنزاعات القوية والحروب أحياناً أخرى.

عصبيتهم فيما بينهم قوية وشديدة، يتفاخرون بأصولهم وأنسابهم.

وترجع قبائل العرب إلى قسمين رئيسين ربيعة ومضر وهم العرب (العدنانية)، ومن أشهر قبائلها قريش وكنانة وأسد وقيس وتميم وهوازن وغطفان، ومن أشهر قبائل ربيعة (القحطانية) بكر وتغلب والأوس والخزرج وجهينة

(١) انظر : عبدالرحمن الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، ص : ٢٧.

وسليم، وقبائل اليمن وخزاعة.[(١)]

بعض الكيانات القبلية كانت تسكن الحواضر، وغالبيتها تعيش حياة البادية والترحال. كانت الأمية والجهل تسودان بلاد العرب كافة دون استثناء، ولم يكن أهلها جديرين بوضعهم الطبيعي في ذاك الزمان بأي منافسة مع مجاوريهم من أصحاب الحضارات الأخرى كالفرس والروم، وخصوصاً في مجالات التعليم والحضارة كالطب والعمارة وغيرها من مقومات الحضارة المادية البشرية، وكذلك في الجوانب الاقتصادية والعسكرية والسياسية وجوانب القوة المختلفة.

الجوانب الدينية.

كان معظم العرب وثنيين تنتشر بينهم عبادة الأصنام ولها مراكز مشهورة في بلاد العرب كافة، يقدمون إليها ليقدموا لها العبادة والقرابين ويطلبون منها العون والمساعدة كل حسب طريقته، ولم تسلم منها منطقة في بلاد العرب على الإطلاق حتى مكة موطن الحنيفية، وقد اشتهرت أصنام معينة لديهم، ورد ذكرها في القرآن الكريم ﴿

(١) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص ٧.

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ ﴾ [النجم].

﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ ﴾ [نوح].

وجدت مجموعات من يهود، تركزوا في منطقة المدينة المنورة (يثرب) وفي خيبر وهي قبائل يهودية مشهورة منهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة وكانوا يسكنون المدينة، إضافة إلى يهود خيبر وتيماء وفدك ووادي القرى، الذين يشكلون تجمعاً لا يستهان به.[(١)]

كما وجد بعض أفراد ومجموعات عرفوا بالموالي، يعودون لأصول غير عربية –في الغالب- في مختلف المراكز الحضرية، وقد شاركت الفئات المختلفة من عرب ويهود وموالٍ في أحداث السيرة النبوية دون استثناء.

كما انتشرت النصرانية بين بعض القبائل العربية،

---

(١) صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ج٢/١٤.

وانظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ١ "قبل البعثة"، ط٣، المكتب الإسلامي بيروت، ١٤٠٥هـ.

وكانت نجران من أهم مراكزها في بلاد العرب.[١]

كما عمت النصرانية قبائل معينة مثل قضاعة بحكم قربها من بلاد الروم، وتميم وتغلب وغيرها.[٢]

كانت النصرانية بين العرب كغيرهم قد تعرضت للتحريف وتحولت إلى وثنية، يعبدون فيها عيسى بن مريم ويقدسون قسسهم ورهبانهم ويقدمون أوامرهم على أوامر الله ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ [التوبة].

وقد عرف نصارى العرب بشيء من العلم والثقافة أكثر من غيرهم من المجموعات وتبادلوا ثقافتهم مع الروم وعرب الشام والعراق وخصوصاً المناذرة والغساسنة.[٣]

الحياة الاجتماعية.

---

(١) راجع : محمد بن عوض العتيبي، نجران في عصر النبوة والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للعام الجامعي ١٤٣٠هـ، غير منشورة.

(٢) عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج٣/٩٥٧.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣/١٥٥، ٣٨٧.

وتتـأثر كـثيراً بالحيـاة الدينيـة والمعتقـدات السـائدة، وقـد سـاد بـين العـرب دون اسـتثناء شـرب الخمـر ولعـب الميسـر وأكـل الربـا، كمـا كـان الرجـال لا يتورعـون عـن الزنـا، الـذي كانـت الحرائر تكرهه.[١]

وكان بعض منهم يقتل أولاده خشية إملاق ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء].[٢] وفي بعضهم نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ ﴾ [التكوير].[٣]

كمـا كـانوا يكرهـون البنـات ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النحل].[٤]

ولا يورثـونهن[٥] كمـا كـانوا يعـددون الزوجـات بـلا حـدود بل وبعض النساء تعدد الأزواج.[٦]

---

(١) راجع: محمود شكري الألوسي، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، ج٢/٤.
(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج١/١١١٦.
(٣) انظر: ابن كثير وتفسيره، ج٢/١٩٦٥.
(٤) انظر: ابن كثير وتفسيره، ج١/١٠٥٦.
(٥) ابن كثير، تفسير، ج١/١١١٦.
(٦) انظر: جواد علي المفصل، ج٥/٥٣٩. وانظر: حديث عائشة عند البخاري، في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي.ج٦/١٣٢

كمـا كـان بعضـهم يلجـأ إلى الاستبضـاع وهـو أن يصـيب الرجـل امـرأة غـيره في طهـر لم تجـامع فيـه حتـى تحمـل منـه ولـداً نجيبـاً.[١] وهـو مـا عـرف عنـدهم بنكـاح الـرهط وهـي المـرأة الـتي يقـع عليهـا جماعـة مـن الرجـال، فـإذا حملـت ألحقـت ولـدها بأحدهم[٢].

كما كان بعضهم يتزوج امرأة أبيه غصباً عنها وكانوا يجمعون بين الأختين.[٣] فجاء التوجيه القرآني: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾[النساء].

وقـد وجـدت بعـض الأخـلاق والعـادات الحسـنة عنـد العـرب في الجاهليـة منهـا إكـرام الضـيف والشـجاعة والفروسـية وقوة البديهة والذكاء وحب الحرية.[٤]

أمـا في مجـال اللغـة فكانـت العربيـة في أوج قوتهـا وفصـاحتها

(١) جـواد علـي، المفصـل، ج٥/٥٣٨؛ وانظـر: حـديث عائشـة عنـد البخـاري، في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي، ج٦/١٣٢.

(٢) انظر: محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج٢/٤

(٣) انظر: ابن كثير تفسيره، ج١/٤٥٣؛ جواد علي، المفصل، ج٥/٥٢٩.

(٤) انظر: جـواد علي، المفصـل، ج٥/٤٠٢؛ محمـود شـكري الألوسـي، بلـوغ المـرام، ج١/٤٦.

وبلاغتها مع اختلاف محدود في اللهجات.[١]

وكان البيان والبلاغة شديدة عندهم.

كان أقوى الشعراء وأخطب الخطباء وأبلغ أبلغاء ذوي شرف في كل القبائل بلا استثناء، يتفاخرون بشعرهم ويتنافسون بنثرهم، لغتهم أحسن لغة وأبلغها وأفصحها ومن ذلك جاءت معجزة رسول الله ﷺ في كتاب الله، متحدية لهم في أقوى جانب عندهم، كما كانت بلاغة رسول الله ﷺ في حديثه أروع البلاغة، عجزوا عن مجاراتها أو الإتيان بمثلها ناهيك أن يأتوا بمثل هذا القرآن ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

وما تزال معلقاتهم وقصائدهم وخطبهم[٢] من أروع ما شهدته اللغة العربية وإبدعها.[٣]

أحوال العالم الدينية في العصر الجاهلي:-

---

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص ١٢٣.

(٢) انظر: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة الجزء الأول.

(٣) انظر: أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ج٢/١٣؛ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، وجواد علي، المفصل، ج٩/٢٥٠.

لا شك أن العالم كبير وواسع ويصعب الإحاطة به على وجه العموم، وبالدرجة الأولى يمكن الحديث عن المناطق المتاخمة لبلاد العرب والتي أثرت وتأثرت في عصر السيرة النبوية وقد أوضح القرآن الكريم وبإيجاز الأوضاع العامة للعالم في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم].

وفي الناحية الدينية وهي الأساس المتحكم غالباً في تصرفات الناس كانت الديانتان السماويتان اليهودية والنصرانية ذات علم وكتاب وتراث[١].

اليهودية

ديانة حملها أتباع موسى عليه السلام من ذرية يعقوب_ إسرائيل_ حيث أنزلت عليه التوراة، وكانوا على التوحيد وجد فيهم أنبياء في أوقات متفرقة، وقد حرفوا التوراة وقتلوا أنبياءهم بغير حق، اشتهر من ملوكهم داود وسليمان الصالحين الأنبياء.

تفرقوا في الأرض بعد سقوط دولهم، حيث أقام قسم منهم في يثرب وخيبر انتظاراً لمبعث النبي ﷺ، لكنهم جحدوا وعاندوا وتكبروا وكفروا

(١) تمت الإشارة إلى الوثنية عند العرب، من خلال الحديث عن أحوال العرب قبل الإسلام في هذا الكتاب، وكذلك عند الحديث عن موطن الرسول ﷺ من هذا الكتاب

وعادوا رسول الله المبعوث للعالمين، وخالفوا وصية أنبيائهم سيئو الأدب مع الله،اشتهروا بأنهم أهل كتاب، حيث لديهم التوراة والأسفار المختلفة،أقرب إلى الحق من الوثنيين، ومع ذلك نالوا غضب الله بسوء أدبهم مع الله واتهامهم لله بالفقر والبخل: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة] ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة].

كما أنهم قتلوا أنبياءهم وكفروا بآيات الله وحرفوها ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [البقرة].

كانوا يؤذون الناس بغير حق ويستبيحون دماءهم وأموالهم ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران].

كما أنهم قدسوا أحبارهم وقدموا أقوالهم على الله وأوامره ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

كما حرفوا التوراة عمداً ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة].

ومع ذلك فقد كانوا يزعمون انتظار نبي آخر الزمان ليتبعوه ويعرفوا الحق الذي بعث به محمد ﷺ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة].

النصرانية.

ديانــة مــن يــزعم إتبــاع عيســى ﷺ، مــن أكثــر الــديانات انتشــاراً في العصــر الحاضــر، وهــم فــرق متعــددة، كانت ســائدة في الشــام والعــراق ومصــر والحبشــة وأوربــا الجنوبيــة والشــرقية، ومدعومة بقوة الروم السياسية والعسكرية والمالية.(١)

وأدى دخــول الــروم فيهــا إلى توثينهــا وإدخــال الشــرك فيهــا منــذ القــرن الرابــع المــيلادي علــى يــد قسـطنطين الأكــبر، حيــث خرجــت عــن التوحيــد وبــدأت بــتأليه المســيح وأصــبح مــن لا يعبــد المســيح يعــد خارجــاً علــى العقيــدة الرسميــة للكنيســة، وقوتهــا السياســية دولــة الــروم وخــدمها مــن غساســنة العــرب أو ملــوك الحــبش، ودخــل الصــراع بــين النصــارى في تفصــيلات مختلفــة حــول طبيعــة المســيح، واخــذ يكفــر بعضــهم بعضــاً ويحــارب بعضــهم بعضــاً، فوقــع الصــدام بــين نصــارى الــروم ونصارى مصر وقام العداء بينهم.(٢)

وكان نصارى العرب في الجاهلية غالباً من اليعاقبة(٣) الذين يرون

(١) انظر: فاروق الدملوجي، تاريخ الأديان، ص ٥٨٣.

(٢) لمزيد من المعلومات انظر: أبو الحسن الندوي ، **السيرة النبوية**، ص ٢٦.

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ص ٥٠٣.

- والعياذ بالله- أن الله هو المسيح وليس ابناً، وهم الذين رد عليهم القرآن: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

كما كان جزء من نصارى وفارس والعرب وخصوصاً في العراق نساطرة[١]، ويختلفون عن نصارى الروم وهم جميعاً كما قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة].

وجملة القول في كل أتباع النصرانية في العصر الجاهلي أنهم دخلوا الوثنية من أوسع أبوابها قبل بعثة النبي ﷺ كحالهم اليوم في عبادة المسيح وتأليهه.

المجوسية:-

تقوم ديانتها على عبادة النار بالدرجة الأولى، إضافة إلى بعض مظاهر الطبيعة كالكواكب والشمس وغيرها، [٢]

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص ٥٠٢.

(٢) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص: ٢٦.

كانـت لهـم معابـدهم الخاصـة المنتشـرة في إيـران وسـائر بـلاد فـارس، حيـث تقـف معهـا دولـة الفـرس وتحميهـا وتنشـرها في كـل أنحـاء الإمبراطوريـة الفارسـية ومـا يخضـع لهـا، وقـد دخلـت بـلاد العـرب وانتشـرت بالدرجـة الأولى في منطقـة البحـرين شـرقي الجزيـرة العربيـة، حيـث وجـد جماعـة مـن الفـرس أثـرت علـى السـكان المحلـيين، وانتشـرت معابـدها ومـا يتبعهـا من أساطير وكهان.

وكانـت الزرادشـتية ديانـة سـابقة للمجوسـية قيـل إن المجوسية تطورت عنها.[١]

البوذية :

ديانـة وثنيـة تعتمـد علـى عبـادة الأصـنام وتقـيم لـذلك الهياكـل والمعابـد ويخـدمها الكهنـة والسـحرة والمشـعوذين،[٢] وكانـت تنتشـر في الهنـد ومـا ورائهـا مـن جنـوب وشـرق آسـيا إلى الصين.

وتقوم هذه الديانة في زعمهم على تعدد الآلهة والصراع: ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا

(١) مهدي رزق الله. **صفوة السيرة النبوية**، ص: ٥١.

(٢) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص : ٢٧.

﴿ يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء]. وقد صاحبها في موطنها الديانة الهندوسية، التي أغرقت في زعم تعدد الآلهة وكثرتها حتى وصلت إلى الملايين عندهم.(١)

وتعد الوثنية العربية وعبادة الأصنام عند العرب سائدة في شتى أصقاع بلاد العرب، وخصوصاً في مكة المكرمة إلا أن البعد الفلسفي لم يكن بعمق الوثنيات الأخرى، فلم تكن لدى العرب ثقافة مكتوبة حول آلهتهم المزعومة وإنما كان في غالبه تقليداً أعمى وزعم بأنها تقرب إلى الله.

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر]، وأصروا على التمسك بأصنامهم ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح] واغرقوا في التقرب لأصنامهم والإشراك بها ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا

---

(١) انظر: أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية**،: ص ٢٨.

يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الأنعام].

وكـــانوا ينكـــرون البعـــث ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية].

الحال السياسية في العصر الجاهلي:

من المعلوم لكل ذي عقل أن الرسول ﷺ جاء بدين التوحيد وإخلاص العبادة لله، وأنه أقام دولة، أسس لها نظاماً ساسها بالشرع والدين، وأقامها بالعدل حتى صارت في آخر حياته ذات كيان قوي، تمكنت بعد وفاته ﷺ أن تسقط الدول المجاورة لها وتضعف بعضها، وتسيطر على مناطق شاسعة منها، لتنشر التوحيد وتحيي الناس على عبادة خالقهم، بعد أن سرقهم الطغاة وأضلوهم، وبالتالي فلابد من إلمامة سريعة بالوضع السياسي لبلاد العرب وما جاورها، قبيل مبعث رسول الله ﷺ.

أحوال العرب السياسية :

قبل أن نبدأ الحديث عن الدعوة الإسلامية وما تبعها من قيام الدولة، لا بد لنا أن نلمَّ إلمامة سريعة بشيء عن الحكومات والنظم التي سبقت الإسلام، سواء في مهبط الإسلام الجزيرة العربية أم في البلاد التي استطاع المسلمون فتحها ونشر الإسلام فيها وتنظيم أمورها الداخلية خلال عصر الخلفاء الراشدين في فارس والعراق، أو في الشام

ومصـر وغيرهـا ، حتـى نسـتطيع أن نـدرك الفـرق بـين هـذه الـنظم الـتي كانـت قائمـة قبـل الإسـلام ، وبـين التنظـيم الجديـد لهذه البلدان والأقاليم خلال عهد الرسول ﷺ وما تلاه.

لم يكـن هنـاك نظـام واضـح محـدد في الجزيـرة العربيـة ، وخصوصـاً في وسـطها ، ولم تكـن هنـاك دولـة يشـار لهـا بالبنان ، حيـث سـادت الأنظمـة والأعـراف القبليـة ، ومـع ذلـك فقـد عـرف في وسـطها وجـود مملكـة لـبني حنيفـة ، وإن كانـت اسميـة لا يتضـح لهـا نظـام وقـد كتـب رسـول الله ﷺ لملكهـا هوذة بن على الحنفي.(١)

كمـا عرفـت مملكـة في البحـرين غـير واضـحة المعـالم أيضـاً وإن كـان الأرجـح أنهـا خاضـعة للفـرس ونفـوذهم إلى حـد كـبير، (٢) وقـد كتـب الرسـول ﷺ لملكهـا المشـهور المنـذر بـن سـاوي العبـدي ، (٣) الـذي أسـلم وأسـلم معـه جمـعٌ مـن العـرب

---

(١) انظر : كتب الرسول ﷺ لملوك العالم(كتابه لهوذه بن علي الحنفي) ضمن هذا الكتاب.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص : ٨٩.

(٣) انظر كتب الرسول ﷺ لملوك العالم(كتابه للمنذر بن ساوي العبدي) ضمن هذا الكتاب.

والفرس من أهل البحرين.[(١)]

ولا يمكننا ــ في هذا النطاق ــ معالجة حال بلاد العرب السياسية أو نظمها الإدارية دون أن نفرق بين ممالك كانت قائمة ــ كما في اليمن ــ وبين مدن ذات طابع سياسي أقل تنظيماً وإدارة كما في مكة والمدينة قبيل الإسلام. ولا بد لنا من معالجة وجيزة للحال السياسية والإدارية للقبائل البدوية المنتشرة في مختلف أنحاء الجزيرة العربية.

الأعراب:-

توجد في بلاد العرب الكثير من القبائل المنتشرة، وكانت كل قبيلة تنقسم إلى عدة أفخاذ وبطون يجمعها رابط أساسي هو رابط الدم والقرابة بالدرجة الأولى، ويفرقها هذا الرابط أيضاً.

وكانت كل قبيلة تدير شئونها بنفسها، وتحل مشكلاتها عن طريق زعماء القبيلة وحكامها، وهذه القبائل في العادة ترفض الخضوع لتنظيم سياسي معين، إلا أنه يوجد في كل قبيلة زعيم معيَّن تهبّ إليه عند الحاجة، فيتشاورون فيما بينهم، ويتخذون قراراً جماعياً في مجلس ذلك

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ٨٩ - ٩٠.

الشيخ،[١] ومع ذلك فإنه لم تكن هناك جهات رسمية تنفيذية تقوم بأعباء الإدارة والتنظيم ومتابعة الأوامر، إذ لم يكن هناك موظفون معينون أو دواوين أو ما إلى ذلك[٢] إلا أنه في حال تعرض القبيلة لهجوم معاد من إحدى القبائل الأخرى، كعادة العرب في العصر الجاهلي، فإن القبيلة بكاملها تهب للدفاع عن نفسها وتستعد استعداداً كاملاً لمثل هذه الأمور، وهكذا فإننا لا يمكن أن نلمس نظاماً سياسياً معيناً لدى هذه القبائل يمكن أن يوجه دفة الأمور بدقة في شئون القبيلة.

وقد جرت في الجزيرة العربية عدة محاولات في بعض القبائل لإقامة مملكة أو نظام ملكي، عن طريق تتويج أحد أفراد القبيلة ملكاً، إلا أن معظم هذه المحاولات لم تنجح، كما حدث في بني حنيفة.[٣]

---

(١) د. صالح أحمد العلي، **محاضرات في تاريخ العرب**، الجزء الأول "الدولة العربية قبل الإسلام" ١٩٦٠م بدون مكان الطبع ج١/١٥٨.

د. صبحي الصالح، **النظم الإسلامية نشأتها وتطورها**، ط٥، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٥٠.

(٢) مولوي: س. ا. ق. حسيني، **الإدارة العربية**، ترجمة د. إبراهيم أحمد العدوي مراجعة عبدالعزيز عبد الخالق، مكتبة القاهرة بدون تاريخ ص ٢٣.

(٣) د. صالح أحمد العلي، **المرجع السابق**، ج١/١٦٠.

مكة والمدينة:-

لا بد لنا من الإلمام بما كانت عليه الأحوال السياسية في مكة والمدينة قبيل الإسلام، وكان هناك تأثير لهذه الأحوال على بعض تطبيقات النظم الإسلامية فيما بعد، خصوصاً أن مكة و المدينة أرض الإسلام الأولى.

كانت تعيش في مكة وما حولها قبيل الإسلام بعض القبائل أهمها قريش.(١)ومكة منذ القدم كانت مقدسة لدى العرب عموماً، يفد إليها الحجاج من مختلف بلاد العرب، و بذلك فهي ذات مكانة وحرمة خاصة، كما أن أهل مكة كانوا تجاراً حاذقين ينتقلون للتجارة بين اليمن والحجاز والشام والعراق وغيرها، فيما عرف برحلة الشتاء والصيف(٢) ،التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ ﴾

---

(١) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ترتيب وضبط يوسف أسعد داغر، ط٢، دار الأندلس، بيروت ١٩٧٣ ـ ١٣٩٣هـ، ج٢/٣٣.

(٢) انظر: الموسوي، محمد بن عبدالله المعروف بـ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، تحقيق محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط٢، بيروت ١٣٨٥هـ.

الحليسي: نواف بن صالح، رحلة الشتاء والصيف_قريش ومنهجها التجاري والاقتصادي_ط١، ١٤١٤هـ. د.م.

[قريش] .

وهـم بـذلك يكتسبون خـبرات سياسـية واجتماعيـة تميـزهم عـن القبائـل الأخـرى، رغـم أن الطـابع العـام في مكـة كـان يشـبه النظـام القبلـي، حيـث لا توجـد حكومـة مركزيـة معينـة مسـئولة عـن إدارة البلـد وتنظيمهـا، وهنـاك مـا يعـرف بـ(دار النـدوة) يجتمـع فيهـا كبـار القـوم مـن قـريش يتبـاحثون فيهـا حـول أهـم شـئونهم الحربيـة والاجتماعيـة والتجاريـة، [١] كمـا أن هنـاك اجتماعـات أخـرى جانبيـة تنـاقش فيهـا هـذه الأمـور تعقـد في الغالـب في حلقـات حـول الكعبـة، [٢] إلا أنـه لم تكـن هنـاك إدارة تنفيذيـة تقـوم بالمهـام المتفـق عليهـا إلا في الأحـوال النـادرة، فمـثلاً في حـال الحـرب يعطـون الرايـة إلى شـخص أو أشـخاص معيـنين، وفي حـال التفـاوض مـع قبائـل معينـة لعقـد حلـف يختـار أشـخاص معينـون يقومـون بتنفيـذ المهمـة، [٣] كمـا كـان هنـاك قـواد مختصـون بقيـادة القوافـل التجاريـة، أمـا مـا عـدا

---

(١) جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٤/٤٤.

(٢) مولوي. س. أ. حسيني: **الإدارة العربية**، ص ٢٨.

(٣) صبحي الصالح: **النظم الإسلامية**، ص ٤٦؛ د. جواد علي: **المفصل**، ج٤/٦٩.
مولوي. س. أ. حسيني: **الإدارة العربية**، ص ٢٧.

ذلك فلا نكاد نلمس نظاماً سياسياً معيناً يدير شئون البلد إدارة كاملة ، كما في بعض الممالك المجاورة لبلاد العرب ، بل على العكس نرى أهل مكة يرفضون أن يملكوا عليهم رجلاً منهم أرسله (قيصر الروم) ويتهكمون به.[١]

ولعل ذلك مما ساعد على وجود الظلم والفساد في المجتمع المكي[٢].

أما في المدينة المنورة، فكان الوضع مختلفاً عن مكة إلى حد ما، حيث كان يسكن المدينة خليط من العرب من الأوس والخزرج وجماعات مختلفة من اليهود[٣] على رأسهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وقد كان لهذا التنوع في السكان دور كبير في اضطراب الأمور فيها، وعدم وجود نظام سياسي يحكم المدينة قبيل الإسلام، فهناك اضطرابات متكررة نظراً للحروب التي كانت تقوم بين

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٤٤، حاشية (٢)؛ وابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ص ١٥٤؛ والزبيري، نسب قريش، ص ٢١٠.

شلبي: رؤوف، المجتمع العربي قبل الإسلام، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٣٧

(٢) محمود شاكر، السيرة النبوية، ص٣٣.

(٣) جواد علي، المفصل، ج٤/١٣١؛ محمد العيد الخطراوي، المدينة في العصر الجاهلي، ص٥٥، ٦٨.

الأوس والخــزرج بــين الحــين والآخــر[١] بتذكيــة مــن يهــود المدينة.

أمـا يهـود المدينـة أنفسـهم فكـان لـديهم شـيء مـن التنظـيم الـداخلي فيمـا بيـنهم، يـدل علـى ذلـك انتشـار حصـونهم وتنظيمها، ووجود زعماء محددين يتحدثون باسمهم.

وبالنسـبة للعـرب في المدينـة مـن الأوس والخـزرج، فقـد كـانوا في الغالـب يعتمـدون علـى التنظـيم القبلـي السـائد عنـد الأعـراب في البـوادي، رغـم أنهـم سـكان مـدن وقـرى إلا أنهـم تنظيميـاً يصـطبغون بالصـبغة القبليـة، وبـذلك سـهل علـى اليهـود السـيطرة علـيهم،[٢] وإيقـاع المشـاكل بيـنهم، واسـتمر الوضـع في المدينـة دون إدارة أو تنظـيم مسـئول عـن شـئون البلد ومصالحها المختلفة حتى ظهور الإسلام.

ممالك العرب قبل الإسلام

مملكة الحيرة:-

---

(١) جواد علي، المفصل، ج٤/١٣٨؛ صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٤٨؛ محمد العيد الخطراوي، المدينة في العصر الجاهلي، ص ١٤٦.

(٢) د. محمد عمارة، **الإسلام وفلسفة الحكم**، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩م، ص ٥٠.

كانت قائمة قبيل الإسلام في مدينة الحيرة في العراق في المناطق المجاورة للفرات، يسكنها العرب إضافة إلى بعض الفرس والأنباط،[1] إلا أن السيطرة فيها كانت للمناذرة وملوكهم، وكانوا يخضعون لكسرى فارس خضوعاً تاماً، حتى أنه يمكننا أن نطلق عليهم تسمية (عرب الفرس). إلا أن سكان الحيرة في الغالب من النصارى،[2] وبهذا يخالفون الفرس في الديانة. ولم يمنع هذا من تبعيتهم للفرس، ومن أشهر ملوكهم (النعمان بن المنذر) الذي قام كسرى فارس بإعدامه تحت أقدام الفيلة حينما تجرأ على مخالفته،[3] وهذا يعطينا دلالة قوية على تحكم الفرس بهؤلاء الملوك، ويعتقد كثير من المؤرخين أن مملكة الحيرة قامت بغرض حماية الحدود الغربية للإمبراطورية الفارسية من هجمات

---

(١) جورجي زيدان، **العرب قبل الإسلام**، مراجعة وتعليق د. حسين مؤنس، دار الهلال القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٢٤.

د. صالح أحمد العلي، **محاضرات في تاريخ العرب**، ج١/٧٤.

(٢) د. صبحي الصالح، **النظم الإسلامية**، ص ٤.

جورجي زيدان، **المرجع السابق**، ص ٢٢٥.

(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٢/٧٨.

السيد عبدالعزيز السالم، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ٢٤٣؛ جواد علي، المفصل، (٣/١٥٥).

الأعـراب، بـل إن أكثـر المصـادر العربيـة تسـمي ملـك الحـيرة أحيانـاً عامـل كسـرى علـى الحـيرة، [١] وتعـده واليـاً مـن قبـل كسرى على هذه البلاد.

وقـد اشـتبك المسـلمون مـع مملكـة الحـيرة أثنـاء الفـتح الإسـلامي للعـراق، واسـتطاع خالـد بـن الوليـد ﷺ أن يـدخل الحـيرة بعـد أن صـالح واليهـا مـن قبـل كسـرى (إيـاس بـن قبيصـة الطـائي)، [٢]وقـد كانـت هـذه المملكـة مسـرحاً للعديـد مـن العمليـات الحربيـة الـتي وقعـت في بدايـة البعثـة النبويـة بـين الفرس والروم، [٣] نظراً لقربها من الحدود وبين الدولتين.

أمـا التنظـيم الإداري في هـذه المملكـة فـلا شـك أنـه كـان قائمـاً، إلا أنـه لا يمكننـا تحديـد هـذا النظـام بدقـة، علـى الـرغم مـن معرفتنـا بـأن هنـاك ملكـاً معينـاً يـدير شـئون هـذه الـبلاد،

---

(١) أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم، **كتاب الخراج**، نشره قصي محب الدين الخطيب ط٥، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٩٦هـ، ص ١٥٤. والبلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ، ص ٢٤٤.

(٢) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٢٤٤، أبو يوسف، **الخراج**، ص ١٥٤.

(٣) جورجي زيدان، **المصدر السابق**، ٢٤٠.

وانظر:ولداده محمد، جزيرة العرب مصير أرض وأمة(قبل الإسلام)، ط١مطابع الفرزدق الرياض، ١٤٠٧هـ، ص١٦٩.

يعاونه بعض القواد ومجموعات كبيرة من الجنود، [1] يستعين بهم ملك الحيرة في حروبه التي كانت في الغالب موجهة لصالح مملكة الفرس. [2]

مملكة غسان:

وجدت مملكة الغساسنة في الشام قبل الإسلام بفترة طويلة، [3] وقد تردد اسم هذه المملكة العربية كثيراً في المصادر الإسلامية؛ نظراً لارتباطها الشديد بالأحداث العظيمة التي صاحبت الفتح الإسلامي في بلاد الشام، حيث إن ارتباط هذه المملكة بالروم جعل الروم يدفعون بهم عدة مرات لمواجهة الجيش الإسلامي الفاتح في معارك عديدة، منفردين أو مشاركين للروم بحكم ديانتهم في تلك المعارك، كاليرموك وغيرها.

وقد كان الغساسنة حكاماً على مناطق محددة في الشام

---

(١) د. صالح أحمد العلي، **محاضرات في تاريخ العرب**، ج١/٧٦.

(٢) نينا فكتور بيغولفيسكيا، **العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للفنون والآداب الكويت ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص٩٧.

(٣) محمد أحمد باشميل، **العرب في الشام قبل الإسلام**، الطبعة الأولى، دار الفكر بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص ١٨٦.

شبه مستقلة مركزها دمشق، إلا أنهم كانوا يخضعون لملوك الروم خضوعاً كاملاً، ويعدون جزءاً من مملكة الروم، ويعين ملوكهم من قبل ملك الروم نفسه، [١] ويستفيد منهم الروم عسكرياً، حيث يستخدمونهم بالدرجة الأولى في مواجهة المناذرة في الحيرة الذين كانوا كثيراً ما يعتدون على الحدود الشرقية للروم. [٢]

وقد دانت مملكة الغساسنة بالنصرانية، وهي الدين الرسمي للدولة البيزنطية، إلا أنه كان هناك خلاف مذهبي بينهما[٣] ومع ذلك فقد استفاد منهم الروم في ضبط الحدود الشرقية والجنوبية لإمبراطوريتهم مما يلي بلاد العرب والساسانيين، [٤] كما اشتركوا مع الروم في صد هجمات

---

(١) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٨٣/٢. محمد أحمد باشميل، **المرجع السابق**، ص١٩٣.

(٢) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي، **تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر**، مؤسسة الأعلمي بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ج٢٧٩/٢. السيد عبدالعزيز سالم، **دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ص١٩٩، محمد أحمد باشميل، **المرجع السابق**،ص٢٠٢؛ جواد علي، المفصل، (٣٨٧/٣).

(٣)د. صبحي الصالح، **النظم الإسلامية**،ص٤٢ ومحمد أحمد باشميل، **المرجع السابق**،ص٢١٦.

(٤) نينا فكتور بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص٢١٧.

المسلمين على الشام أثناء الفتوحات الإسلامية لتلك البلاد.

وقد تردد الكثير من الشعراء العرب على ملوك الغساسنة في الشام، مادحين، وحفظت بعض قصائدهم شيئاً من تاريخ هؤلاء الملوك، [١] غير أنه يصعب علينا معرفة الحال الإدارية لهذه الدولة، إلا أنه يمكننا أن نعدها جزءاً من إمبراطورية الروم، وتنظيمها العام، ونطلق عليهم تسمية (عرب الروم)، ويبدو أن المراكز الرئيسية المحصنة في بلاد الشام التي تقع في نطاق مملكة الغساسنة كانت تدار بصفة مباشرة من قبل موظفين تابعين للقسطنطينية.[٢]

وقد كان آخر ملوك الغساسنة في الشام هو (جبلة بن الأيهم الغساني)[٣] الذي قاوم المسلمين واشترك إلى جانب الروم في معركة اليرموك وغيرها، ثم أعلن إسلامه فيما بعد، إلا أنه ارتد حين أراد عمر أن يقتص منه لأعرابي

د. صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١/٥٦.

(١) د. السيد عبدالعزيز السالم، المصدر السابق، ص٢١٢.

(٢) د. صالح أحمد العلي، **محاضرات في تاريخ العرب**، ج١/٥٦. د. جواد علي، **المفصل**، ج٣/٤١٩.

(٣) انظر تفاصيل قصته عند ذكر كتاب الرسول إليه ﷺ في موضوع كتب الرسول ﷺ لملوك العالم من هذا الكتاب.

بـلطمه، فهـرب إلى القسـطنطينية وعـاد إلى النصـرانية وبقـي عليهـا حتـى مات، سـنة ثـلاث وخمسـين للـهجرة[١] وكانـت نهايـة مملكـة الغساسـنة في الوقـت الـذي انتهـت فيـه سـيطرة الـروم على الشـام بعـد الفـتح الإسـلامي العظـيم أيـام عمـر بـن الخطاب ﷺ.

اليمن.

قامـت في الـيمن في الجاهليـة ممالـك عربيـة اشـتهرت بقوتهـا وتعـددت ملوكهـا، إلا أن الأحـوال في الـيمن قبيـل الإسـلام قـد تغـيرت، إذ اسـتولى عليهـا الأحبـاش بتحريـك مـن الـروم، ونـازعوا أهـل الـبلاد مـن العـرب، إضـافة إلى الفـرس ومـن ينـوب عـنهم، وكـان لهـذا التنـازع دور كـبير في اضـطراب الأحـوال في هـذه المنطقـة بعـد سـقوط حكـم الحميريـين علـى يـد الأحبـاش،[٢] ومـن ثـم تـولى الأحبـاش حكـم الـيمن لمـدَّة مـن الـزمن، اسـتطاعوا خلالهـا أن يمـدوا سـلطانهم إلى منـاطق تهامـة المجـاورة للـيمن، وحـاولوا الوصـول إلى مكـة لـولا

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/٦٣ السيد عبدالعزيز السالم، **المرجع السابق**، ص ٢٢٦؛

(٢)د. السيد عبدالعزيز السالم، **المرجع السابق**،ص ١٣٢. د. صالح أحمد العلي، **المرجع السابق**، ص٢٩.

حادثة الفيل[١] التي وردت في القرآن الكريم.

كانت معاملة الأحباش التعسفية لأهل اليمن دافعاً لهم لطلب النجدة من فارس للمساعدة على طرد الأحباش من اليمن.[٢] وقد قام كسرى بإرسال مجموعة كبيرة من المساجين الفرس إلى بلاد اليمن استطاعوا بمساعدة السكان المحليين طرد الأحباش من اليمن وإقامة حكومة مشتركة بين العرب من أهل اليمن والفرس الذين أرسلهم كسرى، جعلوا رئاستها إلى سيف بن ذي يزن الحميري الذي لم يلبث إلا قليلاً حتى استطاع بعض الأحباش قتله غيلة،[٣] وانقضى بذلك ملك حمير، وصارت اليمن بأيدي عمال من الفرس[٤] استمروا عليها حتى هاجر الرسول ﷺ، فأرسل إلى حاكم اليمن (باذان) فأسلم، وأسلم من كان معه من

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٥٢.

(٢) السيد عبدالعزيز سالم، **المرجع السابق**، ص ١٤٦. د. جواد علي، **المفصل**، ج٣/٥٢٦. د. صالح أحمد العلي، **المرجع السابق**، ٣٠.

(٣) جواد علي، **المفصل**، ص٥٢٧. د. صالح أحمد العلي، **المرجع السابق**،ص٣١. د. السيد عبدالعزيز السالم، **المرجع السابق**، ص١٥٠.

(٤) المسعودي، **مروج الذهب**، ج٢/٨٥؛ د. صالح أحمد العلي، **المرجع السابق**،ص٣١؛جواد علي، **المفصل**، ص ٥٢٤.

الأبنـاء[1] ودخلـت الـيمن في الإسـلام، وأصـبح لهـا دورهـا الرئيسـي، ثـم حـدثت نكسـة أثنـاء الـردة حـين خـرج الأسـود العنسـي الكـذاب متنبئـاً، إلا أن المسـلمين مـن الفـرس وبعـض القبائـل الأخـرى مـن بقـي مـنهم علـى إسـلامه اسـتطاعوا القضـاء علـى الأسـود العنسـي الكـذاب،[2] وإعـادة الـيمن إلى الإسلام.

فارس.

قامـت فيهـا دولـة قويـة منـذ القـدم مـرت بمراحـل حضـارية متطـورة في تلـك الأيـام، إلا أن مـا يهمنـا معرفتـه عـن مملكـة فـارس هـو السـنوات الأخـيرة الـتي سـبقت احتكـاك هـذه الدولـة بالإسـلام عـن طريـق الفتـوح، ومحاولـة معرفـة طبيعـة هذه الدولة والنظم السائدة فيها باختصار شديد.

قـام نظـام الحكـم في فـارس علـى تنظـيم ملكـي اسـتبدادي طبقـي يميـز بـين النـاس، فالملـك الساسـاني في نظـرهم صـاحب حـق إلهـي يسـتطيع أن يفـرض مـا يريـد مـن نظـام وأن يوقـع مـا

---

(١) ابن هشام، **المصدر السابق**، ج١/٦٩.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، ج١، المطبعة الحسينية بالقاهرة، بدون تاريخ ج٣/٢٦٤.

يشاء من عقوبات في حق مخالفيه،[١] كما أن الملك الفارسي يشرف بنفسه على بقاء التفرقة بين الناس والأسر حسب النظام الطبقي الموضوع، وكل من يحاول مخالفة ذلك يتعرض لعقوبات خطيرة قد تصل إلى القتل، ومن ينتمي إلى الأسرة الملكية لا يمكنه أن يتزوج من العامة وإلا تعرض لتلك العقوبات الصارمة.[٢] وبناء على هذه التفرقة الطبقية، كان الكثير من الظلم يقع على رعايا الدولة الفارسية، وعلى وجه الخصوص عامة الشعب.

وقد كانت الدولة تعتمد على جيش قوى منظم يتميز أفراده عن بقية الناس في اللباس، وأُلزم العامة أن يؤدوا التحية لرجال الجيش بالسجود لهم،[٣] كما أن الجنود ملزمون باحترام قوادهم واحترام الأشراف الأعلى منهم درجة، كان الملك يدير دفة المملكة بنفسه، يساعده حكام

(١) صبحي الصالح، **النظم الإسلامية**، ص٣٠؛ محمد عمارة، **الإسلام وفلسفة الحكم**، ص٥١؛ ول ديورانت قصة الحضارة .ج٢ م ١، **الشرق الأدنى**، ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٦١، ص٤١.

(٢) د. يحيى الخشاب، **تفسير أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام**، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٤٠؛ صبحي الصالح، **النظم الإسلامية**، ص٣٠.

(٣) د. يحيى الخشاب، **المصدر السابق**،ص ٤٨؛ ول ديورانت، **المرجع السابق**،ص ٤١٧.

الولايات وهم المسمون بالمرازبة، [١] إضافة إلى بعض الأمراء في الأقاليم وهم من ملاك الأراضي الواسعة، ويسمون الدهاقين، والذين يتردد ذكرهم كثيراً في المصادر الإسلامية أثناء الحديث عن الفتوح في فارس، ولا شك أن هؤلاء الدهاقين كانوا يؤدون أموراً إدارية تخدم مصلحة الدولة، ويقومون بجباية الضرائب من الفلاحين والعمال وإرسالها إلى خزينة الدولة في العاصمة [٢].

كي يخدموا الملك وحاشيته في ترفهم العظيم الذي لم يكن له نظير، حيث اشتهر عن ملوك الفرس جمعهم للكنوز والذخائر وإسرافهم الشديد في الملابس والأطعمة حتى كان يضرب بهم المثل، [٣] بل إن الدهاقين أنفسهم كانوا ينفقون النفقات الطائلة على لذاتهم وشهواتهم.

وكان هذا الترف الشديد لدى الملك نفسه وأمراء الأقاليم يدفعهم إلى فرض الضرائب الباهظة على المزارعين

---

(١) آرثر كريستنسن، **إيران في عهد الساسانيين**، ترجمة د. يحيى الخشاب، مراجعة عبدالوهاب عزام، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٨٨.

(٢) د. صبحي الصالح، **النظم الإسلامية**، ٣٥؛ ول ديورانت، **المرجع السابق**، ج١ م١، ص٤٢١؛ آرثر كريستنسن، **المرجع السابق**،ص١١٢.

(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، ج١/ ١٩٣- ١٩٤ - ٣٠٣.

والعامـة، وبالتـالي كـان الشـعور بـالظلم لـدى الرعايـا شـديداً نتيجـة مـا يدفعونـه مـن ضـرائب عـن مختلـف المحاصـيل الزراعيـة، إضـافة إلى مـا يـدفع مـن ضـرائب عـن النشـاط التجـاري، ومـا يشـبه الجزيـة علـى الـرؤوس يـدفعها عامـة الشـعب عـدا رجـال الـدين والأشـراف والجنـود فهـم معفـون مـن الجزيـة.[١] ولا شـك أن إدارة هـذه الضـرائب وضـبطها كانـت تحتـاج إلى مجموعـة مـن المـوظفين، وإلى عـدد مـن الـدواوين لضـبط هـذه الأمـور وحسـن تصـريفها، كمـا أن هنـاك بعـض المفتشـين الـذين ترسـلهم العاصـمة إلى الأقـاليم ليفحصـوا سـجلاتها وشـئونها الإداريـة والماليـة،[٢] ويضـبطوا ما يدفعه الناس من ضرائب.

وقـد عانـت الدولـة الفارسـية في أواخـر أيامهـا وقبيـل الفـتح الإسـلامي مـن حـروب شـديدة وقاسـية مـع الـروم أثـرت عليهـا، ممـا دفعـا لفـرض المزيـد مـن الضـرائب علـى رعاياهـا،[٣] وبالتـالي زاد السـخط مـن الرعيـة علـى النظـام الفارسي، ومهد لدخول الإسلام في بلاد فارس.

---

(١) د. صبحي الصالح، **النظم الإسلامية**، ص٣٦.

(٢) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج٢ م١ ص ٤٢.

(٣) آرثر كريستنسن، **المرجع السابق**،ص١١٢.

الروم: [(١)]

من المعروف أن مصر والشام وشمال إفريقيا كانت ولايات تابعة لإمبراطورية الروم، ومركزها القسطنطينية وتمتد شرق ووسط أوروبا، وقد كان المسيطر الفعلي على الحكم في هذه المملكة هو الإمبراطور نفسه الذي كان له الحق في اتخاذ القرارات، يساعده في عمله لجنة فرعية تعمل معه، [(٢)] وأما حكم المقاطعات فكان عسكرياً في الغالب، حيث تتوزع معسكرات الجنود على الولايات المختلفة، لهم معسكراتهم وقواعدهم العسكرية الخاصة، ولم يمنع هذا من وجود موظفين يقومون بالكثير من الأعمال. [(٣)] وقد حدثت حروب كثيرة بين الفرس والروم قبيل الإسلام قوَّت النظام

---

(١) سميت سورة من سور القرآن الكريم باسم الروم، وأشارت إلى الحروب الدائرة بينهم وبين أعدائهم من الفرس.

(٢) ستيفن رنسيمان، **الحضارة البيزنطية**، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، مراجعة زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦١م، ص ٨.

(٣) **المرجع السابق.**

نورمان بينز، **الإمبراطورية البيزنطية**، تعريب د. حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، القاهرة ١٩٥٠م، ص ١٧.

العسكري وزادت من الحاجة إليه،[١] وبالتالي اضطربت الأمور في كثير من الولايات في الشام ومصر والجزيرة وغيرها، تبعاً للمد والجزر في هذه الحروب الفارسية الرومية التي استمرت مدَّة طويلة من الزمن قبيل الإسلام، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله : ﴿ الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ ﴾[الروم]، كما أن نظام الضرائب المفروض في الولايات الرومية كان يشعر الناس بالإرهاق، فهناك ضرائب على الأراضي، وضرائب على الحيوانات، وضرائب على الممتلكات المختلفة، إضافة إلى الضرائب الموضوعة على الرؤوس،[٢] وقد تسببت الحروب المذكورة مع الفرس في إفلاس الدولة، مما دفعها في عهد هرقل إلى الاستدانة من أصحاب الثروات، وبالدرجة الأولى من الكنائس التي تمتلك الأموال الطائلة. إضافة إلى ذلك فإن هذه

---

(١) رنسيمان، **المرجع السابق**،ص٩٧.

أسد رستم، **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، الطبعة الأولى، دار الكشوف، بيروت ج١/٢٢٣.

(٢) رنسيمان، **المرجع السابق**،ص١١٢؛ د. صبحي الصالح، **النظم الإسلامية**، ص ٢٤، ٢٦.

الظـروف الحربيـة دفعـت الدولـة إلى فـرض المزيـد مـن الضرائب على الناس.[1]

وتقتضـي هـذه الضـرائب بطبيعـة الحـال وجـود العديـد مـن المـوظفين والكتبـة، إضـافة إلى الـدواوين الـتي تحفـظ فيهـا سـجلات الضـرائب وغيرهـا وتضـبطها، كمـا وُجـد لـدى الـروم ملتزمـون يقومـون بجبايـة الضـرائب والخـراج لأنفسـهم، مقابـل التـزام بمبـالغ معينـة يـدفعونها إلى خزينـة الدولـة، وهـم بهـذا يوقعـون الظلـم علـى النـاس، حتـى يسـتطيعوا الالتـزام بهذه المبالغ التي ضمنوها للدولة.[2]

وبمـا أن الديانـة العامـة للدولـة هـي (النصـرانية) فقـد كـان لرجـال الـدين مكانـة خاصـة في الدولـة، كمـا أن الكـثير مـن الضـرائب كانـت تفـرض علـى النـاس لصـالح الكنيسـة، إضـافة إلى أن الكنيسـة ورجالهـا يقومـون بمعاقبـة كـل مـن تسـول لـه نفسـه مخالفـة أوامـرهم،[3] وتكثـر الخلافـات القائمـة بـين

---

(١) نورمان بيتز، **المرجع السابق**، ص ١٣٠. صبحي الصالح، **النظم الإسلامية**، ص٢٤.

(٢) نورمان بيتز، **المرجع السابق**، ص١٣٥؛ مراد محمد علي، **الأساليب الإدارية في الإسلام**، ص ٤٧؛ د. صبحي الصالح، **النظم الإسلامية** ص٤٣.

(٣) د. أسد رستم، **المرجع السابق**، ج١/١٣٨.

الكنـــائس بعضـــها مـــع بعـــض، وتـــؤدي إلى المنازعـــات والخلافـات العقائديـة الـتي تصـل إلى مراحـل قويـة مـن العـداء بـين بعـض الولايـات وبعضـها، نتيجـة اتبـاع مـذاهب مختلفـة، وقـد حاولـت الدولـة فـرض المـذهب اللاهـوتي السـائد في القسـطنطينية[١] علـى بـاقي الولايـات[٢] وخصوصـاً في مصـر، مما أوجد عداءً شديداً بين الأقباط والروم.

وهكـذا نـرى أن معظـم الولايـات في الدولـة البيزنطيـة قبيـل الفـتح الإسـلامي كانـت تعـيش تنظيمـاً عسـكرياً خاصـاً وصارماً، ولا سيما مع بدأ الفتوحات الإسلامية.

هـذا بالإضـافة إلى أن كـثيراً مـن النـاس في الدولـة البيزنظيـة كـانوا يحسـون بالاضـطهاد والظلـم، نتيجـة لنظـام الضـرائب وتـدخل الدولـة في الشـئون الدينيـة وتأييـدها لـبعض المـذاهب الدينيـة علـى حسـاب بعـض المـذاهب الأخـرى، كـل هـذا

---

(١) كان المذهب السائد في القسطنطينية هو المذهب (المنوفستي ـ المونوفيزي ـ والذي يختلف مع الأرثوذكس في تفسير طبيعة المسيح. وقد لاقى هذا المذهب دعماً من هرقل في مواجهة المذاهب الأخرى خصوصاً في مصر والشام ضد اليعقوبية والقبطية والأرمنية (د. عبد القادر أحمد اليوسف، **الإمبراطورية البيزنطية**، بيروت، ١٩٦٦، ص ٩٨).

(٢) نورمان بنز، **المرجع السابق**،ص ١٠٢؛ رنسيمان، **المرجع السابق**،ص ١٢٨.

أوجـد مناخـاً خاصـاً سـبق الفتـوح الإسـلامية لهـذه الـبلاد ومهـد لها.

العالم وانتظار الرسول:

كان إبراهيم عليه السلام وأبناؤه من بعده موحدين، ودعا الله سبحانه وتعالى أن يجدد التوحيد في بنيه، وفي ساكني البيت الحرام، فكانت دعوته في القرآن الكريم: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة]. ولذلك كان الأحناف ينتظرون استجابة دعوته.

اليهود.

أقام يهود في المدينة وخيبر انتظاراً لمبعث الرسول ﷺ[1] فلما ظهر من غيرهم كفروا به. وقد أشارت الآيات إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة].

وجاءت أخبار كثيرة عن يهود وعلمائهم زمن النبي ﷺ تبين معرفتهم التامة بصفاته ﷺ(٢). وقد أدت هذه المعرفة السابقة إلى

---

(١) انظر: ابن هشام ، **السيرة النبوية**، ج١/١٤٣. وانظر: الطبري، **تفسيره للآية**.

(٢) انظر: السقا، أحمد حجازي، نبوة محمد في الكتاب المقدس، ط١، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

إسلام عدد منهم، على رأسهم عبدالله بن سلام ﷺ(١) وثعلبة بن سعينة القرظي في نفر من يهود المدينة.(٢) والله سبحانه وقوله الحق يؤكد وجوده مكتوباً عندهم مع الإشارة لوجوب اتباعه ﷺ مع معرفة صفته وما يأمر به .

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف].

كما أكد سبحانه وتعالى معرفتهم للنبي ﷺ بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة].

وقد كان كفار يهود المعاندون له يعرفون حقاً انه نبي، وعلى رأسهم حيي بن أخطب وغيره من زعماء يهود

(١) انظر: ابن حجر، **الإصابة** ج٢/٣٢٠

(٢) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٤٤.
ابن حجر، الإصابة، ج١/٣٣ وابن الأثير، أسد الغابة ج١/٢٤٠

المدينة الـذين عرفـوا أنـه صـادق وأنـه نـبي هـذا الزمـان واتخـذوا العداء موقفاً.[(١)]

والاستشـهاد بنصـوص التـوراه والإنجيـل في هـذا الموضـوع محـل نظـر عنـد الـبعض، إلا أنـني أرى أن الاستشـهاد بـبعض مـا بقـي منهـا مـن الحـق عنـدهم يخـدم سـيرة الرسـول ﷺ مـع استشعار الدقة والمنهج العلمي والحدود الشرعية.

: وعنـدهم مـا يوافـق مـا جـاء في القـرآن الكـريم مـن ذكـر مكـة بمسـمى بكـة في قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[آلعمران].

وقـد بقيـت حتـى الآن إشـارات في التـوراة إلى بيـت الله وبعث محمد وإتباعه فيه في المزامير (٨٤: ٥ ـ ٧٦).

("طـوبى لأنـاس عـزهم بكـه، طِـف بيتـك في قلوبـه عـابرين في وادي البكيين يعبرونه ينبوعاً").

والنص كما يظهر يشير إلى مكة والبيت الحرام والطواف به.

"Blessed is the man whose strength is in thee in whose Heart are: the ways of them passing through the

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٢٢٠.

valley of (Baca) make it well"

(Psalms ٨٩ (٧٦ -٥ – [(١)]

وقد دلت نصوص في التوراة العربية مما بقى فيها من الحق على وجود نبي من بني إسماعيل، ففي سفر التكوين (١٧ـ٢٠) ما نصه:

(وأما إسماعيل فسمعت وها أنا أباركه وأنميه وأكثره جداً ويلد اثني عشر رئيساً وأجعل نسله أمة عظيمة). [(٢)]

وفي سفر التثنية ١٨ـ ١٥ (يقيم لكم الرب إلهكم نبياً من بينكم من إخوتكم بني قومكم فاسمعوا له " .....سأقيم لهم نبياً من بين إخوتهم مثلك، وألقي كلامي في فمه فينقل لكم إليهم جميع ما أكلمه به. وكل من لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أحاسبه عليه)[(٣)] **والمقصود من ذرية**

---

(١) انظر: أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص ٥٣ نقلاً عن ***Jewish Encyclopedia. Y. ١١ P. ٤١٥.***

(٢) انظر: ص ١٩، الكتاب المقدس، العهد القديم.

(٣) انظر: ص ٢٣٧، **الكتاب المقدس**؛ وانظر: أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية**، ص ٥٤؛ وقد قارنت ما نقله الندوي بنصوص العهد القديم فوجدت تفاوتاً في بعض الألفاظ مما يوحي بإختلاف كل طبعة عن الأخرى، حسب الترجمة أو الهوى وتعمد التحريف.

إسماعيل، فهم أخو إسحاق، واليهود يعترفون إنهم يحملون كتاباً محرفاً وإنهم يقومون بتعديله كما يزعمون بحكمتهم ولباقتهم.[١]

كما ورد في أسفار اليهود: "وسوف أزلزل كل الأمم وسوف يأتي (حمده) لكل الأمم وسوف أملأ هذا البيت بالمجد كذلك قال رب الجموع". (سفر حجي ٩/ ٧-٩)[٢].

وقد قال الله عنهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[البقرة]

وفيهم ورد قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[آل عمران].

النصارى :

---

(١) انظر: أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية**، ص ٥٥ نقلاً عن ***Jewish Encyclopedia. Vol. 9P. 589.***

(٢) انظر النصوص كاملة عند عبد الأحد داود في: محمد ﷺ كما ورد في كتابات اليهود، وقد أشار إلى وجود الاسم حمده ويعني محمد في النسخ وإلى تحريفها إلى (الأمُنية) في بعض النسخ الجديدة، ص ٣٧.

كانت لهم السيطرة في مصر والشام وعامة بلاد الروم، وانتشرت بين العرب خصوصاً في شمال الجزيرة العربية تميم وقضاعة وغيرها[(١)]، وفي نجران مركز النصرانية جنوب الجزيرة العربية، وقد دل القرآن الكريم على أن عيسى عليه السلام حدث أتباعه عن محمد ﷺ فطلب منهم أتباعه كما جاء في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف].[(٢)]

ومن المعروف في قصة إسلام سلمان الفارسي التي رواها البخاري في صحيحه أن سلمان رضي الله عنه قد أخبره أحد علماء النصارى في الشام بقرب مبعث نبي آخر الزمان، وأوصاه باتباعه، وأنه رضي الله عنه استرق حتى صار في ملك يهودي في المدينة، ولما سمع كلام النبي ﷺ ورأى علامة النبوة التي أخبره بها علماء النصارى آمن بالرسول ﷺ واتبعه.[(٣)]

---

(١) انظر: موضوع الحالة الدينية قبل مبعث الرسول ﷺ من هذا الكتاب.

(٢) انظر: مهدي رزق الله، **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، ج١/١٣٢.

(٣) انظر قصة إسلام سلمان الفارسي، في موضوع المعايشون للرسول ﷺ من هذا

وقـد عمـل عـدد ممـن اهتـدى مـن النصـارى في العصـر الحـديث علـى البحـث عـن مـا ذكـر عـن محمـد ﷺ ، مـن كتـب النصـارى، وكـان معهـم القـس المصـري سـابقاً (إبـراهيم خليـل أحمـد) الـذي نشـر كتابـاً بعنـوان "محمـد في التـوراة والإنجيـل"، واعتمـد فيـه علـى الكتـاب المقـدس بجزئيـه العهـد القـديم والعهـد الجديـد، وممـا قـال: "يحتـوي الكتـاب المقـدس علـى نصـوص شـديدة الوضـوح حـول رسـالة وشخصـية الرسـول الأمي ﷺ وضوحاً بيناً لا لبس فيه".[1]

ويمكـن الاسـتدلال بالآيـات الـواردة عـن أهـل الكتـاب في اليهود كما في النصارى كما في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾[البقرة].

وقـد كتـب عبـد الأحـد داود المسـمى " ديفيـد بنجـامين كلـداني"، وكـان قسيسـاً نصـرانياً فاسـلم، كتابـاً حـول الموضـوع بعنـوان: " محمـد ﷺ كمـا ورد في كتـاب اليهـود

الكتاب.

(١) إبراهيم خليل أحمد، **محمد في التوراة والإنجيل**، دار المنار، ١٤٠٩هـ، ص :٣٠.

والنصارى."(١)

وقد كتب عدد من المسلمين عن الموضوع منهم المرحوم الشيخ أحمد ديدات في كتابه ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ، وقد نشرت منه ملايين النسخ باللغة الانجليزية والعربية،(٢) ومن النصوص الباقية إلى الآن ما ورد في إنجيل يوحنا ١٦:٥ : " فأنا ذاهب إلى الذي أرسلني، ولا أحد منكم يسألني: إلى أين أنت ذاهب؟ والآن قلت لكم، فملأ الحزن قلوبكم صدقوني، من الخير لكم أن أذهب، فإن كنت لا أذهب لا يجيئكم المعزي ".

وكذلك ما ورد في إنجيل متى ٢١ : ٤٢ و ٤٣، ٤٤ : " أما قرأتم في الكتب المقدسة: الحجر الذي رفضه البناءون صار رأس الزاوية ؟ هذا ما صنعه الرب، فيا للعجب!.

---

(١) البروفسور عبدالأحد داود، **محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى**، ترجمة حمد فاروق الزين، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ.

(٢) ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد، كتيب نشر باللغة الإنجليزية عشرات المرات وترجمه إبراهيم خليل أحمد إلى اللغة العربية، ويمكن لأي شخص أن يجد نص الكتاب ويحمله من مواقع الإنترنت حيث يوجد في الكثير من المواقع العربية والإنجليزية (***www.٤shared.com***).

لـذلك أقـول لكـم: سـيأخذ الله ملكوتـه مـنكم ويسـلمه إلى شـعب يجعلـه يثمـر، مـن وقـع علـى هـذا الحجـر تهشـم. ومن وقع هذا الحجر عليه سحقه.

وقـد ورد عـن أبـي هريـرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: (إن مثلـي ومثـل الأنبيـاء مـن قبلـي كمثـل رجـل بنـى بيتـاً فأحسـنه وأجملـه إلا موضـع لبنـة مـن زاويـة فجعـل النـاس يطوفـون بـه ويعجبـون لـه ويقولـون هـلا وضـعت هـذا اللبنـة فقال أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين).[(١)]

ورد في إنجيـل يوحنـا (١٦ : ٧ و ٨) (صـدقوني، مـن الخـير لكـم أن أذهـب، فـإن كنـت لا أذهـب لا يجيـئكم المعـزي. أمَّـا إذا ذهبـت فأرسـله إلـيكم. ومتـى جـاء وبـخَ العـالم علـى الخطيئـة والـبر والدينونـة)، وقـد ورد في نسـخة أخـرى مـن إنجيـل متـى: " قلـت لكـم حتـى متـى جـاء وقـت حدوثـه تـذكرت أنـه سـبق أن أخـبرتكم بـه. ولم أقـل لكـم هـذا منـذ البدايـة لأنـي كنـت معكـم أمـا الآن عائـد إلى الـذي أرسـلني ولا أحـد مـنكم يسـألني أيـن تـذهب؟ عنـدما أخـبرتكم بهـذا مـلأ الحـزن قلـوبكم، ولكـني أقـول لكـم

---

(١) رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب المناقب، باب : ١٨.

الحـق، مـن الأفضـل أن أذهـب لأنـي إن كنـت لا أذهـب لا يأتيكم المعين ".[١]

ومـن الغريـب أن الكتـاب الـذي راجعتـه كتـاب تفسـير للأناجيـل وللعهـد القـديم لمـا جـاء عنـد الـنص المـذكور تجـاوزه ولم يفسـر المُعـين المـذكور في الـنص وتجاهلـه وتحـدث عـن موضـوع آخـر وهـو مـوت المسـيح للـتكفير وليمحو خطايا الناس.[٢]

وتؤكـد الأبحـاث أن اللفظـة الأصـلية في إنجيـل يوحنـا كانـت (*Periglytos*) أي أحمـد أو محمـد وأنهـا حرفـت عمـداً في اللاتينيـة إلى (*Paracletc*) المعـزي لإبعـاد النـاس عمـداً عـن أحمـد الأصـلية في الإنجيلـي وصـرفهم عـن الحقيقـة،[٣] كمـا ورد في الـنص: " فمتـى جـاء روح الحـق

(١) النص في " **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس** "، شرح إنجيل يوحنا ١٦: ٦ . ٧، ص:٢٢٩٦، ٢٢٩٧.

(٢) انظر: ص ٢٢٩٦، من **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، وللمزيد من التوضيح حول هذا النص وغيره راجع عبدالأحد داود، الذي كان قسيساً فأسلم في كتابه محمد ﷺ كما وراد في كتب اليهود والنصارى، ص ٢٣.

(٣) عبدالأحد داود، ص ١٤٢.

وقد أورد عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء أنه في سنة ١٨٩٤م ناقش المستشرق الإيطالي كارلو نيلنو –الفونسو ت١٩٣٨م– عن معنى بيريكليتوس"

أرشـدكم إلى الحـق كلـه، لأنـه لا يـتكلم بشـيء مـن عنـده، بـل يـتكلم ممـا يسـمع ويخـبركم بمـا سـيحدث سـيمجدني لأنـه يأخذ كلامي ويقوله لكم"[1] (يوحنا ١٦ : ١٣).

ولعـل هـذا ممـا يوافـق قولـه تعـالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[سورة النجم]

وفي الإنجيـل مـا يوافـق الحـديث عـن بعثـة الـنبي ﷺ، وممـا ورد في إنجيـل يوحنـا ١٥ : ٢٥ : " ومتـى جـاء المعـزي الـذي أرسـله إلـيكم مـن الأب، روح الحـق المنبثـق مـن الأب، فهـو يشـهد لـي، وأنـتم أيضـاً ستشـهدون، لأنكـم مـن البـدء معـي "، وكـذلك في يوحنـا ١٦ : ١٣ : فمتـى جـاء روح الحـق أرشـدكم إلى الحـق كلـه، لأنـه لا يـتكلم بشـيء مـن عنـده، بـل يـتكلم بمـا يسـمع ويخـبركم بمـا

فأجاب أن القسس يقولون: إن هذه الكلمة معناها المعزي. فقلت: أنا أسأل الدكتور كارلو نيلنو الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيساً ؟. فقال: معناه (الذي له حمد كثير). فقلت: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد؟ فقال : نعم.فقلت: إن رسول الله ﷺ من أسمائه أحمد. فقال: يا أخي أنت تحفظ كثيرا، ثم افترقنا وقد ازددت بذلك تثبتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح:[ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد] .

انظر:النجار، قصص الأنبياء، القاهرة، دار التراث،(د.ت)، ص٤٧٣

(١) الكتاب المقدس، العهد الجديد، ص ١٦٩.

سيحدث " .

وقد أكد القرآن الكريم أن صفة الرسول ﷺ وأصحابه ممثلة في التوراة والإنجيل معروفة لدى أهل الكتاب من اليهود والنصارى وذلك في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الفتح].

ومن النصوص الثابتة في سفر أشعيا (١٣/٢١) عنوان: "على العرب" وفيه: " بيتوا في صحراء العرب يا قوافل الدادانيين، هاتوا ماء للعطشان يا سكان تيما، استقبلوا الهارب الجائع بالخبز، هم هاربون من أمام السيوف، من أمام السيف المسلول والقوس المشدودة وويلات الحرب".[١]

ولعل هذا النص يشير إلى الوحي الذي نزل على

---

(١) الكتاب المقدس، ص ٤٨٥.

الـــنبي العربـــي الأمـــين محمـــد ﷺ. - والأمـــر في نظـــري هـــذا- محــل اجتهــاد، فيــه إشــارة إلى هــروب اليهــود مــن بــلاد العــرب أمــام ســيف الــنبي ﷺ وســيوف أصــحابه مــن بعده، إشــارة إلى ســقوطهم وخــروجهم بعــد ذلــك مــن خيــبر زمــن عمــر باتجــاه الشــام مــروراً بتيمــاء، [١] قبيــل الفــتح الإســلامي زمــن الســيف المســلول والقــوس المشــدودة زمــن (الفــتح الإســلامي) وهــذا استشــعار للــنص قــد يكــون محــل نظر. والله أعلم.

وكــذلك يمكــن استشــعار الحــديث عــن ســيطرة المســلمين علــى بيــت المقــدس زمــن عمــر بــن الخطــاب ولعــل مــن ذلــك مــا ورد في إنجيــل متــى (٥/٢١): " قولــوا لابنــه صــهيون هــو ذا مليكــك يأتيــك وديعــاً راكبــاً علــى أتــان و جحــش بــن أتــان"، ومــن المعــروف مــن زعمــاء النصــرانية فيهــا أن عمــر كــان متواضــعاً راكبــاً علــى حمــاره، وقــد ذكــر علمــاؤهم في حينهــا أنهــم يجــدون صــفته في كتــبهم[٢] فلعــل هــذا مــا ييســير إليه النص السابق، - وهذا اجتهاد مني - .

---

(١) انظر : موضوع فتح خيبر من هذا الكتاب ؛ والبلاذري، فتوح البلدان، ص : ٤٨.

(٢) انظر : البلاذري، فتوح البلدان، ص : ١٤٥؛ والطبري، تاريخه، (١٥٩/٤).

وقد لاحظت أن بعض من حللوا النص، ومنهم عبد الأحد داود، لم يتطرقوا إلى ربطه بفتح بيت المقدس أيام عمر بن الخطاب ﷺ.[1] بل ربما بعضهم ربطه بهجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة شمالاً، وهذا اجتهاد محل نظر في تصوري.

ولاشك على الإطلاق بورود شيء من الحديث عن فتح المسلمين للبلاد في الكتب السابقة عند اليهود والنصارى، ولعل ما يصدق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء]، والزبور من الكتب السابقة للنبي ﷺ نزل على داوود وتلاه يهود.

وقد ورد في صحيح البخاري شيء من صفة رسول الله ﷺ في التوراة فيما روى عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما): " أنه قيل لعبد الله بن عمرو، أخبرنا بعض صفة رسول الله في التوراة، فقال إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً

(١) عبد الأحد داوود، محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، ص٨٩ ، ٩٠.

ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لست بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا تجزي بالسيئة السيئة، ولكن تجزي بالسيئة الحسنة، وتعفو وتغفر، ولن أقبضه حتى أقيم له الملة العوجاء، فأفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، بأن يقولوا لا إله إلا الله".(١)

ولعل هذا الحديث يقابله فيما تبقى من بعض الحق عند يهود ما ورد في سفر أشعياً.

عبد الرب " سفر أشعياً " ٤٢ : ١- ٨:

" ها عبدي الذي أسانده، والذي اخترته ورضيت به! جعلت روحي عليه، فيأتي للأمم بالعدل، لا يصيح ولا يرفع صوته، ولا يسمع في الشارع صراخه، قصبة مرضوضة لا يكسر وشعلة خامدة لا يطفئ، بأمانة يقضي بالعدل، لا يلوي ولا ينكسر، حتى يقيم العدل في الأرض، فشريعته رجاء الشعوب، هذا ما قال الرب خالق السماوات وناشرها باسط الأرض مع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراهية السخب بالأسواق، (٣/٢١).

خيراتهـا ، وواهـب شـعبها نسـمة الحيـاة روحـاً للسـائرين فيها.

" أنـا الـرب دعوتـك في صـدق وأخـذت بيـدك وحفظتـك. جعلتـك عهـداً للشـعوب ونـوراً لهدايـة الأمـم ، فتفـتح العيـون العميـاء ، وتخـرج الأسـرى مـن السـجون والجالسـين في الظلمة من الحبوس أنا الرب ، وهذا أسمي " .

وقـد وردت هـذا الـنص في إنجيـل متـى (١٢ : ١٨) منسـوباً إلى الـنبي أشـعيا ، وحـاولوا ربـط الصـفات الـواردة بالمسيح عليه السلام[١] .

ولعـل فيهـا إشـارات كـثيرة لمـا ورد عـن الـنبي ﷺ في القرآن من أنه المصطفى والسراج المنير.

وقـد ورد نـص في أسـفار اليهـود سـفر التثنيـة ٣٣ . جـاء فيـه : " وهـذه هـي البركـة الـتي بـارك فيهـا موسـى رجـل الله نـبي إسـرائيل قبيـل موتـه فقـال : " أقبـل الـرب مـن سـيناء ، وأشـرق لهـم مـن جبـل سـعير وتجلـى مـن فـاران " ، والـنص لا يـزال في العهـد القـديم المتـداول وفـاران هـي منطقـة مكـة

(١) انظر: **الكتاب المقدس**، إنجيل متى بعنوان:" الله المختار" ١٢: ١٨، ص٢١.

المكرمة، [١] حيث نزل الوحي على رسول الله ﷺ، ولعل هذا النص مع ما فيه من تحريف يمكن حين قراءته تذكر ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [سورة التين]، وفي سفر التكوين ٢١ : ٨ ــ ٢٠ ما يؤكد على أن فاران هي موطن هاجر وابنها إسماعيل بعد أن أخذهما إبراهيم إلى صحراء فاران. وفي النص إشارة إلى بئر زمزم وشرب هاجر وطفلها منه.

طرد هاجر وإسماعيل ٢١ : ٨- ٢١ :

"وكبر الصبي وفطم، وأقام إبراهيم وليمة عظيمة في يوم فطام إسحق، ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يلعب مع ابنها إسحق، فقالت لإبراهيم: " أطرد هذه الجارية وابنها! فابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق". وساء إبراهيم هذا الكلام، لأن إسماعيل، كان أيضاً ابنه. فقال له الله: " لا يسوؤك هذا الكلام على الصبي وعلى جاريتك. اسمع لكل ما

---

(١) انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤/٢٢٥؛ وانظر: موسوعة ويكيبيديا العالمية الالكترونية، التي وصفت فاران بأنه جبل حراء بمكة المكرمة، (**_www.ar.wikipedoa.com_**).

تقولـه لــك ســارة، لأن بإســحق يكــون لــك نســل. وابــن الجارية أيضاً أجعله أمة لأنه من صلبك ".

فبكـــر إبـــراهيم في الغـــد وأخـــذ خبـــزاً وقربـــة مـــاءٍ، فأعطاهمــا لهــاجر ووضــع الصــبي علــى كتفهــا وصــرفها، فمضــت تهــيم علــى وجههــا في صــحراء بئــر ســبع.ونفد المـاء مــن القربــة، فألقــت هــاجر الصــبي تحــت إحــدى الأشــجار ومضـــت فجلســـت قبالتـــه علـــى بعـــد رمـــيتي قـــوس وهـــي تقـــول في نفســـها: " لا أريـــد أن أرى الولـــد يمـــوت". وفيمـــا هـــي جالســـة رفعـــت صـــوتها بالبكـــاء، وسمـــع الله صـــوت الصــبي، فنــادى مــلاك الله هــاجر مــن الســماء وقــال لهــا: " مـا لــك يـا هـاجر ؟ لا تخـافي. سمـع الله صـوت الصـبي حيـث هــو. قــومي أحملــي الصــبي وخــذي بيــده، فســأجعله أمــة عظيمــة"، وفــتح الله بصــيرتها فــرأت بئــر مــاء، فمضــت إلى البئر وملأت القربة ماء وسقت الصبي".

وكـــان الله مـــع الصـــبي حتـــى كـــبر، فأقـــام بالصـــحراء، كــان راميــاً بــالقوس. وحــين أقــام بصــحراء فَــارَان، زوجتــه أمه بامرأة من أرض مصر.

ولاشــك أن هــذا الــنص تعــرض لتحريفــات كــثيرة، ومــع ذلــك بقيــت إشــارات تصــدق مــا ورد عــن إسمــاعيــل ونبــع

الماء له في فاران (مكة) وتؤكد ما ذكره الرسول عن إسماعيل في قوله : (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً).[(١)]

ومن المؤكد أنه لم يعرف إدعاء بنبوة لأي إنسان في فاران منطقة مكة في أي زمن بعد عيسى ﷺ، بل إن الله حمى هذا المكان من ظهور أي مدَّعٍ للنبوة، فمع ظهور متنبئين بعد الرسول في اليمن ونجد واليمامة، فإنه لم يظهر أي مدَّعٍ للنبوة في مكة لا قبل الرسول ﷺ ولا بعده، وهذا من حماية الله له.

وقد ورد في سفر حبقوق ٣- ٦، وهو من أسفار العهد القديم (التوراه) ما نصه: " الله يجيء من تيمان، القدوس من جبل فاران، غطى جلاله السماوات وامتلأت الأرض من التهلل له. يجيء كلمعان البرق ومن يده يسطع النور وفيها تستتر عزته. قدام وجهه يسير الوباء ووراء قدميه الموت، يقف فتهتز الأرض، وينظر فترتعد الأمم تتحطم جبال الدهر، وتنخسف تلال

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، (٢٢٧/٣).

الأزل، حيث سار في قديم الزمان ".[١]

وقد تحدثت الكثير من المصادر عن تغيير أصاب هذا السفر في طبعاته الأخيرة، وأنه اختُزل في أصله المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٤م على نص جاء فيه: " وامتلأت الأرض من تحميد أحمد ملك بيمينه رقاب الأمم ". وفي النسخة المطبوعة في لندن ١٨٤٨م، ونسخة بيروت ١٨٨٤م: " لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الأرض من حمد زجرك في الأنهار، واحتدام صوتك في البحار، يا محمد ادن لقد رأتك الجبال فارتاعت".[٢] لعل في هذا تصديقاً لقوله ﷺ : (نصرت بالرعب مسيرة عام).[٣]

كما ورد في إنجيل متى (١١ : ١٤) بشارة من عيسى بالقادم من بعده في قوله: "وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي ".

---

(١) ص ١١٧٤ من **العهد القديم** .

(٢) انظر: مجلة البشارات، العدد الأول. نقلاً عن:
(http://www.hurras.org بتاريخ ٢٧/١١/٢٠١٠)

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب نصرت بالرعب مسيرة شهر، (١٢/٤).

وفي إنجيل لوقا (١ : ١٤) : المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة " ويؤكد العلماء، على أن الترجمة محرفة وأنها في الأصل : ((اقترب السلام للأرض وتيسيره بين الناس محمد)).(١)

وضمن الأناجيل المعروفة أنجيل برنابا

(**Gospel of Barnaba**)(٢)، وهو إنجيل مشهور في الفاتيكان في أوائل القرن السادس عشر الميلادي،(٣)وقد طبع بعد ذلك باللغات الإيطالية والأسبانية والإنجليزية في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي.(٤)

---

(١) انظر : عبدالأحد داود،١٣٨

وأحمد أحمد على السقا، غصن الرب في سفر أشعيا النبي، ص٥٤

(٢) إنجيل برنابا (Gospel of Barnaba) ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الدكتور خليل سعادة، ١٩٠٨م، نقلاً عن النسخة الإنجيلزية التي ترجمها لونسدال راغ ولورا راغ من النسخة الإيطالية الأصلية التي سربت من مكتبة الفاتيكان، وقد قدم للترجمة وعلق عليها الدكتور أحمد حجازي السقا، نشرتها دار الأمل، أربد، الأردن، ٢٠٠٥م، وقد حظيت الترجمة بعناية خاصة من الشيخ محمد رشيد رضا في المنار سنة ١٣٢٦هـ.

(٣) www.ar.wikipedoa.com

(٤) www.ar.wikipedoa.com

وتشير بعض الدراسات إلى أن البابا جلاسيوس سنة ٤٩٢م قبل بعث النبي ﷺ قد أشار إلى إنجيل برنابا ووضعه ضمن قائمة الكتب المنهي عنها.(١)

ويصر الكثير من المنتمين للكنيسة على إنكارهم لهذا الإنجيل وما ورد فيه- لوضوح ما فيه من أخبار عن الرسول ﷺ كما سيأتي- ، مع أن طبعاته الأولى كانت قبل قرابة ٣٠٠ سنة باللغات الأوروبية الأسبانية والإيطالية والإنجليزية، ولم يعرف في العالم العربي وبين المسلمين إلا من خلال تلك الطبعات الأوروبية منذ قرابة مائة سنة تقريباً.

والملاحظ لمن يطالع هذا الإنجيل تشابه بعض ما ورد فيه بما ورد في القرآن من التوحيد والنهي عن الشرك ومن بشرية المسيح عليه السلام، ورفضه أن يعبد أو أن ينسب أبناً الله ويؤكد على أنه رسول بشر ابن لمريم عليها السلام من لحم ودم.

وقد وردت إشارات واضحة لمحمد ﷺ في إنجيل برنابا، مع التصريح باسمه كما هو محمد، ومن ذلك ما

---

(١) انظر : **إنجيل برنابا**، ترجمة الدكتور: خليل سعادة، ص٩٨.

ورد في الإصحاح الثالث والستين بعد المائة :

" وذهب يسوع مع تلاميذه إلى البرية وراء الأردن، فلما انقطت صلاة الظهيرة جلس بجانب نخلة وجلس تلاميذه تحت ظل النخلة، حينئذ قال يسوع : أيها الإخوة إن سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى أني أقول لكم الحق : إنه لا يعلمه جلياً إلا إنسان واحد فقط، وهو الذي تتطلع إليه الأمم الذي تتجلى له أسرار الله تجلياً، فطوبى للذين سيصيخون السمع إلى كلامه متى جاء إلى العالم، لأن الله سيظللهم كما تظللنا هذه النخلة، بلى : إنه كما تقينا هذه الشجرة حرارة الشمس المتلظية هكذا تقي رحمة الله المؤمنين بذلك الاسم من الشيطان.

أجاب التلاميذ : يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب : إنه محمد رسول الله، ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها، كما يجعل المطر الأرض تعطي ثمراً بعد انقطاع المطر زمناً طويلاً فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله وهي رحمة ينثرها الله رذاذا على

المؤمنين كالغيث."[١]

ولعل هذا الكلام يذكرنا بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء] وبقوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﷺ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ ﴾ [الصف]

كما جاء في الإصحاح الرابع والعشرين بعد المائة ما نصه : " لما كان الله واحداً كان الحق واحداً ، فينتج من ذلك : أن التعليم واحد وأن معنى التعليم واحد فالإيمان إذاً واحد ، الحق أقول لكم : إنه لو لم يمح الحق من كتاب موسى لما أعطى الله داود أبانا الكتاب الثاني ، ولو لم يفسد كتاب داود لم يعهد الله بإنجيله إليّ ، لأن الرب إلهنا غير متغير ولقد نطق رسالة واحدة لكل البشر ، فمتى جاء رسول الله يجئ ليطهر كل ما افسد الفجار من كتابي حينئذ أجاب من يكتب : يا معلم ماذا يجب على المرء فعله متى فسدت الشريعة وتكلم النبي المدعي؟ أجاب يسوع : إن سؤالك لعظيم يا برنابا ، لذلك أفيدك

(١) إنجيل برنابا، ص٢٩٣.

أن الـذين يخلصـون في مثـل ذلـك الوقـت قليلـون لأن النـاس لا يفكـرون في غـايتهم الـتي هـي الله، لعمـر الله الـذي تقـف في حضـرته إن كـل تعلـيم يحـول الإنسـان عـن غايتـه الـتي هـي الله لشـر تعلـيم، لـذلك يجـب عليـك ملاحظـة ثلاثـة أمـور في التعلـيم: أي المحبـة لله وعطـف المـرء علـى قريبـة وبغضـك لنفسـك الـتي أغضـبت الله وتغضـبه كـل يـوم، فتجنـب كـل تعلـيم مضـاد لهـذه الـرؤوس الثلاثـة لأنـه شـرير جداً.

ومـن الشـواهد في إنجيـل برنابـا في الإصـحاح الثـامن بعـد المائتين: [1]

"فقـل لـه: مـن كـان ابـن إبـراهيم هـذا ؟ أجـاب يسـوع: إن غـيرة شـرفك يـا الله تـؤججني ولا أقـدر أن أسـكت، الحـق أقـول: إن ابـن إبـراهيم هـو إسماعيـل الـذي يجـب أن يـأتي مـن سـلالته مسـيّا الموعـود بـه إبـراهيم أن بـه تتبـارك كل قبائل الأرض".

وقـد ورد في إنجيـل برنابـا شـيء مـن خصـائص الرسـول ﷺ ومـن ذلـك موقفـه في الشـفاعة الكـبرى للخلـق يـوم

(١) إنجيل برنابا، ص ٣٢٧.

القيامة، ومع أنه من الواضح أن في النص تحريف ففيه كلام من بقايا الحق نطلع عليه، على أن لا نتجاوز ما ورد في الأحاديث الصحيحة من خصائص الرسول ﷺ.

يصف برنابا هذا الموقف للرسول ﷺ نقلاً عن كلام عيسى عليه السلام في الإصحاح الرابع والخمسين والخامس والخمسين في نص طويل يتفق في مضمونه مع حديث الشفاعة، ويختلف في بعض ألفاظه، وهي محل نظر ا وما ورد يؤكد معرفة تلاميذ عيسى عليه السلام وبرنابا واحد منهم بهذه المكرمة والخاصية للمصطفى ﷺ، وقد جاء فيها (٥٤: ١٢: ٣٣)، (ثم يحيى الله بعد ذلك سائر الأصفياء الذين يصرخون: أذكرنا يا محمد، فتتحرك الرحمة في رسول الله لصراخهم، وينظر فيما فعله خائفاً لأجل خلاصهم، ثم يحيى الله بعد ذلك كل مخلوق فتعود إلى وجودها الأول، وسيكون لكل منها قوة النطق علاوة، ثم يحيى الله بعد ذلك المنبوذين كلهم الذين عند قيامتهم يخاف سائر خلق الله بسبب قبح منظرهم، ويصرخون: أيها الرب إلهنا لا تدعنا من رحمتك، وبعد هذا يقيم الله الشيطان الذي سيصير كل مخلوق عند النظر إليه كميت خوفاً من هيئة منظره

المريـع، ثـم قـال يسـوع: أرجـو الله أن لا أرى هـذه الهولـة في ذلــك اليــوم، إن رســول الله وحــده لا يتهيــب هــذه المناظر لأنه لا يخاف إلا الله وحده.

ويـذهب رسـول الله ليجمـع كـل الأنبيـاء الـذين يكلمهـم راغبــاً إلــيهم أن يــذهبوا معــه ليضــرعوا إلى الله لأجــل المـؤمنين، فيعتـذر كـل أحـد خوفـاً ولعمـر الله إنـي أنـا أيضـاً لا أذهـب إلى هنـاك، لأنـي أعـرف مـا أعـرف وعنـدما يـرى الله ذلـك يـذكر رسـوله كيـف أنـه خلـق كـل الأشـياء محبـة لـه، فيـذهب خوفـه ويتقـدم إلى العـرض واحـترام والملائكـة تـرنم: تبـارك اسمـك القـدوس يـا الله إلهنـا، ومتـى صـار علـى مقربـة مـن العـرض يفـتح الله لرسـوله كخليـل، لخليلـه بعـد طـول الأمـد علـى اللقـاء، ويبـدأ رسـول الله بـالكلام أولا فيقـول: إنـي أعبـدك وأحبـك يـا ألهـي، وأشـكرك مـن كـل قلـبي ونفسـي، لأنـك أردت فخلقـتني لأكـون عبـدك، وخلقـت كـل شـيء حبـاً في لأحبـك لأجـل كـل شـيء وفي كـل شـيء وفـوق كـل شـيء، فليحمـدك كـل خلائقـك يـا إلهــي، حينئــذ تقــول كــل مخلوقــات الله: نشــكرك يــا رب وتبـارك اسمـك القـدوس، الحـق أقـول لكـم: إن الشـياطين والمنبـوذين مـع الشـيطان يبكـون حينئـذ: حتـى أنـه ليجـري

من الماء من عين الواحد منهم أكثر مما في الأردن، ومع هذا فلا يرون الله، ويكلم الله رسوله قائلاً: مرحباً بك يا عبدي الأمين، فاطلب ما تريد، تنل كل شيء، فيجيب رسول الله: يا رب أذكر أنك لما خلقتني قلت: إنك أردت أن تخلق العالم والجنة والملائكة والناس حباً فيَّ ليمجدوك بي. أنا عبدك، لذلك أضرع إليك أيها الرب الإله الرحيم العادل أن تذكر وعدك لعبدك، فيجيب الله كخليل يمازح خليله، ويقول: أعندك شهود على هذا يا خليلي محمداً ؟ فيقول باحترام: نعم يارب، فيقول الله: أذهب وادعهم يا جبريل، فيأتي جبريل إلى رسول الله ويقول: من هم شهودك أيها السيد؟ فيجيب رسول الله: هم آدم وإبراهيم وإسماعيل وموسى وداود ويسوع بن مريم، فينصرف الملاك وينادي الشهود المذكورين الذين يحضرون إلى هناك خائفين.

فمتى حضروا يقول لهم الله: أتذكرون ما أثبته رسولي؟ فيجيبون: أيُّ شيء يا رب؟ فيقول الله: إني خلقت كل شيء حباً في ليحمدني كل الخلائق به، فيجيب كل منهم: عندنا ثلاثة شهود أفضل منا يا رب، فيجيب الله: ومن هم هؤلاء الثلاثة ؟ فيقول موسى:

الأول الكتاب الذي أعطيتنيه. ويقول داود: الثاني الكتاب الذي أعطيتنيه، ويقول الذي يكلمكم: يا رب إن العالم كله أغره الشيطان فقال: إني كنت ابنك[(١)] وشريكك، ولكن الكتاب الذي أعطيتنيه قال حقاً: إني أنا عبدك، ويعترف ذلك الكتاب بما أثبته رسولك، فيتكلم حينئذ رسول الله ويقول: هكذا يقول الكتاب الذي أعطيتنيه يا رب، فعندما يقول رسول الله هذا يتكلم الله قائلاً: إن ما فعلت ألآن إنما فعلته ليعلم كل أحد مبلغ حبي لك، وبعد أن يتكلم هكذا يعطي الله رسوله كتاباً مكتوباً فيه أسماء كل مختاري الله، لذلك يسجد كل مخلوق لله قائلاً: لك وحدك اللهم المجد والإكرام لأنك وهبتنا لرسولك.[(٢)]

ولعل هذا مع تحريفه يوافق في بعض معناه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي

(١) هذا يؤكد براءة عيسى من الشرك به وأن ذلك من الشيطان ويؤكد عبوديته لله تعالى.

(٢) انظر: **إنجيل برنابا**، ص ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦.

وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة]

وهذا الحوار الرباني مع عيسى عليه السلام يكون يوم القيامة.

كما توجد شواهد كثيرة من إنجيل برنابا فيها أحاديث للمسيح ﷺ شبيهة بأحاديث رسول الله ﷺ، ومن ذلك وصف الجنة في الإصحاح التاسع والستين بعد المائة، من ذلك وصف الجنة: " لم تر عينا إنسان ولم تسمع إذناه ولم يدرك قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه".(١)

وهذا موافق لقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة]، وهذا مصداق لقول المصطفى ﷺ عن الله تعالى: أعددت

(١) إنجيل برنابا، ص٢٩٨.

لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر).[(١)]

كما يتفق إنجيل برنابا مع ما عند المسلمين في القرآن والسنة عموماً دون التفصيل فيما يرتبط بالمسيح نفسه ورفعه إلى السماء، وذلك في الإصحاح السادس عشر بعد المائتين فيما نصه: " فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد ".[(٢)]

وهذا يوافق قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ ﴾ [النساء].

ونحن لا نشك أن التحريف وقع في كتب اليهود والنصارى الأصلية وما تفرع منها باعترافهم هم، ومع ذلك فإن الحق واضح عند بعضهم، خصوصاً أن الرسول ﷺ إنما دعاهم لتوحيد الله واحترام الأنبياء السابقين وتقديرهم والسير على

---

(١) متفق عليه . انظر : صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة السجدة، (٦/٢١).
(٢) **إنجيل برنابا**، ص٣٣٤.

مبادئهم من تقدير الله وتعظيمه، والوصاية بشرعه الذي جاء به أنبياؤه السابقون: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عمران].

وقد كان الأمر واضحاً عند رسول الله ﷺ في مكاتبته لهرقل وغيره من زعماء النصارى في زمانه.

مثقفو الغرب المعاصرون ونظرتهم للنبي ﷺ:-

يلاحظ أن عدداً كبيراً من المثقفين الغربيين خلال القرنين الماضيين شهدوا بصدق الرسول ﷺ أو أشاروا إلى شيء من ذلك في كلام منصف إلى حد ما، وإن اختلفنا معهم في النصوص والمضمون أحياناً. وقد كان الكثير من الدارسين الأوربيين لشخصية الرسول ﷺ غير منصفين[١]، يقول درمنغم" من المؤسف حقاً أن بالغ هؤلاء المتخصصين في النقد أحياناً فلم تزل كتبهم

---

(١) الكردي: راجح عبدالحميد، شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٦هـ، ص١٥.

انظر:محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ط٥، دار المنار، القاهرة ١٣٦٧هـ

رسماً، وكانت كتبهم عامل هدم على الخصوص[١]"

وقد اهتمت عدد من المؤلفات بهذا الموضوع وأوردت شواهد له.[٢]

ولعل القرن الثامن عشر أكثر القرون بداية لظهور حقائق علمية في الغرب تنصف الرسول ﷺ في عيون الأوربيين، كما ذكر رودنسن مكسيم:

(Rudensn Maxim) في قوله: "بظهور عدد من المؤرخين الأوروبيين المستنيرين في القرن الثامن عشر بدأت تكتمل معالم صورة، هي صورة محمد الحاكم المتسامح والحكيم والمشرع".[٣]

ويشير الكاتب الإنجليزي برناردوشو:

---

(١) درمنغم: إميل، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط٢المؤسسة العربية للدراسات ١٩٨٨.

(٢) انظر : الحسيني الحسيني معدي، الرسول ﷺ، في عيون غربية منصفه، ط١- القاهرة:دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦م.

وانظر : عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص ٢٢٥؛ وانظر : أحمد بن حجر ال بو طامي، الإسلام في نظر منصفي الشرق والغرب وعدنان النحوي، النبي العظيم والرحمة المهداة.

(٣) الحسيني معدي، ص : ١٢٩.

(Gerorge Bernard shaw)، إلى بداية تفهـم أوروبـا لمحمد ﷺ رغم محاولـة تشـويه صـورته في قولـه: "إن أوروبـا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد، وبدأت تعيش دينه، كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية مما اتهمها بهـا مـن أراجيـف رجـال أوروبـا في العصور الوسطى ".(١)

كما يشير مارسيل بورزار (Marcel Pourzar) إلى ظهـور الحق حول محمد ﷺ ودينه رغم التشوية فيقول: "سبق أن كُتبت كل شيء عن نبي الإسلام ﷺ فأنوار التاريخ تسطع علـى حياتـه التي نعرفها في أدق تفاصيلها، والصـورة الـتي خلفهـا محمـد ﷺ عن نفسه تبدو، حتى وإن عُمد إلى تشويهها، علمية في الحدود الـتي تكشـف فيهـا وهـي تنـدمج في ظـاهرة الإسـلام عـن مظهـر المفهوم الديني وتتيح إدراك عظمته الحقيقية".

لم يكــن محمــد ﷺ علــى الصــعيد التــاريخي مبشــراً بــدين وحســب، بــل كــان كــذلك مؤســس سياســة غيّــرت مجــرى التــاريخ، وأثـرت في تطـور انتشـار الإسـلام فيمـا بعـد علـى أوسع نطاق ".(٢)

---

(١) الحسيني معدي، **الرسول ﷺ في عيون غربيه منصفه**، ص١٠٥.
(٢) **المصدر السابق**، ص ١١٤.

لقد كانت دراسة حياة الرسول ﷺ مؤثراً كبيراً على بعض الغربيين رغم محدودية مصادرهم للدراسات وتشويه بعضها للحقائق، إلا أن وميض الحق بين الأسطر أعطى بعضاً منها انطباعاً قوياً صادقاً أثر على مجرى حياتهم بقوة، فهذا لامارتين (Alphonse de lamartine) يقول ما نصه: " أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة واعية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود، من ذا الذي يجرؤ على تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد؟! ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه، عند النظر إلى جميع المقاييس التي تُقاس بها عظمة الإنسان؟! إن سلوكه عند النصر وطموحه الذي كان مكرساً لتبليغ الرسالة وصلواته أركان العقيدة. إن الرسول والخطيب والمشرع والفاتح ومصلح العقائد الأخرى الذي أسس عبادة غير قائمة على تقديس الصور هو محمد، لقد هدم الرسول المعتقدات التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق ".[(١)]

ويؤكد بروي (Eduard Perroy) على أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء وأن شريعته إلهية شاملة ونظام اجتماعي خلاق فيقول: "جاء محمد بن عبدالله ﷺ، النبي العربي وخاتم النبيين،

(١) المصدر السابق، ص ٤٢.

يبشر العرب والناس أجمعين بدين جديد، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد، كانت الشريعة "في دعوته" لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، وتتمتع مثلها بسلطة إلهية ملزمة، تضبط ليس الأمور الدينية فحسب، بل أيضاً الأمور الدنيوية، فتفرض على المسلم الزكاة، والجهاد ضد أعداء المسلمين .. ونشر الدين الحنيف .. وعندما قبض النبي العربي ﷺ، عام ٦٣٢م، كان قد انتهى من دعوته، كما انتهى من وضع نظام اجتماعي يسمو كثيراً فوق النظام القبلي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، وصهرهم في وحدة قوية، وهكذا تم للجزيرة العربية وحدة دينية متماسكة، لم تعرف مثلها من قبل".[(١)]

كما يدافع (لا تنز) عن الرسول ﷺ وعن الوحي المنزل ويؤكد على وجود الكثير من العلامات الدالة على صدق نبوته في قوله: "بقدر ما أعرف من ديني اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد ﷺ ليس اقتباساً بل قد أوحى إليه به ولا ريب بذلك، طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز عليم. وإني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كان تضحية الصالح الذاتي،

(١) الحسيني معدي، **مصدر سابق**، ص١١٢.

وأمانة المقصد، والإيمان القلبي الثابت، والنظر الصادق الثاقب بدقائق وخفايا الخطيئة والضلال، واستعمال أحسن الوسائط لإزالتها، فذلك من العلامات الظاهرة الدالة على نبوة محمد ﷺ وأنه قد أوحى إليه".

إن الديانة النصرانية التي ودّ محمد ﷺ إعادتها لأصلها النقي كما بشر بها المسيح عليه السلام تخالف التعاليم السّرية التي أذاعها بولس (Paul) والأغلاط الفظيعة التي أدخلها عليها شيع النصارى .. ولقد كانت آمال محمد ﷺ وأمانيه أن لا تخصص بركة دين إبراهيم عليه السلام لقومه خاصة، بل تعم الناس جميعاً، ولقد صار دينه الواسطة لإرشاد وتمدن الملايين من البشر، ولولا هذا الدين للبثوا غرقى في التوحش والهمجية، ولما كان لهم هذا الإخاء المعمول به في دين الإسلام.[١]

ولعل من أهم ما لفت نظر بعض عقلاء الغربيين قضية التوحيد، وهي جوهر الدين الذي دعا إليه الرسول ﷺ وأخبر ﷺ أنها دعوة الأنبياء جميعاً، كما جاء ذلك في آيات قرآنية متعددة وأحاديث نبوية.

---

(١) الحسيني معدي، **مصدر سابق**، ص ١٥٢.

يقـــول فـــولتير (Voltaire) : "إن عقيـــدة محمـــد خاليـــة مـــن الشـــك والغمـــوض ، والقـــرآن شـــهادة مجيـــدة علـــى وحدانية الله".[(١)]

ويقول روم لاندو (Rom Landau) : ".. لم ينسب محمد ﷺ في أيّما يـوم مـن الأيـام إلى نفسـه صـفة إلوهيـة أو قـوى أعجوبية ، . على العكس ، لقد كان حريصاً على النص على أنه مجرد رسول اصطنعه الله لإبلاغ الوحي للناس".

كـان محمـد ﷺ تقيـاً بـالفطرة ، وكـان مـن غـير ريـب مهيـأً لحمـل رسـالة الإسـلام الـتي تلقاهـا.. وبالإضـافة إلى طبيعتـه الروحيـة ، كـان في سـرّه وجهـره رجـلاً عمليـاً عـرف مـواطن الضـــعف ومـــواطن القـــوة في الخُلـــق العربـــي ، وأدرك أن الإصـــلاحات الضـــرورية ينبغـــي أن تقـــدم إلى البـــدو الـــذين لا يعرفـــون انضـــباطاً وإلى المـــدنيين الـــوثنيين ، وفي آن معـــاً ، علـى نحـو تـدريجي .. وفي الوقـت نفسـه كـان محمـداً ﷺ يملـك إيمانـاً لا يلـين بفكـرة الإلـه الواحـد .. وعزمـاً راسـخاً علـى استئصـال كـل أثـر مـن آثـار عبـادة الأصـنام الـتي كانـت سائدة بين الوثنيين العرب.

---

(١) الحسيني معدي، **مصدر سابق**، ص١٦٧.

كانت مهمة محمد ﷺ هائلة، كانت مهمة ليس في ميسور دجال تحدوه دوافع أنانية" وهو الوصف الذي رمى به بعض الكتاب الغربيين المبكرين الرسول العربي ﷺ"، أن يرجو النجاح في تحقيقها بمجهوده الشخصي، إن الإخلاص الذي تكشف عنه محمد ﷺ في أداء رسالته، وما كان لأتباعه من إيمان كامل في ما أنزل عليه من وحي، واختبار الأجيال والقرون، كل أولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد ﷺ بأنه ضرب من الخداع المتعمد، ولم يعرف التاريخ قط أي تلفيق "ديني" متعمد استطاع أن يعمر طويلاً. والإسلام لم يعمر حتى الآن ما ينوف على ألف وثلاثمائة سنة وحسب، بل إنه لا يزال يكتسب في كل عام، أتباعاً جدداً، وصفحات التاريخ لا تقدم إلينا مثلاً واحداً.(١)

ويؤكد توينبي (Arnold J. Toyubee): على قضية التوحيد عند الرسول وما يرتبط بذلك من التشريع ونظام تبعها سلطة تنفيذية أو لقوة وإقامة للعدل فيقول: "لقد كرَّس محمد حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين في البيئة

---

(١) المصدر سابق، ص١٥٠.

الاجتماعيـة العربيـة (وهمـا الوحدانيـة في الفكـرة الدينيـة، والقـانون والنظـام في الحكـم)، وتم ذلـك فعـلاً بفضـل نظـم الإسـلام الشـامل الـذي ضـم بـين ظهرانيه الوحدانيـة والسـلطة التنفيذية معاً .. فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب ونقلهم من أمة جهالـة إلى أمـة متحضـرة، بـل تـدفق الإسـلام مـن حـدود شـبه الجزيـرة، واستولى على العالم بأسرة مـن سـواحل الأطلسـي إلى شـواطئ السهب الأوراسي.." .[١]

ويستشـهد واشـنجتون إيـرفنخ (washington Irving) بحادثـه فـتح مكـة ليؤكـد أن محمـداً خـاتم الأنبيـاء فيقـول مـا نصه: "كان محمد ﷺ خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعو الناس إلى عبادة الله".

كانــت تصــرفات الرســول ﷺ في: "أعقــاب فــتح " مكــة تــدل علــى أنــه نــبي مرســل لا علــى أنــه قائــد مظفــر. فقــد أبــدى رحمــة وشــفقة علــى مواطنيــه بــرغم أنــه أصــبح في مركــز قــوي، ولكنــه تــوّج نجاحــه وانتصــاره بالرحمــة والعفو".

---

(١) الحسيني المعدي، **مصدر سابق**، ص١١٦.

" لقي الرسول من أجل نشر الإسلام كثيراً من العناء، وبذل عدة تضحيات، فقد شك الكثير في صدق دعوته، وظل عدة سنوات دون أن ينال نجاحاً كبيراً، وتعرض خلال إبلاغ الوحي إلى الاهانات والاعتداءات والاضطهادات، بل اضطر إلى أن يترك وطنه ويبحث عن مكان يهاجر إليه هنا وهناك وتخلى عن كل متع الحياة وعن السعي وراء الثراء من أجل نشر العقيدة".(١)

ويؤكد إدوارد رمسي (**Edward Ramsay**) رسالة النبي ﷺ وتركيزه على التوحيد فيقول: "جاء محمد للعالم برسالة الواحد القهار، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فبزغ فجر جديد كان يُرى في الأفق، وفي اليوم الذي أعادت فيه يد المصلح العظيم محمد ما فقد من العدل والحرية أتى الوحي من عند الله إلى رسول كريم، ففتحت حججه العقلية السديدة أعين أمة جاهلة، فانتبه العرب، وتحققوا أنهم كانوا نائمين في أحضان العبودية"(٢)، وتقول كارين أرمسترونج:

(**Karen Armserong**) "وعلى هذا، فإن كان ذلك

---

(١) الحسيني المعدي، **مصدر سابق**، ص١١١.

(٢) **المصدر السابق**، ص ١٠٣.

النصر السياسي هو الإنجاز الوحيد لمحمد فمن حقه علينا أن يحوز إعجابنا لكن نجاح محمد اعتمد على الرؤية الدينية التي نقلها العرب، والتي اعتنقتها بدورها الرعية من شعوب الإمبراطورية، وذلك لأنها لبت حاجة روحانية لديهم، غير أن محمداً والمسلمين الأوائل لم يحققوا انتصاراتهم بسهولة كما يحلو للبعض أن يتخيل، ولكنهم اشتبكوا في معارك شرسة يائسة، ولولا أن الاعتبار الأول للنبي ورفاقه المقربين كان للدين، ما كتب لهم البقاء".[١]

وكثير من الغربيين يصف الرسول ﷺ بالمصلح وبصاحب الرؤية، ويمتدحه وإن لم يؤمن به، يقول جولد تسهبر: "... الحق أن محمداً كان بلا شك أول مصلح حقيقي في الشعب العربي من الجهة التاريخية، ففي هذا العصر نرى النبي يستخدم حنكته المفكرة ورويته الدقيقة وتبصره العالي، في مقاومة خصومه الذين شرعوا في معارضة مقاصده وغاياته في داخل موطنه وخارجه".[٢]

---

(١) كارين أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص ٧٣.

(٢) الحسيني المعدي، **مصدر سابق**، ص١٤٨.

وقـد ضـاق بعضـهم ذرعـاً بعـدم إيمـان الغـربيين بنبـوة الرسـول ﷺ واعتـبر ذلـك عـاراً علـيهم، يقـول تومـاس كارليـل (Tomas Carlyle): "لقـد أصـبح مـن أكـبر العـار علـى أي فـرد متحـدث هـذا العصـر أن يصـغي إلى مـا يقـال مـن أن ديـن الإسـلام كـذب، وأن محمـداً خـدّاع مزوّر".[١]

وهذا المؤرخ الأمريكي المشهور ول ديورانت:

(Will Durant) الـذي عـرف عنـدهم بأنـه أبـو التـاريخ يقول: "يبدو أن أحداً لم يُعنَ بتعليم محمد ﷺ القراءة والكتابة .. ولم يُعرف عنه أنه كتب شيئاً بنفسه .. ولكن هذا لم يُحلْ بينه وبين قدرته على تعرف شؤون الناس تعرفاً قلّما يصل إليه أرقى الناس تعليماً، كان النبي من مهرة القواد.. ولكنه كان إلى هذا سياسياً محنكاً، يعرف كيف يواصل الحرب بطريق السلم، وإذا ما حكمنا على العظمة.. كان محمد من أعظم عظماء التاريخ ".[٢]

ويشـير بعضـهم إلى مثاليـة الرسـول ﷺ وكمالـه وإلى

---

(١) المصدر السابق، ص١٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٨.

قصر أوروبا عن ما جاء به ﷺ.

يقول الأديب الألماني جوته (Johann Wolfgang von Goethe): " إننا أهل أوربة بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد ...، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي محمد ... وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد".[١]

ويشير برناردشو (Bernard Shaw) الكاتب الإنجليزي الشهير إلى مناسبة تعاليم الرسول ﷺ للعصر الحاضر، وفي هذا إيمان بشريعته وصلاحيتها لكل الأزمنة، وقد انطلقت قبل ١٤٠٠ سنة فيقول: " يجب أن يُسَمَّى منقذ الإنسانية، وإني أعتقد لو أن شخصاً مثله تولى الحكم المطلق في العالم المعاصر، لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب به ما هو في أشد الحاجة إليه من سلام وسعادة ".[٢]

ويشير غوستاف لوبون (Gustave Le Bon) الطبيب

---

(١) الحسيني المعدي، **مصدر سابق**، ص١٧٤.

(٢) **المصدر السابق**، ص١٦٧.

والمؤرخ الفرنسي إلى بدايات لدى الغرب لإنصاف النبي ﷺ فيقول: "إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمداً مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله .. .

" استطاع محمد ﷺ أن يبدع مثلاً عالياً قوياً للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد على الخصوص .. ولم يتردد أتباعه في التضحية بأنفسهم في سبيل هذا المثل الأعلى ..".

" ... لا شيء أصوب من جمع محمد لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية في يد واحدة أيام كانت جزيرة العرب مجزأة. ما استطعنا أن نقدر قيمة ذلك بنتائجه، فقد فتح العرب العالم في قرن واحد بعد أن كانوا قبائل من أشباه البرابرة المتحاربين قبل ظهور محمد".[١]

ويمتدح ايتين دينيه رسول الله ﷺ وشخصيته وتميزها فيقول:

"إن الشخصية التي حملها محمد ﷺ بين برديه كانت

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٤.

خارقة للعادة وكانت ذات أثر عظيم جداً حتى إنها طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الإبداع وأعطاها صفة الشيء الجديد ...".[(١)]

ويعبر كتاب أوروبيون بعمق عن إعجابهم بالرسول ﷺ ومنهم: جاك بيرك (Jacques Augustin Berque)، فيقول: " لا شك أن الإسلام الذي اختار الخالق له محمداً كان جديراً بمحمد وكان محمد جديراً به ". [(٢)]

كارل بروكلمان الألماني، يقول: "جعل رسول الإسلام الجزيرة العربية نقطة انطلاق لرسالته العظيمة التي حوربت كثيراً وما زالت، لكن الانتصار دائماً للحق، وما جاء محمد إلا بالحق والحقيقة ".[(٣)]

ويركز هنري سيروي على شخصية الرسول ﷺ وتعبده لله، فيقول: "ومحمد لم يفرض في نفوس الأعراب مبدأ التوحيد فقط، بل غرس فيها أيضاً المدنية والأدب".

---

(١) الحسيني المعدي، **مصدر سابق**، ص١٢٧.

(٢) **المصدر السابق**، ص ١٧١.

(٣) **المصدر السابق**، ص١٧٠.

"محمد شخصية تاريخية حقة، فلولاه ما استطاع الإسلام أن يمتد ويزداد، ولم يتوان في ترديد أنه بشر مثل الآخرين مآله الموت، وبأنه يطلب العفو والمغفرة من الله عز وجل، وقبل مماته أراد أن يطهر ضميره من كل هفوة أتاها فوقف على المنبر مخاطباً: أيها المسلمون، إذا كنت قد ضربت أحداً فهاكم ظهري ليأخذ ثأره، أو سلبته مالاً فمالي ملكه، ...... وهذا التذوق والإحساس البالغ لفهم محمد لدوره كنبي"(١).

ويؤكد هنري دي ما ستري تصديقه لرسول الله ﷺ بعد بحث دقيق حول شخصية الرسول ﷺ فيقول:

" إن أشد ما نتطلع إليه بالنظر إلى الديانة الإسلامية ما اختص منها بشخص النبي ولذلك قصدت أن يكون بحثي أولاً في تحقيق شخصيته وتقرير حقيقته الأدبية علّني أجد في هذا البحث دليلاً جديداً على صدقه وأمانته المتفق عليها بين جميع مؤرخي الديانات وأكبر المتشيعين للدين المسيحي".

"ثبت إذن أن محمداً لم يقرأ كتاباً مقدساً ولم يسترشد

---

(١) المصدر السابق.

في دينه بمذهب متقدم عليه..".[١]

أما الروسي تولستوي (Leo Tolstoy) فيبدي قناعته بالهدي الذي حمله الرسول ﷺ ويبدي احترامه فيبدي في مقالة له بعنوان :

"من هو محمد؟ ": " إن محمداً هو مؤسس ورسول، كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق جعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال ".[٢]

ويؤكد وليم موير (Willaim muir) تميُّز الرسول ﷺ رفعاً لفضيلته وأخلاقه، فيقول:

"لقد امتاز محمد بوضوح كلامه، ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ

---

(١) الحسيني المعدي، **مصدر سابق**، ص ١٢٥.

(٢) **المصدر السابق**، ص ١٠٢.

مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نبي الإسلام محمد ".[١]

وتظهر لدى بعض الغربيين قناعة بنبوة رسول الله ﷺ، بل يؤكد بعضهم أنه خاتم الأنبياء وأنه جدير بهذا الشرف العظيم، يقول العالم الفرنسي كليمانت **(Clement)**:

" لم يكن محمد نبياً عادياً، بل استحق عن جدارة أن يكون خاتم الأنبياء ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم مسلماً ".[٢]

وقد امتدح كثير من الغربيين موقف النبي محمد ﷺ من النصرانية والديانات السماوية الأخرى، وإنصافه لأهلها واحترامه للمسيح عليه السلام فهذا برناردو شو (**George Bernard show**)، يقول:

" لقد درست محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً، فرأيته بعيداً عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية، وأوربة بدأت في العصر الراهن تفهم عقيدة

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٧١.

التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك، فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها بطريقة تجلب السلام والسعادة! فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي ".

"وإذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا إن محمداً رسول المسلمين أعظم عظماء التاريخ، فقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم ديناً واضحاً قوياً، استطاع أن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم".

"لم يسجل التاريخ أن رجلاً واحداً سوى محمد، كان صاحب رسالة وباني أمة، ومؤسس دولة.. هذه الثلاثة التي قام بها محمد، كانت وحدة متلاحمة، وكان الدين هو القوة التي توحدها على مدى التاريخ ".(١)

كما يؤكد آخرون إنصاف الرسول للديانات الأخرى فتقول الكاتبة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري Laura Veccia Vaglieri ما نصه: " كان محمد المتمسك دائماً بالمبادئ الإلهية شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع

---

(١) الحسيني المعدي، **مصدر سابق**، ص١٧٥.

الأديـان الموحـدة، لقـد عـرف كيـف يتـذرع بالصـبر مـع الـوثنيين، مصـطنعاً الأنـاة دائمـاً اعتقـاداً منـه بـأن الـزمن سـوف يـتم عملـه الهـادف إلى هـدايتهم وإخـراجهم مـن الظـلام إلى النـور.. لقـد عـرف جيـداً أن الله لابـد أن يـدخل آخر الأمر إلى القلب البشري".[1]

وأشـار بعـض النصـارى إلى موقـف الرسـول ﷺ مـن عيسـى ؑ، واحترامـه لـه في السـنة والقـرآن المنـزل عليـه، يقـول المستشـرق الفرنسـي لـويس سـيديو: "لقـد حـل الوقـت الـذي توجـه فيـه الأنظـار إلى تـاريخ تلـك الأمـة الـتي كانـت مجهولـة الأمـر في زاويـة مـن آسـية فارتقـت إلى أعلـى مقـام، فطبـق اسمهـا آفـاق الـدنيا مـدة سـبعة قـرون، ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد، هو محمد".

".. لم يعـد محمـد نفسـه غـير خـاتم لأنبيـاء الله (علـيهم السـلام) وهـو قـد أعلـن أن عيسـى بـن مـريم كـان ذا موهبـة في الإتيـان بـالمعجزات، مـع أن محمـداً لم يعـط مثـل هـذه الموهبـة، ومـا أكثـر مـا كـان يعـترض محتجـاً علـى بعـض مـا

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٧.

وانظر: http://www.islam-love.com بتاريخ ٢٧/١١/١٠١٠

يعــزوه إليــه اشــد أتباعــه حماســة مــن الأعمــال الخارقــة للعادة ".[(١)]

وهنــاك آراء كــثيرة لــبعض مــن اهتــدى مــن نصــارى الغـرب بعـد بحـث طويـل تحـدثوا عـن مـا تعرفـوا عليـه مـن حقيقـة الـنبي ﷺ ممـا دفعهـم إلى الإيمـان بـه وتصـديقه وهـي شواهد كثيرة يصعب حصرها.

وفي تـوقعي أنـه بسـبب الاتصـالات الحديثـة والترابـط بـين العــالم وســرعة وصــول المعلومــة ســيكون أمثــال هــؤلاء المهتــدين المطلعــين علــى حقيقــة الرســول ﷺ كثــر، وسيصـعب تضـليل النـاس كمـا كـان يفعـل ذلـك سـابقاً، بســبب الوســائل الحديثــة الــتي أتاحــت للعــالم أجمــع الاطـلاع عـن كثـب علـى مصـادر أكثـر صـدقاً عـن حيـاة الرسول ﷺ.

ولعل من هؤلاء المهتدين السيد : ايفلين كوبولد :

(Lady E. Cobold) الـتي أسـلمت وزارت المدينـة وسجلت انطباعاه في قولها: " .. هذه هي مدينة الرسول ﷺ .. تعيد إلى نفسي ذكرى جهوده في سبيل لا إله إلا الله، وتلقى في

(١) الحسيني معدي، **مصدر سابق**، ص١٣٤.

روعي صبره على المكاره واحتماله للأذى في سبيل الوحدانية الإلهية".

" كان العرب قبل محمد ﷺ أمة لا شأن لها ولا أهمية لقبائلها ولا لجماعتها، فلما جاء محمد ﷺ بعث هذه الأمة بعثاً جديداً يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات فغلبت العالم وحكمت فيه آجالاً وآجالاً .. ".[١]

ومن هؤلاء د. دوران (**Dr. M. H. Durran**)، الذي كان قسيساً فأسلم، حيث يقول: "أستطيع أن أقول بكل قوة أنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد ﷺ، لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحباً بنا حتى نقتفي أثره ".

"... وأخيراً أخذت أدرس حياة النبي محمد ﷺ فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني، الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين، لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقترفون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل

(١) الحسيني معدي، **مصدر سابق**، ص١٤٧.

عـاداتهم وأخلاقهـم، وجمعهـم تحـت رايـة واحـدة وقـانون واحــد وديــن واحــد وثقافــة واحــدة وحكومــة واحــدة، وأصــبحت تلــك الأمــة، الــتي لم تنجــب رجــلاً عظيمــاً واحــداً يسـتحق الـذكر منـذ عـدة قـرون، أصـبحت تحـت تـأثيره وهديـه ألوفـاً مـن النفـوس الكريمـة الـتي أنطلقـت إلى أقصـى أرجـاء المعمـورة تـدعو إلى مبـادئ الإسـلام وأخلاقـه ونظــام الحيــاة الإســلامية وتعلــم النــاس أمــور الــدين الجديد".[١]

ويعد الكسندر ويـب: (Alexander Russell webb)، أحد من درس الإسلام وشخصية نبيه ﷺ، وتأثر بـذلك البحث ودخـل في الإسـلام عـن قناعـة، بعـد دراسـات مقارنـة فـدعا الغربيين لمثل هذه الدراسات العلمية المحايدة فقال: " لم أجـد في الأنبياء جميعاً أعظم ولا أكمل من محمد ﷺ وتعالوا أناقشكم في ذلـك، أو اقـرأوا كـل شـيء عنه وعـن دينـه وقـارنوا بينـه وبـين سابقيه وبين رسالته العظيمة ورسالاتهم".

" اقــرأوا بفهــم ومحايــدة، ســتجدونه أعظــم رســول،

(١) المصدر السابق، ص١٢٢.

ستجدون رسالته أعظم الرسالات جميعاً ".[١]

(١) **المصدر السابق**، ص١٧١.

العرب.

كان غالبية العرب في الحجاز خصوصاً وثنيين لا صلة لهم بعلوم السماء وكتب الله السابقة إلى الأنبياء إلا قليلاً منهم عرفوا ذلك، ودلت إشارات مختلفة لبعض من كان منهم على الحنفية بمعرفتهم بقرب زمن نبي يبعث، ومن هؤلاء ورقة بن نوفل الذي عرف ما نزل على الرسول ﷺ حينما عرضت خديجة خبره عليه فقال: ((هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتني، فيها جذعاً إذ يخرجك قومك))، [1] وكان يكتب من الإنجيل بالعبرانية، [2]وكان من أقرب الناس في مكة إلى دين إبراهيم وأخلاقه اشتهر بالرحمة والتوحيد وإحياء الموؤدة.

وكذلك كان زيد بن عمرو بن نفيل الذي كان على الحنيفية يعيب على قريش عبادة الأصنام، ولا يأكل مما ذبح على النصب، وقد درس اليهودية والنصرانية ولم يقتنع بها وقال: (اللهم إني أشهدك إني على دين

---

(١) انظر: موضوع نزول الوحي على الرسول ﷺمن هذا الكتاب .

(٢) محمد أبو شهبة، **السيرة النبوية**. وانظر: **صحيح البخاري** (باب كيف بدء الوحي)، ج١/٢.

إبــراهيم)، [١] ولا يســتبعد أن يكــون عنــده علــم بقــرب مبعـث الـنبي ﷺ خصوصـاً أنـه التقـى بعلمـاء أهـل الكتـاب في الشـام وغيرهـا، كمـا كـان منقـذاً لمـوؤدات مـن البنـات يتكفـل بهـن ويمنـع أهلـهن مـن وأدهـن، [٢] وهـو شـاعر لـه أبيات تدل على توحيده لله يقول فيها:

أرب واحـــــد أم ألف رب
أدين إذا تقسمت الأمـــــور
عزلت اللات والعزى جميعاً
كذلك يفعل الجلد الصبــورُ
فلا عزى أديـــــن ولا ابنتيها
ولا صنمي بني عمرو أوزر [٣]

ومـنهم قـس بـن سـاعدة الأيـادي، الـذي رآه الرسـول ﷺ في سـوق عكـاظ وسـأل عنـه وقـد تحـدث عـن القـس مـع قومـه حينمـا جـاءوا إلى المدينـة، ودلـت الروايـات علـى أنـه

(١) انظر: محمد أبو شهبه، **السيرة النبوية**، ص٨٣؛ و**صحيح البخاري**، باب زيد بن عمرو بن نفيل، (٤/٢٣٣).
(٢) انظر: **صحيح البخاري**، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، ج٤/٢٣٢.
(٣) **السيرة النبوية، لابن كثير**، (١/١٤٢).

كـان يشـير إلى قـرب مبعـث نـبي، ويطلـب مـن النـاس الإيمـان بـه وتصـديقه حـين يبعـث، [1] وهـو شـاعر اشـتهر بأبياته الوعظية ومنها:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر

أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

وقـد ذُكـر شـيء مـن ذلـك عـن أمية بـن أبـي الصـلت، إلا أنـه مـات كـافراً، وقـد عـاش سـنوات في حيـاة الـنبي ﷺ ووصـله خـبره ولم يظهـر منـه إسـلام رغـم قربـه مـن مكـة، حيـث يقـيم في الطائف وما حولها.. [2]

وكـذلك الشـاعر المشـهور لبيـد بـن ربيعـة ذُكـر عنـه شـيء مـن ذلك، ومنه إيمانه بالله وبالبعث وهو القائل:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

(١) انظر: محمد أبو شهبه، **السيرة النبوية**، ج١/٨٠. انظر مهدي رزق الله، **صفوة السيرة**، ص ٣٦.

(٢) محمد أبو شهبه، **السيرة النبوية**، ص ٨٥.

وكل نعيم لا محالة زائل

في أبيات مشهورة، وقد أسلم، وأدرك زمن عثمان، ومات معمراً بعد ذلك.(١)

وقد نقلت بعض الكتب والمصادر أخباراً كثيرة عن كهان العرب،(٢) تتحدث عن مبعث النبي ﷺ أرى الإعراض عنها وعدم ذكرها، فقد نهينا عن متابعة أقوالهم، والسيرة ليست بحاجة لأي شواهد من هذا النوع.

وبالتالي يمكن القول إن وثنيي العرب وخصوصاً منطقة الحجاز، ما كانوا يؤمنون بالأنبياء (عليهم السلام) قبل محمد ﷺ، وبالتالي ما كانوا يؤمنون بقرب مبعث نبي آخر الزمان، أو يذكرونه أو ينتظرونه، سوى من ذكرنا من أفراد قلائل، تركوا ما عليه القوم وعرفوا هذا العلم من كتب اليهود والنصارى، وهؤلاء الأحناف الذين كانوا على توحيد إبراهيم عليه السلام.

عصر الرسول ﷺ:

---

(١) ابن حجر، **الإصابة**، (٣/٣٢٦).

(٢) ابن كثير، **السيرة النبوية**، (١/٣٤٤).

إن الحـديث عـن سـيرة الرسـول ﷺ يتطلـب منـا تحديـد عصـره الـذي عـاش فيـه بدقـة، وهـو مـا يعـرف عنـد البـاحثين بـزمن الدراسـة أو الإطـار الزمـاني، وإن كـان مـا يـرتبط بعلـم السـيرة النبويـة يبـدأ قبـل ولادة الرسـول ﷺ، ولـذلك فـإن البدايـة الزمنيـة لعصـر الرسـول ﷺ قبـل ولادتـه بفـترة يصـعب تحديـدها، لارتبـاط ذلـك بحيـاة قـريش في مكـة، وبوالـدي رسـول الله ﷺ وبجـده وقومـه، ومـا جـرى لهـم مـن حـوادث، إضـافة إلى بعـض الإرهاصـات الأخـرى الـتي سـبقت مبعـث النبي ﷺ، وآذنت بقرب رسالته ومبعثه رحمة للعالمين.

ويـرى الكـثيرون أن مولـده هـو بدايـة عصـره ﷺ، وهـذا هـو الأرجـح خصوصـاً مـا يتعلـق بحياتـه وسـيرته ﷺ، مـع العلـم أن عهـد الرسـالة أو النبـوة يعـد مـن بدايـة بعثتـه، وهـذا لا ينتفـي مـع الأول إذ إن التـاريخ لحياتـه لـيس خاصـاً بمـا بعـد البعثـة بـل يشـمل مـا قبـل ولادة المصـطفى ﷺ، كمـا أن التـاريخ عمومـاً والحضـاري منـه خصوصـاً يصـعب تحديـده بحـدث واحـد، فالاجتهادات والحوادث مترابطة..

ومولـده ﷺ في يـوم اثـنين مـن عـام الفيـل، وهـذا ثابـت بـنص

حـديث نبـوي قـال فيـه ﷺ (يـوم الاثـنين يـوم ولـدت فيـه)،[١] وذكـر كـثير مـن العلمـاء أن مولـده كـان في ١٢ مـن ربيـع الأول عام الفيل ويوافق سنة ٥٧١م.

ولا شـك أن التحديـد الـزمني الـدقيق لا ينطبـق أحيانـاً علـى عصـر معـين يكـون امتـداده فيمـا قبلـه، وخصوصـاً في مثـل الدراسـات التاريخيـة والحضـارية، فكـل شـخص يـرتبط بالبيئـة المحيطـة، وإن أمكـن تحديـد عصـر الرسـول ﷺ بدقـة مـن مـيلاده إلى وفاته فلا يمكن عزله عن ما سبقه.[٢]

أمـا نهايـة عصـر الرسـول ﷺ فهـو موضـع إجمـاع تـام، حيـث كانـت بوفاتـه ﷺ ضـحى يـوم الاثـنين الثـاني عشـر مـن ربيع الأول الموافق ٨جزيران/ يونيو سنة٦٣٣م.[٣]

ولعـل وسـط هـذا العصـر وعقـده حادثـة الهجـرة الـتي قسـمته إلى قسـمين رئيسـين وكانـت في السـنة الأولى مـن

(١) رواه مسلم في **صحيحه**، حديث رقم: ١١٦٢.

(٢) انظر: د. عبدالعزيز العُمري، **الحرف والصناعات في الحجاز في العصر النبوي**، ص: ٣٨؛ ومحمد عزة دروزة، **عصر النبي**، دار اليقظة، بيروت، ١٣٨٤هـ.

(٣) عبد السلام الترمايني، **أزمنة التاريخ الإسلامي**، ج١/٢٩.

الهجرة وتوافق سنة ٦٢٢م.[١]

وكان الرسول ﷺ طيلة عصره محركاً لأحداث غيرت وجه العالم إلى يومنا الحاضر، هذا التأثير في تاريخ البشرية على لم يكن له مثيل على الإطلاق، فمعظم الشخصيات يقتصر تأثيرها على زمانها وأيام أحداثها وتمتد أحياناً لفترات متفاوته. أما عصر الرسول ﷺ وعهده فهو المؤثر على كافة أصقاع الأرض دون استثناء وذكره مستمر وحي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولا شك أن زمنه وقرنه وجيله ﷺ أفضل القرون و(الأجيال)، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: ((بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرن حتى كنت من القرن الذي كنت فيه)).[٢]

موطن الرسول ﷺ:

مكة أو أم القرى[٣] هي موطن النبي ﷺ بها ولد، وبها

---

(١) عبد السلام الترمانيني، **أزمنة التاريخ الإسلامي**، ج١/٣٤٤.

(٢) رواه البخاري في **صحيحه**، ج٦/٥٦٦؛ وابن أبي شيبه في مصنفه، **كتاب الفضائل**، ما ذكر في الكف من الصحابة.

(٣) أشهر من أن تعرف، وكتبت فيها وفي موقعها وجغرافيتها مؤلفات عديدة، منها: الأزرقي، **أخبار مكة**، **والفاكهي**، **أخبار مكة**، وابن فهد القرشي، **غاية المرام**

بعث، وفيها تربى وترعرع وتزوج، وعمل وعاش معظم حياته، وربى ذريته، واختار أصحابه.

تقع مكة في بطن وادٍ، حيث وضع إبراهيم زوجته هاجر وابنها إسماعيل ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم].

كانت مكة موطن التوحيد الأول في بلاد العرب منذ أيام سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، حيث دعا إبراهيم لها ولأهله، وبنى الكعبة، وحج الأنبياء من بعده لهذا البيت والحرم:

﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦ وَإِذۡ

بأخبار البلد الحرام، وكذلك **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، والفاسي: **شفاء الغرام**، إضافة إلى عدد كبير من المؤلفات القديمة والحديثة يصعب حصرها.

يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة].

أما طبيعتها الجغرافية فتختلف عن كثير من أجزاء الجزيرة العربية، حيث تحيط الجبال بالوادي من كل مكان.

وتسكن قريش وأحلافها مكة وهي قبيلة متحضرة ذات أسفار وتجارة، وعلاقات خارجية جيدة مقارنة ببقية القبائل والبلدان،[١] ويجاورها بالقرب من مكة كنانة والأحابيش يعيشون في الأودية القريبة منها، وهم حلفاء لقريش، ويعملون معها في حراسة قوافلها التجارية، التي كانت تربط الشام باليمن ويقوم عليها اقتصاد مكة، مع عمل بسيط في الحرف الأخرى، يأتي في مقدمتها الرعي وبعض الصناعات البسيطة، كما يوجد بعض الموالي في مكة سواء

---

(١) طالع: أحمد إبراهيم الشريف، **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول**، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

من أصول أفريقية أو رومية أو عربية أحياناً.

وترتبط مكة بأحلاف مختلفة تؤمن قوافلها التجارية، كما ورد في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش].

وكانت تجارتها مصدر رزق ورخاء، حيث تعد واسطة في التجارة بين إنحاء العرب، وكانت قريش تحاول الوقوف على الحياد في الصراعات القائمة بين قبائل العرب، ومع ذلك دخلت في حروب مع بعض القبائل المجاورة.

اشتهرت مكة بوجود الكعبة التي بناها إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة]، وكانت العرب مع وثنيتها تحج إليها.

وكانت الكعبة رمزاً للتوحيد استمر قروناً عديدة، وقبل مبعث النبي ﷺ دنست الكعبة من الداخل والخارج كما دنس محيط مكة عموماً بأصنام مختلفة، تعبد من دون الله تعالى، حتى أصبح الشرك والوثنية سائداً في مكة بين أهلها. ولم يعرف التوحيد إلا في نفر قليل من (الأحناف) _كما مرَّ

ذكـره_ احتفظـوا بالتوحيـد لأنفسـهم، وأنكـروا علـى النـاس عبادة الأصنام، ولم يسمع لهم أحد من أهل مكة.(١)

كان العرب مع شركهم ينظرون لمكة موطن الحرم نظرة خاصة، يقدسونها ويحرمون الاعتداء فيها، ويرونها آمنة دون غيرها قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبوت].

كما اعتبرت أم القرى مركزاً لما حولها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾[الشورى].

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾[التين].

كـان لاحـترام مكـة والكعبـة دور كـبير في إثـارة غـيرة أبرهـة الحبشـي وحفيظتـه، حيـث كـان يحكـم الـيمن وأقـام لأهلـها بيـت (القُلـيس)، (٢) فكـانوا يسـخرون منـه ويمجـدون الكعبـة

---

(١) انظر: الموضوع الخاص بحال العرب قبل الإسلام من هذا الكتاب، وانظر: جواد علي، **المفصل**، ج٦/٤٤٩.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٣٤؛ ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**،

فوصل في حملته المشهورة سنة٥٧١م .

وهو العام الذي ولد فيه النبي ﷺ،قاصداً مكة لهدم الكعبة، حيث قابله عبد المطلب جد النبي ﷺ وقال كلمته المشهورة (للبيت رب يحميه).[1] وفي رواية "للبيت رب سيمنعه كما سيأتي"،[2]ومع أبرهة قوة عظيمة، تتقدمها الفيلة فسلط الله عليهم الطير الأبابيل[3] كما ذكر تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾[**الفيل**].

كانت مكة مقسمة إلى أرباع بين أقسام قريش وأفخاذها المختلفة، يمكن من خلالها تحديد مواطنهم وبيوتهم وتجمعاتهم داخل مكة، كما كانت لدى هذه الفصائل وظائف محددة في القبيلة، منها السقاية والرفادة، والراية،[4] كما كانت تفرض العشور كنوع من الضريبة

ج٩١/١

(١) انظر : ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج٩٢/١.

(٢) انظر : ص ٢٠٨ من هذا الكتاب.

(٣) ابن أبي شيبة، **المغازي**، ص ٩٠.

(٤) انظر: الزبيري، **نسب قريش**، وابن حبيب، المحبر.

على التجار القادمين لمكة.

واشتهرت مكة بدار الندوة،[١] التي يجتمع فيها أهل الرأي المعروفين في قريش بـ (الملأ) وهم الزعماء الذين كانوا يسعون لقوة قريش ووحدتها.

لم تكن عشيرة النبي وهم بنو هاشم من أكثر الناس ثراء في مكة، ومع ذلك فهي أعلاها نسباً وأكثرها خدمة لزائري مكة من الحجاج وغيرهم، فكانت لهم السقاية (سقاية الحجاج) والرفادة (إطعامهم) حتى لو اضطروا للاستدانة في بعض الأحيان للقيام بهذه الأمور.[٢]

وفي كل بطون قريش وجد زعماء وأصحاب رأي وقادة أشداء، كان بعضهم شديد الخصومة والخلاف للنبي ﷺ عندما أظهر دعوته.[٣]

كما كانوا متمسكين بجاهليتهم مدافعين عن ضلالات

---

(١) الأزرقي، **تاريخ مكة**، ص ١٠٧، ١١٠، ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ص : ٨٧.

(٢) انظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١/٥٨، والأزرقي، **تاريخ مكة**، ص١١٠.

(٣) انظر : موضوع أذى المشركون للرسول ﷺ هذا الكتاب .

وانظر لمزيد من التفصيلات: السويكت؛ سليمان بن عبدالله، محنة المسلمين في العهد المكي،ط١، مكتبة التوبة،الرياض، ١٤١٢هـ

قـريش حفاظـاً علـى مـوروثهم مـن عبـادة الأصـنام وغيرهـا، كمـا يظنـون بكـل جهـل وعَمـى بعيـداً عـن الحـق عصـبية باطلـة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [الزخرف].

وبـذلك كـان تفكيرهـم ضـعيفاً موروثـاً بـلا عقـل، يقلـدون مسائل محدودة وتغيب عنهم المسائل الحاسمة.(١)

كانـت مكـة تمـوج بالشـهوات، ففـي وقـت كانـت قـريش أحـرص النـاس علـى أعـراض الحرائـر مـن النسـاء،(٢) كـان يبـاح للرجـال كـل شـيء، حيـث يتشـاركون في الجاريـة الواحـدة، يـأتون خيـام الـدعارة الـتي عرفـت فيهـا صـاحبات الخيـام مـن الـداعرات الاتـي هـن في الغالـب مـن الإمـاء يتاجرون بفروجهن، ويستحللن ما يأتيهن من مال الزنا.(٣)

يشربون الخمر ويأكلون الربا ويأتون المعازف والمراقص وكل أسباب الهوى، تغلبهم الشهوات بحكم عدم إيمانهم بالبعث

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٧٨، وانظر: **تفسير ابن كثير**، سورة النور، ج٢/١٦٧٩.

(٢) انظر: أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية**، ص :٩٣.

(٣) محمود شكري الألوسي، **بلوغ الأرب في أحوال العرب**، ج٢/٥٢، وانظر: ابن كثير، **تفسيره**، سورة النور، ج٢/١٣٣٢.

والحساب،[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة].

ولعل تصوير جعفر بن أبي طالب للنجاشي حالهم قبل البعثة أبلغ وصف ينقله شاهد عيان معاصر معايش لهم: ((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف)).[2]

كان الشرك يضرب بأطنابه في مكة، فالكعبة مليئة بالأصنام والصور وساحة الحرم كذلك، لا يكاد يوجد بيت من بيوت مكة إلا وله أصنامه الخاصة.[3]

النسب المختار للمصطفى ﷺ:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (شيبة) بن هاشم بن عبد مناف بن مضر بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن

(١) انظر: **تفسير ابن كثير**، سورة الجاثية، آية: ٢٤، ج٢/١٦٩٩،
وانظر: موطن الرسول ﷺ هذا الكتاب.
(٢) ابن هشام، السيرة **النبوية**، ج١/٣٣٦.
(٣) ابن هشام، السيرة **النبوية**، ج١/٧٨.

مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن آدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.(١)

وما بعد عدنان محل نظر عند كثير من العلماء سوى اتصاله بإسماعيل.(٢)

وقد ورد أنه ﷺ قال: ((إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريش، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار)).(٣)

وقد كانت قريش كلها تقر بعلو نسب رسول الله ﷺ، وهذا ما قاله أبو سفيان لهرقل حين سأله كيف نسبه فيكم قال: هو فينا ذو نسب ، فقال هرقل: فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.(٤)

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى قد زكى النسب الشريف

---

(١) ابن كثير، **السيرة النبوية**، (١٨٣/١). والبخاري يحذف بعض الآباء ويوصله إلى عدنان بن إبراهيم عليه السلام، ج٢٣٨/٤.
(٢) ابن القيم، **زاد المعاد**، ج٧١/١.
(٣) صحيح **مسلم**، ج٢٦/١٥، **شرح النووي**.
(٤) صحيح **البخاري**، كتاب بدء الوحي.

باصطفاء محمد ﷺ فزادهم النبي شرفاً ورفعه إلى يوم القيامة، وليس العكس قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام].

أباء المصطفى المختار ﷺ:

عبد الله بن عبد المطلب:

هو أبو الرسول ﷺ، كان عاشر عشرة من أبناء عبد المطلب من أوسطهم، كان كريماً على والده، فزوجه من آمنة بنت وهب من بني زهرة من أفضل قريش نسباً، عمل مساعداً لأبيه في تجارته توفى في بالمدينة في أحد رحلاته إلى الشام، وآمنة حامل برسول الله ﷺ وقيل إن عمره حين وفاته خمس وعشرون سنة.[١]

أم الرسول ﷺ:

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٥٨؛ ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج١/٩٥؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/١٨٣؛ الزبيري، **نسب قريش**، ص٢١؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١/٩١.

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة[1]. أفضل امرأة في قريش نسباً، من أتمهن عقلاً، كان والدها سيد بني زهرة، تزوجها عبد الله بكراً بعد أن خطبها والده عبد المطلب من أبيها، وبنى بها وبقى عند أهلها ثلاثة أيام ثم ارتحلت إلى داره، وحملت برسول الله ﷺ في أيامها الأولى من الزواج الذي لم يستمر طويلا لسفر عبد الله في تجارة والده إلى الشام حيث توفى، وترملت آمنة وهي شابة ففرغت نفسها بعد ذلك للعناية برسول الله ﷺ الذي ولدته يتيماً، وقد سافرت به إلى المدينة في السادسة من عمره لتزور أخوال جده عبد المطلب من بني النجار، ولتزور قبر زوجها عبد الله، وفي طريق العودة ماتت بالأبْواء،[2] وزار ﷺ قبرها.

(١) للمزيد من التفاصيل راجع أم النبي للدكتورة عائشة عبد الرحمن.
وانظر: الهاشمي، حسين بن حيدر محبوب، جمهرة أنساب أمهات النبيﷺ ، ط١، دار البخاري، المدينة المنورة وبريدة، ١٤١٨هـ ص٣٠.

(٢) الأبواء: قرية من أعمال المدينة في الطريق القديم إلى مكة بها قبر أمنه أم النبي ﷺ، وبها وادي مشهور من أودية الحجاز يسمى الآن الخريبة.
(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٧٩)؛ عاتق غيث البلادي، معجم الأماكن الواردة في السيرة، ص :١٤.

روى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي، فزوروا القبور تذكركم الموت.[(١)]

عبد المطلب بن هاشم:

جد رسول الله ﷺ لأبيه، كان أشرف قريش في زمانه، من أكثرها مالاً، عرف بمكانة خاصة عندهم، فهو الذي أعاد حفر بئر زمزم بناءاً على رؤيا رآها، ونازعته قريش عليها،[(٢)] لكن أمر السيطرة عليها كان من نصيبه؛ حيث كان هو وأبناؤه يقومون على سقاية الحاج، كان مفاوضاً لأبرهة حينما قدم لهدم الكعبة، عرض على أبرهة المال وما يريد لعله يرجع عن عزمه غزوته تلك، لكن أبرهة رفض ذلك وأعلن أنه جاء لهدم الكعبة، فقال قولته المشهورة (للبيت رب سيمنعه)،[(٣)] ورد الله كيد أبرهة بالطير الأبابيل ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل].

---

(١) **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج٧/ ٤٦.

(٢) انظر: الزبيري، **نسب قريش**، ص١٧؛ ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٤٢؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/١٨٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٥٠؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٣٤.

وقـد سمـى عبـد المطلـب الـنبي ﷺ بعـد ولادتـه محمـداً ورعـاه، حيـث ولـد يتيمـاً، فكـان جـده عبـد المطلـب يعطـف ويحـن عليـه أكثـر مما يحـن علـى أولاده الآخـرين، متـذكراً ابنـه المتـوفى عبـد الله رائيـاً في محمـد ﷺ مـا لم يكـن يـراه في الصـغار الآخـرين، يقربـه إليـه ويدنيـه منـه ويعجـب منـه ومـن حسـن أدبـه وحكمتـه في التصـرف، ويقـول: (إن لأبـني هـذا شأناً).(١)

كـان يتفقـده ويتابعـه ولمـا حضـرت عبـد المطلـب الوفـاة أوصـى ابنـه أبـا طالـب بـه خـيراً، و طلـب منـه أن يضـمه إلى أبنائـه ويرعـاه، وتـوفى وعمـر الرسـول ﷺ قرابـة الثمـاني سـنوات، فكفلـه بعـد ذلـك عمـه أبـو طالـب، وهـو والـد أمـير المـؤمنين علـي بـن أبـي طالـب ﷺ وكـان مـن أكـرم قـريش وأشرفها.(٢)

فأحـب أبـو طالـب الـنبي ﷺ أكثـر مـن أولاده، فكـان يتفقـده في نومـه، ويصـحبه معـه في يومـه، ويقدمـه علـى أولاده في الطعـام والشـراب والملـبس والجلـوس والكـلام وغـير

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٦٨.

(٢) انظر : ترجمته في الزبيري، **نسب قريش**، ص٣٩.

ذلك، وقد أثر ذلك في نفس النبي ﷺ، فكان وفياً لعمه بعد ذلك ولأبنائه وخصوصاً علي بن أبي طالب ﷺ.

كما كان للرسول ﷺ من جده عبد المطلب عدة أعمام،(١) أشهرهم العباس، أسلم وهاجر بعد الفتح،(٢) وأبو لهب كان كافراً معانداً للرسول ﷺ، وحمزة سيد الشهداء،(٣) وهو أخو الرسول ﷺ من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة، مولاة أبي لهب إضافة إلى أعمام آخرين لم يشهدوا الإسلام.(٤)

كما كان للرسول عمات، أشهرهن صفية،(٥) أسلمت مبكرة وهاجرت إلى المدينة، وهي أم الزبير بن العوام ،

---

(١) الزبيري، **نسب قريش**، ص١٧ (م).

(٢) انظر: ترجمته عن ابن حجر في الإصابة، ج٢/٢٧١؛ وانظر:ترجمة العباس من هذا الكتاب.

(٣) ابن حجر، الإصابة، (٣٥٣/١)

وانظر ترجمة حمزة :في هذا الكتاب.

(٤) **المصدر السابق**.

(٥) ابن حجر، **الإصابة**، ج٤/٣٤٨؛ وانظر: ترجمتها في المعايشون للرسول من هذا الكتاب.

ومـــنهن أم حكـــيم، وأروى وعاتكـــة وغيرهـــن، لم يعـــرف إسلامهن.[(١)]

ومن أجداده المشهورين:

هاشم بن عبد مناف.

واسمـــه عمـــرو، ونعـــت بهاشـــم لأنـــه يهشـــم الثريـــد للحجـــاج، ويقدمـــه مـــع اللحـــم لـــزوار الحـــرم، قـــال عنـــه الشاعر:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه

ورجال مكة مسنتين عجاف

وسنت إليه الرحلتان كـــلاهما

سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وهـو أول مـن نظـم رحلـة الشـتاء والصـيف لقـريش، تـزوج مـن بـني النجـار في المدينـة، فكـان لـه مـنهم عبـد المطلـب جـد الـنبي ﷺ، كمـا كـان لـه أربعـة مـن الأولاد، وفي عصـره قويـت

(١) انظر الزبيري، **نسب قريش**، ص ١٨.

مكانـة مكـة حتـى صـارت أهـم مـدن العـرب دينيـاً وتجاريـاً، وقد مات في غزة من أرض الشام.[١]

عبد مناف.

كـان أشـرف أبنـاء قصـي بـن كـلاب وأكثـرهم مكانـة في قـريش، وقـد تنـافس أبنـاؤه مـع عبـد الـدار وكـادت أن تقـع بيـنهم حـرب، فتركـوا السـقاية والرفـادة لـبني عبـد منـاف والحجابـة واللـواء والنـدوة لـبني عبـد الـدار، وسـاد السـلم بينهم.[٢]

قصي بن كلاب.[٣]

عـرف عنـه الجـد والـرأي السـديد وكانـت لـه سـدانة الكعبـة بمكـة، كـان صـاحب جـاه في قـريش[٤] مـن أكثـرهم مـالاً وولـداً، وكانـت خزاعـة تجـاور قريشـاً في مكـة فجمـع قصـي قريشـاً وأحلافهـم معهـم، وخـاض حربـاً ضـد خزاعـة، فـأخرجهم مـن بطـن مكـة، ثـم أطاعـه قومـه حتـى صـار كأنـه

---

(١) ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/١٨٥.
(٢) ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/١٨٥.
(٣) ابن سعد، **السيرة النبوية**، الطبقات، ج١/٦٦.
(٤) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج٢/٢٥.

ملكاً لهم، وهو أول من أقام دار الندوة،[١] وهو أول من سن الرفادة في قريش، وكان يكرم الحجاج بالطعام والشراب، وآلت إليه الحجابة واللواء،[٢] ونقل ابن هشام شيئاً كثيراً من الشعر عنه وعن شرفه.[٣]

أسماء النبي ﷺ:[٤]

أشهر أسمائه ﷺ (محمد) وقد ورد في القرآن الكريم في أربعة مواضع وسميت باسمه سورة من سور القرآن

يقول تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

---

(١) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج/١٠٩.

(٢) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٨٨.

(٣) **المصدر السابق**، ج١/٨٩؛ وانظر : البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج١/٥٥.

(٤) انظر: ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، (١/١٠٤)؛ وما كتبه الصالحي الشامي، **في سبل الهدى والرشاد** بعنوان الباب الثالث في ذكر ما وقفت عليه من أسمائه الشريفة وشرحها وما يتعلق بها من الفوائد، ج١/٥٠٠.

[الأحزاب].

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ [محمد].

وقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح].

وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب المناقب باباً سماه (باب ما جاء في أسماء رسول الله أورد فيه حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب)[١]،

(١) صحيح **البخاري**، كتاب المناقب، (باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ) ج٤/١٦٢ .

وقد ألفت كتب في أسماء رسول الله.[١]

كما سمى أحمد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف].

وفي العهد القديم ما يصدق ذلك " سوف يأتي حمده لكل الأمم وسوف أملأ هذا البيت بالمجد ".[٢]

وقد عرفت له صفات كثيرة[٣] اشتهرت كأسماء له، لكنه قد

---

(١) منها :**أسماء النبي في القرآن و السنة، عاطف قاسم أمين المليجي**. وأسماء الرسول المصطفى ﷺ وألقابه وكناه، لأحمد بن فارس و هو منشور مشهور.
و للسيوطي الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة، و هو منشور متداول،
و لابن القيم فصل نفيس في كتابه جلاء الأفهام، عرج فيه على شيء من هذا.
انظر: http://www.ahlalhdeeth.com بتاريخ ٢٠١٠/١١/٢٧
كما توسع في ذلك الصالحي الشامي، في سبل الهدى والرشاد ج١/٥٠٠
انظر لمزيد من التوسع: **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط**، السيرة والمدائح النبوية، ج١/٣١، من رقم ١٥٢ إلى ١٥٩، مؤسسة آل البيت، عمان، ط١، ١٤١٧هـ، وانظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ج٤/١٦٢.

(٢) انظر: عبدالأحد داود، محمد ﷺ كما ورد في كتابات اليهود والنصارى، ص ٣٦.
(٣) انظر: **صحيح البخاري**، باب صفة النبي ﷺ.

يشترك مع غيره في الوصف أحياناً، كالمبشر والنذير والهادي والرحمة والأمين والمتوكل والمزمل والمدثر والمصطفى والمختار والصادق والشفيع. ﷺ.

ومعنى محمد وأحمد صاحب المحامد والفضائل. ولا يزال يحمد ويثنى عليه في كل زمان ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء].

وقد عرف باسمه لدى أهل الكتب، كما شهد بذلك القرآن الكريم، وكما شهد بذلك بعض علماء النصارى.(١)

وقد كان ﷺ يكنى بابي القاسم وقد نهى ﷺ الناس أن يتكنوا بكنيته في حياته،(٢) ويكنى كذلك بابي إبراهيم، كناه به جبريل،(٣) ولعل ذلك في آخر حياته بعد ولادة ابنه إبراهيم.

ميلاد المصطفى الحبيب:-

تزوج عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول ﷺ من آمنة بنت وهب أم الرسول، وبقي معها فترة من الوقت وظهر

---

(١) انظر : موضوع العالم وانتظار الرسول من هذا الكتاب.

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، فتح الباري، ج٢٢/٣٨٢، و**مسلم**، ج٣ /١٦٩٤.

(٣) مهدي رزق الله، **صفوة السيرة**، ص ٥٩.

حملـها برسـول الله ﷺ وتقـدمت بهـا أشـهر الحمـل فـإذا بعبـد الله والـد الرسـول الله ﷺ يمـوت قبـل أن تـتم الحمـل[1] وأذن للجـنين أن يولـد في ربـوع مكـة، رأت أمـه قبـل مولـده ﷺ رؤيـا كمـا ورد عـن الـنبي ﷺ: ((أنـي عنـد الله لخـاتم النبـيين وإن آدم لمجنـدل في طينتـه وسـأخبركم عـن ذلـك أنـا دعـوة إبـراهيم وبشـارة عيسـى ورؤيـا أمـي الـتي رأت وكـذلك أمهـات النبـيين يرين)).[2]

وقيـل إن أمـه رأت عنـد مولـده رؤيـا وكأنـه خـرج منهـا نـور أضاءت منه بصرى من أرض الشام.[3]

وقيـل إن قابلتـه الـتي وليـت أمـه هـي الشـفاء أم عبـد الرحمن بن عوف رضي الله عنه .

ومـن المـرجح أن يـوم مولـده لم يحـدد بدقـة[4] مـع أنـه ثبـت

(١) ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات الكبرى، ج١/٩٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، (١/١٥٨).

(٢) ابن كثير، تفسير، (١/٢١٢)؛ وراجع صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، (٤/١٦٢)؛ وشرح ابن حجر على الباب.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٥٨؛ ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٥٨؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٠٦؛ انظر: د. أكرم العُمري، **السيرة النبوية الصحيحة**، ج١/ ١٠١.

(٤) انظر: تفصيلات الخلاف عند ابن كثير في السيرة النبوية، ج١/٢٠٠.

عنه ﷺ أنه قال: ((يوم الاثنين يوم ولدت فيه)).[(١)]

وبظروف المولد كان يصعب التحديد، حيث كان عند الناس مولوداً عادياً يتيماً لكنه عند الله المصطفى من البشر، وآخر أنبيائه وأفضل عباده، وما كان أحد من الخلق يعلم ذلك ساعة ولادته أو أثناء حمله، وإلا لسعى شياطين الإنس والجن إلى أذاه، فأخفى الله سره، ولم يطلع أحد على ذلك حتى رسول الله ﷺ نفسه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى].

وقد اجتهد العلماء في تحديد يوم ميلاده فقال بعضهم إنه ولد في الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل،[(٢)] ويوافق سنة ٥٧١ للميلاد،[(٣)] وهذا الاختلاف في يوم ميلاده لا ينقص من قدره ﷺ، فهو سيد ولد آدم ولا شك، ولم

و عند **الطرهوني في صحيح السيرة**، ج١/٢٧١.

(١) **صحيح مسلم**، ١١٦٢.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٥٨؛ محمد أبو شهبه، **السيرة النبوية**، ج١/١٧٣؛ أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص٩٩؛ أحمد العسيري، **موجز التاريخ الإسلامي**، ص٥٣.

(٣) انظر: **ترمانيني؛ أزمنة التاريخ الإسلامي**، ص١١.

يذكر أنه ﷺ انشغل بتحديد هذا اليوم، رغم كثرة توجيهاته وسننه ﷺ، ولم يرد في حديث منسوب له كما أعلم أي ذكر لتحديد دقيق لميلاده ﷺ. ومن المؤكد أن وفاته ﷺ كانت يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة١١هـ، ويوافق الثامن من شهر حزيران سنة ٦٣٢م، وأي احتفال بهذا اليوم فيه تذكير بالوفاة وحزن الأمة ومصابها فيه ﷺ.

وأما مكان ميلاده ﷺ فكانت في دار عمه أبي طالب في شعب بني هاشم، وكانت طوال قرنيين كاملين ضمن الدور المجاورة للحرم، انتقلت من مالك إلى آخر، حتى حجت الخيزران أم هارون الرشيد زمن خلافته، فجعلت منها مسجداً، وهي قريبة من الحرم معروف موضوعها حالياً، حيث توجد بها مكتبة مكة المكرمة إلى الشرق من الساحة الملاصقة للمسعى وهو أمر متواتر لدى علماء مكة وأهلها.

وبعد ولادته مباشرة أرضعته ثويبة جارية عمه أبي لهب،[1] وحضنته بركة الحبشية (أم أيمن)، جارية والده

---

(١) ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، (١٠٨/١)؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج٢٢٣/١.

عبـد الله، وكـان بهـا بـاراً طـوال عمرهـا، حيـث أسـلمت وهـاجرت إلى المدينـة، وشـهدت وفاتـه كمـا شـهدت ولادتـه ﷺ.[١] فأتاهـا أبـو بكـر وعمـر ليعزياهـا في رسـول الله ﷺ، فلمـا أتيـا إليهـا بكـت فقـالا مـا يبكيـك قالـت: لا أبكـي أن لا أكـون أعلـم أن مـا عنـد الله خـير لرسـوله ﷺ، ولكـن أبكـي لأن الوحي قد انقطع من السماء فجهشا بالبكاء.[٢]

وقـد أورد الـبعض أمـارات خارقـة للعـادة حـين ولادتـه ﷺ كـثير منهـا محـل نظـر. ومـن محبـة الرسـول ﷺ الحقيقيـة التثبـت منهـا، وعـدم إيرادهـا إلا إذا ثبتـت صـحتها، وهـذا لا يـنقص مـن قـدر الحبيـب ﷺ، ولـو علـم النـاس شـيئاً مـن نبوتـه واصـطفاء الله لـه منـذ المـيلاد لنالـه مـن شـرارهم أذىً كـبير، ولكـن إخفـاء أمـره رحمـة بـه وحفظـاً لـه، مـع أن الله اصـطفاه منذ آدم عليه السلام وجعله سيد ولد آدم.

وينبغـي لمحـبي الرسـول ﷺ أن يعرضـوا عـن مـا ذكـره بعـض الجهـال مـن هواتـف الجـان والشـياطين والكهـان يـوم مولـده

---

(١) ابن كثير، **السيرة النبوة**، ج١/٢٢٣؛ وانظر: ترجمتها عند ابن حجر، **الإصابة**، ج٤/٢٥٧؛ وانظر تفصيلات عن أم أيمن في موضوع المعايشون للنبي ﷺ من هذا الكتاب.

(٢) صحيح مسلم، ج/ ٣٤٠٤.

فحاشا لله أن يربط الحبيب المصطفى ومولده بمثل هذه الخرافات.[١]

أول ما فعلته أمه ومن معها من النساء بعد ولادة الحبيب المصطفى ﷺ أن أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بذلك المولود اليتيم، لابنه العزيز عبد الله، فاقبل عبد المطلب مسرعاً مسروراً وضم الحبيب إلى صدره، متذكراً يتمه وفقد والده عبد الله، فحمله إلى الكعبة وشكر الله ودعاه وسماه محمداً، [٢] وهو اسم نادر بل شبه معدوم في حينه عند العرب، لكنه اسم اختاره الله لحبيبه وهدى إليه جده عبد المطلب، وقيل إن أمه سمته أحمد ولا تعارض بين الاسمين. فرح أعمام النبي ﷺ ومنهم أبو لهب الذي اعتق ثويبة حينما بشرته بمولد النبي ﷺ،[٣] كما فرح عمه أبو طالب وفرح العباس بن عبد المطلب.[٤]

---

(١) انظر: ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢١٩؛ محمد أبو شهبه، **السيرة النبوية**، ص ١٧٧.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١ /١٠٩؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٠٩و ٢٠١.

(٣) ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٢٤.

(٤) **المصدر السابق**، ج١/٢٠٩؛ وابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات الكبرى**، ج١/١٠٨.

يتيماً آواه الله.

قبل الحديث عن يتم الرسول ﷺ يتبادر إلى الذهن عناية الله ورعايته له في يتمه ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [الضحى] وبالتالي فقد سخر الله له من البشر من أعانه في يتمه، فكانت أمه آمنة بنت وهب تعطف وتحن عليه، حيث ولدته بعد وفاة والده عبد الله، وكان جده عبد المطلب محل والده يكفله ويتفقده ويشفق عليه ما بقي من حياته، حتى وصل عمر الرسول ﷺ ثماني سنوات تخلل ذلك رضاعته في بني سعد.

كان عبد المطلب يُقرب محمداً ﷺ ويدنيه فيه ويجلسه إلى جانبه، رغم صغر سنه يخصه بذاك المجلس كما يخصه بالطعام في حضرته.(١)

إن في يتم الرسول ﷺ من البداية تربية من الله له وتأديباً، ودافعاً له للجد والعمل ورحمة من الله له أعلى وأشمل من رحمة الوالدين بولدهما.

وقد انضاف إلى يتمه من أبيه يتمه من أمه، حيث توفيت

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٦٨؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٣٥؛ ابن سعد، السيرة **النبوية من الطبقات**، ج١/١١٨.

والدتـه آمنـة بنـت وهـب عنـدما بلـغ الـنبي ﷺ سـت سـنين، وكانــت في رحلــة إلى المدينــة عرفهــا الرســول ﷺ ووعاهــا، وكــان يحــدث عــن تلــك الرحلــة. وعنــد العــودة توفيــت في الأَبْـواء ودفنـت هنـاك. وقـد زار الـنبي ﷺ قبرهـا بـإذن ربـه ونُهـى عن الاستغفار لها.[1]

وحملتـه مولاتـه وحاضـنته أم أيمـن، وواصـلت الطريـق إلى مكـة، حيـث أوصـلته إلى جـده عبـد المطلـب، فـزاد عطفـه عليـه ورعايتـه لـه، واسـتمرت حاضـنته أم أيمـن تتـابع وضـعه وتقـوم علـى حالـه بمتابعـة مـن جـده عبـد المطلـب، كانـت محبـة للرسـول ﷺ وحنونـة عليـه عـرف لهـا ﷺ ذلـك، وكـان يصـلها في المدينـة بعـد الهجـرة،[2] ويقـول عنهـا (هـي أمـي بعـد أمـي) .كـان عبـد المطلــب يجلســه معــه علــى فراشــه حــول الكعبــة ويميــزه عــن الصــغار، وقــد حــاول بعــض أعمامــه أن يجلســوه مــع الصــغار بعيــداً عــن مجلــس عبــد المطلــب الخــاص، فيقــول لهــم عبــد المطلـــب: (دعـــوا ابـــني فـــوالله إن لـــه لشـــأناً)[3] ثـــم يجلســـه

---

(١) انظر: **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج٧/ ٤٦. وابن كثير ، **البداية والنهاية**، ج٢/ ٢٠٣.

(٢) ابن حجر، **الإصابة**، ج٤/٤٣٢.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٦٨.

بجـواره، ولمـا حضـرت عبـد المطلـب الوفـاة أوصـى ابنـه أبـا طالـب والـد أمـير المـؤمنين علـى ﷺ بكفالـة الـنبي ﷺ، وأن يضـمه إلى أبنائـه ففعـل فكـان نعـم العـم ونعـم الراعـي الحـاني للنبي ﷺ.(١)

كـان أبـو طالـب مـن أشـرف قـريش وإن لم يكـن كـثير المـال لكنـه كـريم الـنفس عطوفـاً، أحـب محمـداً ﷺ ، ولعـل حكمـة الرسـول ﷺ وحسـن خلقـه وأدبـه في صـغره أعطـت أبـا طالـب مزيـداً مـن التقـدير لرسـول الله ﷺ في صـغره، فكـان يتفقـده في نومـه وفي طعامـه ويخـرج بـه معـه في مجالسـه، وقـد أحـس أبـو طالـب ببركـة الـنبي ﷺ في بيتـه، وكـان ذا عيـال يـرى تميـزه مـن بيـنهم في الشـرب والأكـل والجلـوس والمنطـق وحسـن الأدب والنظافـة، ممـا فطـر عليـه الـنبي ﷺ فيـزداد أبـا طالـب حبـاً للـنبي ﷺ .

رضاعة المصطفى المختار :

كـان للرسـول ﷺ مرضـعات منـذ ولادتـه، أولاهـن أمـه آمنـة بنـت وهـب أرضـعته عـدة أيـام.(٢) ثـم أرضـعته ثويبـة جاريـة أبـي

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٧٩؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٤٢.

(٢) ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٢٣.

لهب[١] وكان له منها أخوة من الرضاعة هم عمه حمزة بن عبد المطلب، وابن عمته أبو سلمه المخزومي.[٢]

وقد أعتاد العرب على أن يسترضعوا لأبنائهم من البادية حيث الهواء الطلق، والبيئة النظيفة واللغة السليمة، إضافة إلى الحاجة، وخصوصاً عند الأمهات اللاتي لم يكنَّ قادرات على إرضاع أولادهن كحال آمنة أم النبي ﷺ على ما يبدو، التي قيل إنها لم تستطع أرضاعه ﷺ أكثر من تسعة أيام.[٣]

وكان أشراف العرب القادرون يختارون لاسترضاع أبنائهم في القبائل فترة الرضاعة، يليها سنوات أخرى من الحضانة والتربية، وخصوصاً مراحل تلقي اللغة حتى السادسة من العمر أو فوق ذلك بقليل.

وكانت قبيلة بني سعد من هوازن تقيم بالقرب من الطائف، وتأتي نساؤها إلى مكة طلباً للولد من قريش، ليقمن بإرضاعهم مقابل المال، وقد جاءت حليمة بنت أبي

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٢٢٣؛ ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٠٨.

(٢) **المصدر السابق**.

(٣) انظر: محمد أبو شهبة، **السيرة النبوية**، ص١٩١.

ذؤيب إلى مكة بحثاً عمَّن ترضعه لعلية القوم من قريش، فعرض عليها رسول الله ﷺ وعلى غيرها من نساء بني سعد، فكن يرفضنه إذا علمن أنه يتيم الأب خشية أن لا يحصلن على كثير من المال مقابل إرضاعه، إذ لا أب له، فلما لم تجد حليمة السعدية غيره عادت وأخذته، وهي كارهة أن ترجع دون من ترضعه، لتحصل ولو على القليل من المال مقابل ذلك.

فلما أخذته وقع حبه في قلبها، وأرضعته، فوجدت منه بركة عظيمة مذ أخذته من أمه، حتى قال زوجها لقد صحبت نسمة مباركة.(١)

وأحست بالبركة في غنمها وفي طعامها وفي سائر أحوالها، وهي تزيد حباً له ورحمة به، حتى أتم سنتين ففطمته من اللبن وقد شب ﷺ وهي متعلقة به.(٢)فرجعت به إلى أمه في مكة وهي كارهة لذلك، وتود لو يبقى عندها ﷺ فترة أطول.ولما رأته أمه احتضنته وفرحت به وبقى عندها أياماً، ورأت من محبة حليمة وشفقتها عليه ما جعلها تحس

---

(١) ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٢٦؛ ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٦٢؛ ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١١١.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٦٤؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٢٧.

بالأمان والاطمئنان عليه عندها.

وأمام إلحاح حليمة السعدية في أن ترجعه معها ليستكمل وقتاً آخر في بني سعد، وافقت آمنة أم النبي ﷺ على ذلك، فرجع إلى ديار بني سعد، وأقام بينهم بعد ذلك قرابة السنتين، وفي مبدأ الخامسة من عمره عادت به حليمة إلى والدته في مكة لتكمل رعايته وعنايتها به.[١]

وقد كان له إخوة من الرضاعة من حليمة السعدية ذكر منهم الشيماء[٢] .

وقد أكسبته هذه المدَّة لغة سليمة حتى ورد أنه قال: (أنا أعربكم أنا قرشي واستُرضعت في بني سعد بن بكر).[٣]

وقد شارك إخوانه من الرضاعة شظف عيش البادية، كما أنه شارك في رعي الغنم في مرحلة مبكرة من عمره، وإن لم ترد النصوص بذلك، خصوصاً أنه قد قارب الخامسة من العمر في مضارب البادية فإن أمثاله يقومون

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٦٤؛ ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١١٣.

(٢) ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج٢/٣٠١.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١ /١٦٧. وانظر: أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية**، ص١٠٣؛ ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١١٢.

بشيء من ذلك، وإن كان بحدود وبالقرب من المنزل ، وقد دلت الروايات على اختلاطه بالصغار من أمثاله في مضارب البادية، ولا شك أنه حصلت له مواقف استفاد منها ﷺ وساعدت في نشأته، وقد عرف عنه الأدب منذ صغره في هذه المرحلة ﷺ واعتماده على النفس، ولا شك أن في هذه استمراراً لتأديب الله له ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)).[1]

وقد قال وفد هوازن للنبي ﷺ بعد غزوة حنين وقد أُسرت نساؤهم (إنما في الحظائر ـــ أي الأسر ـــ عماتك وخالاتك وحواضنك اللائي كن يكفلنك)،[2] مشيرين بذلك إلى مجموعة من نساء ذات علاقة به من الرضاعة، حينما كان في بني سعد، وكان فيهن الشيماء بنت حليمة السعدية أخته من الرضاعة.[3]

حادثة شق الصدر:

أثناء وجود الرسول ﷺ في ديار بني سعد قبل إعادته إلى أمه، ولعله في سن الرابعة ﷺ، كان يلعب مع الصبيان، فحدثت له حادثة شق الصدر التي وردت بطرق مختلفة

---

(١) ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١١٠.

(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٢/ ٣٠١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/١٦١؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٢٢٩.

وبألفاظ بعضها أشمل وأوسع من بعض، ولعل أصحها ما ورد في صحيح مسلم عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ؑ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فأستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لامه، وأعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني مرضعته) فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره)).[1]

وقد وردت روايات أخرى عن شق صدر الرسول ﷺ عند الإسراء به،[2] وهذه لا تعارض تلك فقد تكون حالة أخرى، وما دامت الرواية نقلت عن الرسول ﷺ بسند صحيح فنؤمن بوقوعها، وهي من كراماته ومعجزاته الخاصة ﷺ، وإذا كانت قدرة البشر الجراحية في الوقت الحاضر يمكنها شق الصدر فالله سبحانه وتعالى أعلم وأقدر

(١) رواه مسلم في **صحيحه**، ج١/ ١٤٧؛ وانظر: ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١١٢.

(٢) من **رواية البخاري عن الإسراء والمعراج**، ج٤/٢٤٨؛ وانظر: ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج٢/١٠٨.

وأقوى وألطف، وقد آمن السلف بالرواية في وقت لم يكونوا يتخيلون أن يعيش الإنسان بعد شق صدره.

وقد ذكر بعض العلماء أن هذه الحادثة هي المشار إليها في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح].[1]

وما أحسن قول ابن حجر في هذه الحادثة: (إن جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم به دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدر فلا يستحيل شيء من ذلك).[2]

كانت هذه الحادثة من خصائص النبي ﷺ في صباه وقبل مبعثه وإعداداً له للرسالة، وقد ثبتت صحة وقوعها وعلم الرسول ﷺ بها ووعيها كما أنه لم ينقل الحديث عنها بمكة، بل نقل حديثه عنها من أنس بن مالك ﷺ وهو خادمه في المدينة المنورة.

---

(١) انظر: **تفسير ابن كثير**، ج٢/٢٠٧.

(٢) **فتح الباري**، ج١٥/٥٢.

وفي هـذه الحادثـة تطهـير إلهـي لقلـب الرسـول ﷺ مـن حـظ الشـيطان منـذ صـغره ﷺ وحمايـة وإعـداد مبكـر لحمـل الأمانة والرسالة.(١)

الزيارة الأولى للمدينة:

المدينـة المنـورة بالرسـول في حياتـه وبقـبره ﷺ بعـد وفاتـه، مهـاجره وعاصـمة دولتـه، ومجمتـع أصـحابه مـن المهـاجرين والأنصار، له معها قصه في صباه ﷺ.

ذاك أنـه حـين بلـغ السادسـة مـن العمـر رغبـت أمـه أن تـزور أخـوال والـده مـن بـني النجـار في المدينـة ذوي القربـى مـن زوجهـا وبالتـالي ابنهـا الصـفير محمـد ﷺ، ولعلـها في الوقـت نفسـه رغبـت في زيـارة قـبر زوجهـا عبـد الله بـن عبـد المطلـب والـد الرسـول ﷺ، وكـان قـد مـات في المدينـة قبـل ولادة الرسـول ﷺ أثنـاء رحلـة لـه إلى الشـام وكانـت آمنـة تحـس بشـيء من العلاقة بين محمد ﷺ وبين أخوال أبيه من بني النجار.

وفي يثـرب قضـى ﷺ وهـو صـبي وقتـاً بـين أخـوال أبيـه الكرمـاء مـن بـني النجـار، كـان فيهـا يخـالط الصـغار ممـن قاربـه

---

(١) انظـر: تخـريج مـا ورد حولهـا مـن روايـات عنـد ابـن كثـير في السـيرة النبويـة، ج١/٢٢٨.

في السن يمرح ويلعب معهم، [١] وكان ﷺ يذكر ذلك بعد هجرته إلى المدينة فقد ورد أن النبي ﷺ نظر إلى دار بني النجار بعد الهجرة قائلاً: ((هنا نزلت بي أمي، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار)). [٢]

وكون الرسول ﷺ تعلم العوم عندهم فقد تطلب الأمر أياماً عديدة وفترة كافية لذلك، بقيها في المدينة مع أمه.

وفي طريق العودة من المدينة توفيت والدة المصطفى ﷺ: (بالأبْواء) في الطريق بين مكة والمدينة _كما ذكرنا سابقا_.

توفيت الأم الحانية (أمنة بنت وهب) أم النبي ﷺ ودفنت هناك وعرف الرسول ﷺ قبرها، [٣] وقد مر بقبرها بعد الهجرة فبكى، ففي حديث رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ

---

(١) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٦٨؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٢٣٥.

(٢) **شرح المواهب اللدانية**، ج١/ ١٦٧؛ وانظر محمد أبو شهبة، **السيرة النبوية**، ص ٢٠٦؛ وانظر: ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١١٦.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٦٨؛ ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١١٦؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٣٦.
وانظر ترجمتها في : آباء المصطفى من هذا الكتاب.

قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي، فزوروا القبور تذكركم الموت)).[١]

كان ﷺ رقيقاً باكياً على أمه، وقد وردت روايات فيها: انتهى النبي ﷺ إلى رسم قبر فجلس وجلس الناس حوله فجعل يحرك رأسه كالمخاطب، ثم بكى فاستقبله عمر رضي الله عنه فقال ما يبكيك يا رسول الله فقال: ((هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي، واستأذنته الاستغفار لها فأبى علي، وأدركتني رقتها فبكيت، قال: فما رئيت ساعة أكثر باكياً من تلك الساعة)).[٢]

شبابه ﷺ:

نشأ رسول الله ﷺ في رعاية جده عبد المطلب فمات وله من العمر ثمان سنوات، فرعاه وكفله عمه أبو طالب، وعنده عاش ﷺ بقية صباه ثم شبابه، كان أبو طالب متعلقاً

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، **شرح النووي**، ج٧/ ٤٦.

(٢) من رواية مسلم في صحيحه، ج٧/٤٦؛ ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١١٦؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ص٢٠٣، ٢٠٤.

بـه محبـاً لـه. وقـد دلـت الروايـات المختلفـة علـى اصـطحاب أبـي طالــب لــه في أحــدى رحلاتــه إلى الشــام.[١] وقــد أورد بعــض الــرواة قصــة بحــيرا الراهــب في رحلــة لأبــي طالــب إلى الشــام، وهــي روايــة أســقطها كــثير مــن العلمــاء مــع أنهــا وردت بأســانيد مقبولــة عنــد الترمــذي وغــيره وقــد شــكك فيهــا الــذهبي[٢] وابــن القـــيم في زاد المعـــاد[٣]وغيرهـــم مـــن علمـــاء الســـيرة المعاصــرين،[٤] وقــد اســتغلها كــثير مــن المستشــرقين في محاولــة نســبة دعــوة الرســول إلى الإســلام لمــا تلقــاه مــن الراهــب، ومحاولــة نســبه القــرآن لمــا تعلمــه مــن بحــيرة، متجــاهلين أبســط القواعــد العلميــة في العقــل والقيــاس، وصــغر ســن الــنبي لــو صــحت الرحلــة والروايــة، و فــأين هــم مــن تــواتر نــزول القــرآن حســب الأحــداث الــتي ذكرتهــا الآيــات طيلــة حياتــه ﷺ إلى آخــر أيــام الرســول ﷺ، لكــن العمــى عــن الحــق والكــره للــنبي

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٨٠؛ ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٢١؛ الندوي، **السيرة النبوية**، ص ١٠٥؛ انظر: **المغازي**، ابن أبي شيبة، ص٩١. وانظر تعليق المحقق.

(٢) **السيرة النبوية**، ص ٥٥.

(٣) ابن القيم، **زاد المعاد**، ج١/٧٦.

(٤) د. أكرم العُمري، **السيرة الصحيحة**، ج١/ ١١١؛ والندوي، **السيرة النبوية**، ص١٠٥.

ﷺ جعـل هـؤلاء يتمسـكون بمثـل هـذه الروايـة متجـاهلين أبسـط القواعد العلمية تبعاً لهواهم.[١]

كـان ﷺ يستشـعر المسـؤولية الملقـاة علـى عمـه أبـي طالـب ويحـاول بجديـة تقـديم مـا يمكنـه لمسـاعدته في إعالـة أولاده ولـذلك اشـتغل ﷺ في رعـي الغـنم في سـن مبكـرة، وكـان يسـاعد عمـه بمـا يحصـل عليـه مـن مـال جـراء الرعـي قـال ﷺ: ((مـا بعـث الله نبيـاً إلا رعـي الغـنم ، فقـال أصـحابه وأنـت يـا رسـول الله ﷺ قـال: نعـم كنـت أرعاهـا علـى قـراريط[٢]لأهـل مكة)).[٣]

ولا شـك أن في رعيـه للغـنم حكمـة ربانيـة شـاركه فيهـا الأنبيـاء قبلـه، فهـم رعـاة للبشـر، ومـروا بمراحـل تأديبيـة ربـاهم

---

(١) انظر: فنسنك وآخرين، **دائرة المعارف الإسلامية**، ج٣/٣٩٨؛ ***R. Goltheril, "Achri stristian Bahira legencl. " Zcits Chrift Fur***) ***Assyriologie, ١٣ (١٨٩٨) pp. ١٨٩-٢٤٢: ١٤ (١٨٩٨) pp. ٢٠٣-١٦٦ ١٢٥-١٦٦ (١٩٠٣) pp. ٥٦-١٠٢, ١٦ (١٩٠٣) pp. ١٥١٩٠٠. ٢٦٨,***) ؛ نقلاً عن محمد فارس الجميل، **رحله النبي ﷺ إلى الشام**، قراءة نقدية، ص ٧، بحث غير منشور في حينه.

(٢) جمع قيراط وهو جزء من الدينار (ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٠/ ٥)؛ وانظر: ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٢٥.

(٣) رواه البخاري في **صحيحه**، ج٣/ ٤٨.

الله فيهـا ، ومنهـا رعـي الغـنم ، وهـي تعلـم الشـفقة والعطـف علـى الضـعيف ، والتفقـد والمتابعـة والاهتمـام والصـبر ، وفي ذكـره ﷺ لهـذا الأمـر تواضـع لله ومقارنـة لحالـه مـع الأنبيـاء قبله ، الذين مارسوا هذه المهنة قبله.

كمـا أن هـذا العمـل مـن أبـواب الكسـب الـذي يـورث عـزة الـنفس ، والغنـى عـن الآخـرين ، ومسـاعدة مـن هـو بحاجـة الـنبي ﷺ مـع عمـه فيمـا يحصـل عليـه مـن مـال الرعـي ، وقـد كـان الرسـول ﷺ جـاداً يعلـم الصـحابة العمـل والكسـب والإنتاج والاستغناء عن الآخرين ، وحياة الكدح.[1]

كـان ﷺ منـذ وعـى كارهـاً للأصـنام ، مبغضـاً لهـا ، لم يشـهد شـيء مـن مشـاهدها الـتي كانـت قـريش حريصـة عليهـا ، ويشـهدها أعمامـه لكنـه لا يشـهد معهـم ، كمـا لم يُعـرف انـه مـس صـنماً بيـده قـط أو أقسـم بهـا ، وقـد حلـف زيـد بـن ثابـت أنـه مـا مـس بيـده صـنماً قـط ، [2] وقـد فكـر مـرة في أن يشـهد سمـراً لشـباب قـريش فمنعـه الله مـن ذلـك وعصـمه ، حيـث

---

(١) انظر ما كتبه الشيخ محمد الغزالي في **فقه السيرة** حول (حياة الكدح)، ص ٥٩.

(٢) الذهبي، **السيرة النبوية**، ص٤٢.

أخذته سِنة من نوم منعته من الحضور.(١)

وعصمه الله من المعاصي قبيل بعثته ﷺ في صباه وشبابه ورجولته ومن كل قبيح.(٢)

ورد أنه كان ينقل حجارة مع صبيان قريش فرفع إزاره ليضع فيه الحجر فسمع من يأمره بشد إزاره.(٣) وهذا يعني ستر عورته ﷺ، مع أن هذا ما كان مستنكراً عند العرب. حيث ثبت بروايات مختلفة أن العُراة كانوا يطوفون بالبيت، ولذلك نهى قبل حجة الوداع عن ذلك.(٤)

كان ﷺ يحب الشعر ويتذوقه في شبابه، ولم يعرف أنه قال شعراً على الإطلاق وهذا يؤكد قول الله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [يس]، وهذا يشمل مرحلة ما قبل البعثة، وما بعدها.

كما أنه ﷺ كان يكره الخمر، ورغم انتشارها في مكة فلم يعرف أنه شربها قط.

---

(١) ابن إسحاق، **السير والمغازي**، ص٧٩. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٢/٣١٢.

(٢) انظر: جمال ما كتبه الندوي في السيرة النبوية بعنوان " التربية الإلهية "، ص ١٠٩.

(٣) ابن إسحاق، **السير والمغازي**، ص ٧٨.

(٤) انظر: **صحيح البخاري** (باب لا يطوف بالبيت عُريان) ج٢/ ١٧٥.

كما انه لم يفتن بالنساء كما يفتن الشباب عادة، مع ما كان فيه من نشاط وقوة حفظ الله غريزته من الهوى.

الصدق والأمانة كانت من صفات الرسول ﷺ في صباه وشبابه، [(١)] وكان عطوفاً رحيماً رغم صغر سنة ﷺ وحقاً كما قال ﷺ : ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)). [(٢)]

وكما قال الله عنه ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام].

حقاً لقد اصطفاه الله وحفظه ورعاه قبل البعثة وبعدها، [(٣)] إنها حماية إلهية لم تكن إلا لمحمد ﷺ، وتربية ربانية وتأديب من الباري جل وعلا ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ الأنعام: ١٢٤

رجولته ﷺ:

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٨٨.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٨٣.

لما بلغ الرسول ﷺ مبلغ الرجال كان محل ثقة الناس واحترامهم، فلم يعرف من هو أصدق منه بمكة ولا أكثر أمانة منه حتى أنه عرف بالصادق الأمين.(١)

عرف ﷺ بصلته للرحم، وعطفه على الفقراء وأهل الحاجة ويمكن أن نلخص أهم صفاته فيما قالته عنه خديجة (رضي الله عنها) وقد خبرته عن قرب: ((ما كان الله ليخزيك أبداً إنك لتصل الرحم وتقرئ الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر)).(٢)

كان يحمل صفات الإنسانية والرحمة والفضائل، أطهر الناس وأبر الناس، وأعدل الناس وأسماهم خلقاً ﷺ.

منذ شبابه ورجولته قبل مبعثه وبعده كان همه العدل والإنصاف، وألاَّ يظلم أحداً من الناس، ولذلك شارك وعمره عشرون سنة(٣) في معاهدة مع بعض رجال قريش عرفت (بحلف الفضول)،(٤) حيث تعاقدوا في دار عبد الله بن جدعان، وكان من أشراف مكة، أن يكونوا يداً واحدة

---

(١) **المصدر السابق.**

(٢) من رواية البخاري في **صحيحه**، باب كيف كان بدء الوحي، (١٢٨/٧)..

(٣) ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ص١٢٨.

(٤) انظر: ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ص١٢٨.

مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى حقه، وذلك بعد تعرض أحد تجار اليمن من زبيد لظلم من العاص بن وائل السهمي، حيث اشترى منه بضاعة ولم يعطه حقه وكان نتيجة هذا الحلف رد حق الزبيدي إليه ومنع الظلم بمكة،[١] ولولا مكانة رسول الله ومنزلته لما دُعي لمثل هذا الاجتماع لعلية القوم، وقد أثنى الرسول ﷺ على هذا الحلف والمعاهدة بقوله ﷺ: (شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حُمر النَعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)[٢] محمد ﷺ أولى الناس بخصومه الظلمة ومنعهم من الظلم،[٣] سواء كان المظلوم مسلماً أم كافراً.

كان ﷺ له أصدقاء مميزون عرفوا بصدقهم وعلو أخلاقهم في هذه المرحلة، على رأسهم أبو بكر الصديق ﷺ،[٤] الذي كان قريباً من سن رسول الله ﷺ مألوفاً في

---

(١) ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٥٧؛ الندوي، **السيرة النبوية**، ص١١٢.

(٢) ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٢٨؛ **مسند الإمام أحمد**، ج١/١٩٠؛ وانظر: **السيرة النبوية** لابن كثير، ج١/٢٥٨؛ و أكرم العمري، **صحيح السيرة**، ص٤١؛ وانظر: محمد بن رزق طرهوني، **صحيح السيرة**، ص١٦٥، ٣٢٩.

(٣) انظر: محمد الغزالي، **فقه السيرة** ، ص ٦٤.

(٤) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٢٥٠.

قـريش إضـافة إلى أصـدقاء آخـرين أمنـاء ورد ثنـاء الرسـول ﷺ عليهم.

كـان ﷺ يحـج قبـل بعثتـه علـى سـنة إبـراهيم، حيـث ألهمـه الله سـبحانه وتعـالى أن يفـيض مـن عرفـات في وقـت كـان فيـه أهـل الحـرم مـن قـريش وغيرهـا ممـن يعرفـون بـالحُمس مـن سـاكني الحـرم، يفيضـون مـن مزدلفـة لكـن رسـول الله ﷺ كـان يخالفهم ويفيض من عرفات.[1]

كمـا ورد أنـه شـهد حـرب الفجـار بـين قـريش وعمـره أقـل مـن العشـرين سـنة،[2] وأنـه كـان ينـاول النبـل لأعمامـه، ولم يـذكر أنـه قاتـل بيـده مباشـرة، مـع أن سـنه حينـذاك كانـت تؤهلـه لـذلك، ويـرى بعـض البـاحثين أنهـا حـرب في الـدفاع عن المحارم وهذا من القيم التي أهتم بها الأنبياء.[3]

كانـت أمانـة محمـد ﷺ لافتـة للنظـر وفي قـريش مـن يرغـب في تشـغيل أموالـه ومـن يعمـل لـه في التجـارة بجعـل معـين، وكانـت خديجـة بنـت خويلـد (رضـي الله عنهـا) مـن ثريـات

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٩٩.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٨٤؛ ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٢٦.

(٣) انظر: مهدي رزق الله، **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، ج١/ ٤٣.

قريش، لا تأمن كل أحد أن يتاجر بمالها، حيث يرغب كثير من الرجال في ذلك، ومع هذا تسأل وتتحسس وتبحث عن أكثر الرجال أمانة ليعمل في مالها، مع وجود خبرة في هذا المجال، فسمعت بمحمد ﷺ وصدقه وأمانته، فحرصت على أن تستأجره ليعمل في مالها بشيء تجعله له من الربح فوافق ﷺ على العمل في مالها بعد أن أستشار عمه أبا طالب، فكانت تبعث معه غلاماً لها يسمى ميسره يراقبه ويستوثق من عمله، إذ لم تجربه من قبل، فسافر الرسول ﷺ في تجارتها إلى عدد من الأسواق المجاورة لمكة في بلاد العرب، منها سوق حباشة[1] وسوق عكاظ،[2] حيث اشترى الرسول ﷺ زيد بن حارثة لأم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) - ولعل ذلك بعد زواجه ﷺ من خديجة- .

سمعت خديجة (رضي الله عنها) من مولاها ميسرة ما

---

(١) حُباشة: مكان في تهامة يبعد عن مكة ست ليال إلى الجنوب على طريق اليمن، انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢/٢١٠؛ وسعيد الأفغاني، **أسواق العرب**، ص٢٥٩؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢/ ٢١٠.(وقد وقفت على آثار بقرب أحد رفيدة في عسير سنة ١٤٢٩هـ ذكر لنا مرافقونا من أهل المنطقة أنها موقع سوق حُباشة)

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية، ج١/٢٣٨؛ وانظر : السهيلي، الروض الأنف، ج١/٢٨٦.

يؤكد لها صدق الرسول ﷺ وأمانته وجربته وخبرته، فقد كان متسامحاً حسن المعاملة، محافظاً على حقوق الآخرين، وكانت عهدت الرجال وخبرتهم وميزتهم. والتعامل بالمال يكشف الرجال، فأعجبت خديجة (رضي الله عنها) بأخلاق النبي ﷺ وأمانته وتقديمه الأدب والأخلاق على المال، وتؤكد الأخبار نمو مال خديجة ببركة النبي ﷺ وعمله لها بأمانة.

لا شك أن أسفار النبي ﷺ في تجارة خديجة ودخوله أسواق العرب واحتكاكه بالناس وزعماء العرب وأشراف القبائل قد أفاده كثيراً، ونمّى خبرته ومعرفته بالناس والقبائل والبلدان وأخبارها، ولذلك كان يذكر بعض ما سمعه في أسواق العرب بين الحين والآخر مثل ذكره وسؤاله عن قس بن ساعدة وما سمعه منه.(١)

زواجه من خديجة رضي الله عنها :(٢)

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن

---

(١) القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٩٥.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، (١٨٧/١)؛ ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، (١٣١/١).

كـلاب، [١] سـيدة شـريفة عاقلـة حكيمـة، والـدها خويلـد بـن أسـد مـن أشـراف مكـة، قتـل في حـرب الفجـار، تزوجـت قبـل رسـول الله ﷺ ثـم اسـتقلت صـاحبة مـال وفـير، عُـدت مـن أثريـاء مكـةُ كانـت تسـتأجر التجـار للمضـاربة في مالهـا ، وكـان ممـن اسـتأجرتهم رسـول الله ﷺ، فأختبرتـه فكـان أمينـاً وبعثـت معـه في السـفر مـن يرقـب حالـه فجاءتهـا الأخبـار بأمانتـه وصدقه وحكمته وكفى بالسفر والمال اختباراً للرجال.

كمـا أنهـا ناقشـت الـنبي ﷺ وسمعـت منـه وتعاملـت معـه، فرأتـه رفيـع الأخـلاق حميـد السـجايا فأحبتـه وأعجبـت بـه وبسجاياه، وكانت تسمى عند قومها (الطاهرة العفيفة). [٢]

كانـت في الأربعـين مـن عمرهـا، وقـد حـرص أشـراف الرجـال مـن قـريش علـى خطبتهـا والـزواج بهـا لكنهـا تـرد الخطـاب بـأدب، [٣] وكانـت تعلـم دوافـع بعضـهم المادية

---

(١) وضع البخاري في **صحيحه**، باب تزوج النبي ﷺ خديجة وفضلها، (٤/٢٣٠)، كتاب المناقب، باب (٢٠).
وانظر: معمر بن المثنى، أبي عبيدة، أزواج النبي ﷺ، تحقيق يوسف علي بديوي، ، دار مكتبة التربية، بيروت١٤١٠هـ، ص٥٥

(٢) ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٣٠؛ ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ص١٠٩؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٦٣.

(٣) انظر: محمد الطرهوني، **صحيح السيرة**، ص١٦٧.

وغيرها فهي صاحبة مال كل يطمع فيها.

ومن خلال عمل الرسول ﷺ لها عرفت زهده في المال مع عفته ونزاهته وطهارته وسمو أخلاقه فرغبت في الزواج منه.[(١)]

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ لنبيه الخير، واصطفى له المرأة الصالحة التي رغبت في الزواج منه بمبادرة منها، وبحكمة إلهية.

ومن حيائها لم تستطع أن تفاتح النبي ﷺ بهذا الأمر، لكنها بكل أدب بعثت إليه من صويحباتها من تفاتحه في ذلك وتلمح له في الأمر، ففاتحته وبينت له رغبة خديجة في الزواج منه، مع شرفها ومكانتها في النسب، وأن رغبتها منه لحسن خلقه وصدق حديثه، وقيل إن نفيسة بنت منية جاءت إلى النبي ﷺ وهي الخاطبة فقالت: ما يمنعك أن تتزوج، فقال ما بيدي ما أتزوج به. قالت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة إلا تجيب فسأل ﷺ ومن هي، قالت: خديجة، قال ﷺ: من لي

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٨٩؛ ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٣١؛ انظر: الطرهوني، **صحيح السيرة**، ج١/١٦٧.

بـذلك فقالـت نفيسـة علـي، [١] فرغـب الرسـول ﷺ في الـزواج العفيـف الصـحيح ممـن رغبـت فيـه وممـن هيأهـا الله لـه واختارها[٢].

فسـارع إلى أعمامـه فـذهب معـه عمـه حمـزة وأبـو طالـب وبعـض أشـراف قـريش إلى عـم خديجـة عمـرو بـن أسـد وخطبـوا للـنبي ﷺ، وخطـب عمـه أبـو طالـب في المناسـبة فـأثنى علـى الرسـول ﷺ وأبـدى الرغبـة، فأجابـه عمهـا عمـرو بـن أسـد هـو الفحـل لا يقـدح أنفـه، وتمـت الموافقـة وقُـدم المهـر بعـد ذلـك مـن أطيـب عـريس لأطيـب عـروس في تـاريخ الإنسـانية عشـرين ناقـة مـن الإبـل، [٣] كانـت النسـاء الجمـيلات كـثيرات وشـابات قـريش متعـددات أمـام الرسـول ﷺ لكـن الله اختـار لـه أفضـل النسـاء، وتم زواج محمـد بـن عبـد الله ﷺ بخديجـة بنـت خويلـد رضـي الله عنهـا لتصـبح أم المـؤمنين حبيبـة رسـول الله أم أولاده وبناتـه رضـوان الله علـيهم زوجـة في الـدنيا وفي الجنة.

---

(١) انظر: ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٣٢.

(٢) لمزيـد مـن التفصـيلات انظـر إلى موضـوع: "خطبـة مباركـة" عنـد، الهـاشمي عبدالمنعم،في كتابه" أزواج النبي ﷺص٣٥.

(٣) انظر: ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٦٣.

ابتـدأت حيـاة الـنبي ﷺ الزوجيـة مـع امـرأة عفيفـة عاقلـة ناضـجة حكيمـة تقـدر الحبيـب محمـد ﷺ وتقـوم بواجبـه، تتبـادل معـه المـودة والوفـاء، كـان يـذكر فضـلها دائمـاً بعـد وفاتهـا بـزمن ممـا يـثير غـيرة أم المـؤمنين عائشـة (رضـي الله عنهـا)، فعـن عائشـة (رضـي الله عنهـا) قالـت : "مـا غـرت على أحد مـن نسـاء الـنبي ﷺ مـا غـرت على خديجـة ومـا رايتهـا ولكـن كـان الـنبي ﷺ يـذكرها وربمـا ذبـح الشـاة ثـم يقطعهـا أعضـاء ثـم يبعثهـا في صـدائق خديجـة، فربمـا قلـت لـه كأنـه لم يكـن في الـدنيا إلا خديجـة فيقـول إنهـا كانـت وكانـت وكـان لـي منها ولد.[1] .

كـان عمـر المصـطفى ﷺ خمسـة وعشـرين عامـاً،[2] قضـى معهـا ﷺ مـا يقـارب الأربعـة وعشـرين سـنة، وقـد روي عـن علـي رضي الله عنه أن رسـول الله قـال: (خـير نسـائها مـريم وخـير نسـائها خديجـة)،[3] وأنجبـت لـه جميـع أولاده عـدا إبـراهيم، حيـث رزق منهـا بالقاسـم وكـان يكنـى بـه ثـم زينـب ثـم رقيـة فـأم كلثـوم ففاطمـة فعبـد الله، ثـم لم يبـق إلى بعثتـه سـوى رقيـة

---

(١) رواه البخاري في **صحيحه**، باب تزويج الرسول ﷺ بخديجة، ج٤/٢٣١.

(٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، ص١٠.

(٣) رواه البخاري، باب تزوج النبي ﷺ خديجة وفضلها،]٤/٢٣.

وأم كلثوم وزينب وفاطمة،[١] وهي التي عاشت بعده بضعه أشهر، وقد أسلمت جميع البنات (رضوان الله عليهن) وهاجرن مع رسول الله ﷺ إلى المدينة واسلم أزواجهن المتأخرون فكانت رقية بعد فراقها لابن أبي لهب مع عثمان بن عفان ﷺ،[٢] وكانت زينب مع أبي العاص بن الربيع الذي أسلم متأخراً،[٣] وكانت أم كلثوم مع عثمان بن عفان ﷺ زوجها إياه النبي ﷺ بعد وفاة رقية،[٤]وكانت قبله مع أحد أبناء أبي لهب فارقته لكفره وعناده.[٥]

وكثرة حديث الأمة عن فاطمة (رضي الله عنها) وهي أشهر بنات النبي ﷺ من خديجة،[٦] ليس تفضيلاً عن باقي

---

(١) ابن زبالة، محمد بن الحسن، منتخب من أزواج النبي ﷺ ـ رواية الزبير بن بكار ـ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط١، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة١٤٠١هـ.ص٢٣

وانظر : ترجمات بنات النبي ﷺ ، في موضوع المعايشون للنبي ﷺ من هذا الكتاب.

(٢) انظر: ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه في موضوع المعايشون للرسول ﷺ .

(٣) انظر: ترجمتها في موضوع المعايشون للنبي ﷺ من هذا الكتاب..

(٤) انظر: ترجمتها في موضوع المعايشون للنبي ﷺ من هذا الكتاب..

(٥) ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٢٦٤.

(٦) رواه البخاري في **صحيحه**، باب تزويج الرسول ﷺ، ص ٢٣٠.

بنات النبي ﷺ لكن لبقائها من بعده، وكونها أم الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ وسيدي شباب أهل الجنة،[(١)] وإلا فكل بنات النبي ﷺ خيار من خيار من آل بيته الأطهار من أهل الجنة (رضوان الله عليهن).

كان ﷺ يحب خديجة ويقدمها على سائر نسائه، حتى أن عائشة كانت تغار من ذكرها فقالت للنبي ﷺ: هل كانت إلا عجوزاً أبدلك الله خيراً منها فأجابها ﷺ: ((لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء)).[(٢)]

وقد ماتت (رضي الله عنها) ولها من العمر خمس وستون سنة، وحقق هذا الزواج لرسول الله ﷺ الراحة النفسية والحضن العاقل المميز للرسول ﷺ ومكانته، اختارها الله تعالى واختار رسوله ﷺ لها من بين سائر الرجال قبل مبعثه، وقفت بأمر الله ورحمته مع الرسول ﷺ ساعة نزول الوحي، استعملت عقلها وأحبته لما

---

(١) انظر: تفصيل الحديث عنها في موضوع المعايشون للنبي ﷺ من هذا الكتاب.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٦/١١٧؛ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١١٧.

تعرف من خلق وصفات فيه، ورحمة الله بالصالحين وحسن ظنها بالله، وأنه لا يخزي الأخيار، راجعت أهل العلم في زمانها "ورقة بن نوفل" حيث أخذت النبي ﷺ لمن يعلم ويثبت، كل هذا كان ثمرة من ثمرات هذا الزواج المبارك ليس على رسول الله ﷺ فحسب، بل على جميع أمة محمد ﷺ، ولا نبالغ إن قلنا إنه أبرك زواج على مستوى الإنسانية. رضي الله عن أمنا خديجة التي أكرمنا الله بها، وبقية أمهات المؤمنين الطاهرات.

حادثة بناء الكعبة :

مكة بلد التوحيد والكعبة رمز ذلك منذ أيام إبراهيم عليه السلام إلى أن دنسها مشركو العرب بالأصنام والأوثان المختلفة.

وقد تعرضت الكعبة قبل البعثة النبوية بقرابة خمس سنوات لحادثتين أديّا إلى تصدعها، حيث كانت قريش تغطي الكعبة بالجلود والصوف، تشكل منها أستار الكعبة، يوصل بعضها ببعض، وكان من عادتهم في الجاهلية أن يجمروا الكعبة بشيء من البخور، فعلق بعض الجمر بأستارها فاحترقت وتصدعت، ثم تعرضت إلى سيل هدم جوانب منها، فقررت قريش

إعادة بنائها من جديد.[١]

كـان أسـلوب البنـاء في مكـة بسـيطاً عمـاده الحجـارة والطـين وسـقف مـن الخشـب البسـيط، وقـد مـرت سـفينة قادمـة مـن بـلاد الـروم متجهـة إلى الحبشـة، ولما وصـلت قبالـة الشـعيبة[٢] الواقعـة غـرب مكـة وهـي ميناؤهـا في العصـر الجـاهلي تحطمـت السـفينة، وكانـت محملـة بالأخشـاب، ومعهـا رجـل اسمـه "بـاقوم" مشـهور بالنجـارة فجـاءت قـريش وأخـذت هـذه الأخشـاب، واسـتدعت ذلـك النجـار القبطـي ليقـوم بعمـل سـقف الكعبـة، وبـدأت قـريش تهـد مـا تبقـى مـن الكعبـة لتعيـد بناءهـا[٣] حتـى وصـلوا إلى أسـس معينـة معروفـة عنـدهم لا يتجاوزونهـا ولا يمسونها.[٤]

وقبـل إعـادة بنـاء الكعبـة اتفقـت قـريش علـى أن لا

---

(١) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج١/١٦٠.

(٢) ميناء على البحر الأحمر مقابل مكة يعرف بهذا الاسم إلى اليوم، الأزرقي، **أخبار مكة**، ج١/١٦٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، (٣/٣٥١).

(٣) الأزرقي ، **أخبار مكة**، ج١/١٥٧؛ الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد**، ج٢/٢٢٨.

(٤) ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٤٥.

يستعينوا بمال حرام في البناء،[١] وكانوا قبل البعثة يميزون الأشياء المحرمة كالزنا والربا وأكل أموال الناس بالباطل وهذا شيء فطري لا يزال الناس إلى اليوم يعرفون حرمته حتى عند غير المسلمين.

أنفقت قريش على البناء من المال الحلال، واستعانوا بالقبطي (باقوم)،[٢] وتقاسمت بطون قريش أركان الكعبة وزواياها، حيث اختص كل قوم بجهة من البناء لما يرون في ذلك من الشرف والفخر وحتى لا تذهب بذلك قبيلة دون أخرى أو بطن من قريش دون آخر.[٣]

وحينما أتموا البناء اختلفوا في وضع الحجر الأسود مكانه، فكل فريق من قريش يريد أن يذهب بفخر وضع الحجر الأسود في مكانه حتى كادوا أن يقتتلوا.[٤]

ثم اتفقوا أن يحكِّموا أول داخل للحرم، فكان أول داخل للحرم هو المصطفى ﷺ فلما رأوه صاحوا

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٩٤.
(٢) ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٤٥؛ السهيلي، **الروض الأنف**، ج١/١٢٤.
(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢/١٩٥.
(٤) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٩٧.

جميعا: "هـذا الأمـين هـذا محمـد رضـينا بـالأمين"، وهـذه شهادة مباشرة من قومه له حتى من عاداه بعد ذلك.[١]

فمـا كـان منـه ﷺ إلا أن وضـع رداءه، وحمـل الحجـر الأسـود ووضـعه علـى الـرداء، وأمـر كـل قبيلـة أن تأخـذ بطـرف مـن أطرافـه وحملـوه، حتـى إذا وازى موضـعه في الكعبـة وضـعه الرسـول ﷺ بيـده الشـريفة، فرضـي القـوم وطابـت نفوسـهم[٢] وكانـت كرامـة لرسـول الله ﷺ مـن بـين سـائر قـريش قبـل مبعثـه ﷺ في وقـت كـان فيـه علـى فطرة إبراهيم عليه السلام.

وقـد زاد شـرفاً ومكانـة بـين أهـل مكـة ﷺ بهـذا العمـل والحكمـة والعقـل والهـدي الإلهـي وهـو الموحـد الوحيـد مـن بينهم.

المعصـوم مـن الشـرك الـذي لم تمـس يـده الأصـنام قـط، مـع كرهـه الشـديد لهـا، ولمـا تفعلـه قـريش مـن شـرك، ومعـاصٍ فهـو لا يشـهد مشـاهدهم ويكـره مـواسمهم الشـركية المتعـددة، إلا أن هـذا المشـهد المـرتبط بالكعبـة

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٩٧.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/١٩٧، **مسند الإمام أحمد**، ج٣/٤٢٥.

والحجر الأسود لم يفته، لما فيه من خير وكرامة لرسول الله وللحجر الأسود وبيت الله الحرام.

وقد جزم أصحاب السير على أن عمر الرسول ﷺ حين إعادة بناء الكعبة كان خمسة وثلاثين عاما.(١)

لقد كان بناء قريش للكعبة في هذه المرحلة مشهوراً، وقد قصرت بهم النفقة والجد عن استكمال بنائها على قواعد إبراهيم وظل هذا الأمر يشغل بال الكثيرين حتى أن عائشة رضي الله عنها بعد فتح مكة قالت لرسول الله ﷺ ((الم تر أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟ قلت يا رسول الله ألا تردها إلى قواعد إبراهيم فقال لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت)).(٢)

إرهاصات ما قبل البعثة:

الله سبحانه وتعالى اصطفى نبيه وأدبه ورباه وعلمه قبل البعثة بل وقبل الولادة وبعدها،(٣) ولم يعلم أحد من البشر

---

(١) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٣٢٤/٢؛ الذهبي، **السيرة النبوية**، ص ٧٧.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري، كتاب التفسير، باب واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، (١٤٩/٥)؛ وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج٢٠٧/١.

(٣) انظر: أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية**، ص١٠٩؛ ومحمد علي الصلابي، **السيرة النبوية**، ج٧٦/١.

بـذلك لحكمـة يعلمهـا الله، وإن كانـت البشـرية قاطبـة وأهـل الـديانات السـماوية خصوصـاً بانتظـاره ﷺ، وقبيـل البعثـة حـدثت لرسـول الله ﷺ بعـض الأمـور الـتي تـدل علـى قـرب مبعثـه، كمـا سـلك ﷺ بعـض السـلوكيات الـتي فيهـا مزيـد تقرب إلى الله وتفكر في ملكوته.

ففـي حـديث رواه مسـلم أنـه ﷺ قـال: (إنـي لأعـرف حجـراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث).[(١)]

ثـم كـان مـن هـذه الإرهاصـات الرؤيـا الصـالحة كمـا ورد في حـديث عائشـة (رضـي الله عنهـا): ((إن أول مـا بـدأ بـه رسـول الله ﷺ مـن الـوحي الرؤيـا الصـادقة في النـوم، فكـان لا يـرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)).[(٢)]

ثـم كـان رسـول الله ﷺ يخـرج في شـعاب مكـة وأوديتهـا متفكـراً في خلـق الله يطـوي البطـون والأوديـة متـأملاً متفكـراً ذاكراً الله تعالى موحداً على ملة إبراهيم.[(٣)]

---

(١) رواه مسلم، في صحيحه، كتاب الفضائل، باب أني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ، ج٦/٥٨.

(٢) من رواية البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم/ ٣؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٣٤.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٢٣٤.

مع ما مضى من عمر الرسول ﷺ قبل الوحي فإن الوحي لم يكن عنده ولا بمشيئته، كما قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [يونس].

ثم إنه حبب إليه الخلاء ﷺ، حيث كان ﷺ موحداً على ملة إبراهيم، كارهاً لما عليه قريش، مؤمناً بالله وحده، متفكراً في ملكه، فحبب إليه الخلوة، واختار لذلك غار حراء[1] في جبل إلى الشرق من مكة يعرف اليوم بجبل النور على يسار الخارج إلى الطائف من طريق السيل، - اليوم- فكان ﷺ يصوم ويخلو في الغار الأيام والليالي ذوات العدد تقرباً إلى الله تعالى، حيث هدي إلى ذلك، ولم يأته به أمر، لكنه سلوك فطري يقرب إلى الله تعالى سلكه المصطفى ﷺ، حتى قيل إنه يمكث شهراً من كل سنة وقد حبب إليه ذلك كما ورد في حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: ((ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث ـــ يتعبد ـــ فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجأه

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٣٤.

الحق وهو في غار حراء)).[١]

وكان ﷺ في هذه المرحلة لم يبعث بعد كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾[الشورى].

كان شهر رمضان أحب الشهور إلى النبي ﷺ خلوة وصياماً قبل مبعثه، وكانت خديجة تصبر على بُعد النبي عنها في خلوته، وتعلم أنه رجل خير لن يصيبه من الله إلا كل خير، وتواسيه وتشجعه، وكان ﷺ إذا قضى خلوته ورجع إلى مكة بدأ بالحرم[٢] وطاف حول الكعبة متجنباً الأصنام.

كان الغار بوضعه الجغرافي يعطي فرصة قوية للاطلاع على الفضاء ورؤية الأرض من علو ومعرفة عظيم خلق الله تعالى.[٣]

وكان ﷺ منذ أن وعى كريماً معطاءً وقد زاد عطاؤه

---

(١) البخاري، **الفتح**، ج٢٦/ ١٩٧. و**مسلم**، ج١/١٣٩، ١٤٠.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٢٣٥.

(٣) محمد أبو شهبه، **السيرة النبوية**، ص ٢٥٦.

وكرمه وكثرت مساعدته للمحتاجين عندما قارب الأربعين من عمره، حتى صارت صفة من صفاته التي تميز بها ﷺ، وذكرته بها خديجة عند نزول الوحي، ولعل صدقاته كانت تكثر في شهر رمضان قبل أن يوحي الله كما كانت كذلك بعد مبعثه: (حيث كان أجود ما يكون في رمضان ﷺ).[١]

البعثة والاصطفاء

الوحي:

الوحي بمفهومه الشرعي: (إعلام الله أنبيائه ورسله بما يبلغه الوحي لهم من شرع أو كتاب)[٢] بواسطة أو مباشرة ويعني ما أنزله الله على أنبيائه، وله معنى لغوي يعني الإعلام الخفي والسريع.[٣]

نزول الوحي:

لم يُعرف عن النبي ﷺ قبل نزول الوحي أي ذكر له، أو حديث عنه مع أنه كان ﷺ يُصنع بعين الله إعداداً لهذا اليوم

---

(١) انظر: حديث البخاري في **صحيحه**، باب كيف كان بدء الوحي، (٥)، جـ١/٤.

(٢) صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ص٢٣.

(٣) **أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ص ٧٣، محمد أبو شهبه، **السيرة النبوية**، ج١/ ٢٦٧.

كما فعل الله بموسى عليه السلام الذي قال الله فيه ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[طه].

ومع هذا لم يتقول بشيء من عنده أو يتحدث عنه ﷺ أو يتعلم شيء من الوحي المنزل على الأنبياء السابقين، أو أشكاله قبل بعثته ﷺ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى]، ومع ذلك ففي شهر رمضان بعد أن بلغ رسول الله ﷺ الأربعين من عمره نزل عليه الوحي لأول مرة بغار حراء، في جبل النور بمكة المكرمة ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[البقرة].

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر]، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الدخان]، في تلك الليلة المباركة جاء الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو كما أوضحت

أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في حديثها المشهور الذي رواه البخاري عن عروة بن الزبير عن خالته عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) أنها قالت: ((أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق].[1]

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) فقال: زملوني، زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فذكر لخديجة ما رآه وما سمع، وأخبرها وقال: لقد خشيت على نفسي

(١) **صحيح البخاري،** كتاب بدء الوحي، الحديث (٣)، ج١/٣؛ وانظر: **شرح ابن حجر له في فتح الباري؛** وانظر: **ابن كثير في تفسيره،** ج٢/٢٠١٠.

فقالـت، خديجـة: كـلا والله مـا يخزيـك الله أبـدا إنـك لتصـل الـرحم وتحمـل الكـل وتكسـب المعـدوم وتقـرى الضـيف وتعـين علـى نوائـب الحـق، فانطلقـت بـه خديجـة حتـى أتـت بـه ورقـة بـن نوفـل بـن أسـد بـن عبـد العـزى ابـن عـم خديجـة وكـان امـرأً قـد تنصـر في الجاهليـة، وكـان يكتـب الكتـاب العبرانـي فيكتـب مـن الإنجيـل بالعبرانيـة مـا شـاء الله أن يكتـب، وكـان شـيخاً كـبيراً قـد عمـي فقالـت لـه خديجـة يـا ابـن عـم اسمـع مـن ابـن أخيـك فقـال لـه ورقـة: يـا ابـن أخـي مـاذا تـرى فـأخبره رسـول الله ﷺ خـبر مـا رأى فقـال لـه ورقـة: هـذا النـاموس الـذي نـزل الله علـى موسـى يـا ليـتني فيهـا جـذعاً؛ إذ يخرجـك قومـك، فقـال رسـول الله ﷺ: أو مخرجـي هـم؟ قـال: نعـم لم يـأت رجـل قـط بمثـل مـا جئـت بـه إلا عـودي، وإن يـدركني يومـك أنصـرك نصـراً مـؤزراً، ثـم لم ينشـب ورقـة أن تـوفي وفـتر الوحي.(١)

وورد أنـه ﷺ قـال: بينمـا أنـا أمشـي إذ سمعـت صـوتا مـن السـماء فرفعـت بصـري، فـإذا المَلَـك الـذي جـاءني بحـراء

(١) انظر: ابن أبي شيبه، **المغازي**، ص١٠٣.

جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تعالي ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾[سورة المدثر].[(١)]

لقد هيأ الله لنبيه ﷺ امرأة صالحة لمثل هذا الموقف الحساس المتناهي في العظمة، حيث ظهرت حكمتها[(٢)] وفطرتها وثقتها بالله تعالى حيث تذكرت رحمته بعباده الصالحين، وذكرت صلاح النبي ﷺ فقالت: (كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الحق)[(٣)] هكذا كانت أخلاق النبي ﷺ التي عرفتها وأكسبتها ثقة بعد ثقتها بالله سبحانه وتعالى، وقيل إن ورقة أوصى خديجة وقال لها: إن زوجك نبي وسيصيبه من أمته بلاء.[(٤)]

---

(١) ابن كثير، **تفسيره**، ج١/١٩٣٤.

(٢) الصلابي، **السيرة النبوية**، ج١/١٠٨.

وانظر: الحربي علي بن جابر،منهج الدعوة الإسلامية في المرحلة المكية، ط١الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٦هـ، ص١٧٧.

(٣) من حديث **البخاري**، سبق تخريجه.

(٤) ابن أبي شيبه، **المغازي**، ص ١٠٣.

كان هذا الشيخ عالماً بحال الأنبياء، وبما يتعرضون له من أذى قومهم، بل وبهجرتهم وإخراجهم من بلادهم، فأسرع بالحديث عن ملامح مستقبل رسول الله ﷺ وما سيصيبه من أذى قومه، وأبدى استعداده لمناصرته والوقوف معه، وقد استدل كثير من العلماء بذلك على أن ورقه يعد من أوائل المؤمنين برسول الله ﷺ،[(١)] كما كانت خديجة أم المؤمنين أول المسلمين من سائر البشر رجالا ونساءً دون خلاف.[(٢)]

إن أول الآيات نزولاً على رسول الله ﷺ وكل الآيات كذلك رحمة من الله تعالى تفتح العلم الإلهي للبشرية وسائر أنواع العلوم (إنها القراءة اقرأ) وأي قراءة باسم ربك ومن ربك، إنه الخالق لك وللخلق، والأعلم بكم وبما خلقكم منه ولأجله، إنه الأكرم الذي علّم بالقلم وهو أعظم سلاح، أداة الكتابة، ومن يقول هذا؟ إنه الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، يا سبحان الله هذه الآيات وبهذه المعاني والمفاهيم العظمى تتنزل

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١/٢٢٣؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣/٦٣٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج١/٢٦٨ و ٣٩٧.

(٢) انظر: أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية**، ص١٢٠؛ الصلابي، **السيرة النبوية**، ج١/١١٦.

على نبي أميٍّ لا يقرأ ولا يكتب، ولا يعرف الشعر ولم يعلمه بشر، ولم يتقوّل من عنده شيئاً قبل ذلك، إنه الطهارة والقلب النظيف، والوعاء الزكي الطاهر المعد لحمل الرسالة الذي لم يدنس، يستقبل الوحي الإلهي بأمر الله، وليس من تلقاء نفسه، إنه الوحي الذي نزل على من قبله من الأنبياء ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء] وقد تتابع القرآن بعد ذلك واتضح الوحي وأنواعه وأحواله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى] ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [يونس] ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [العنكبوت] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء] ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾

[النمل] ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧﴾ [التكوير]، ويقول تعالي: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢﴾ [الشعراء]، وقوله تعالي: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم].

لقد صحب نزول الوحي على رسوله ﷺ تغيرات كونية، فقد حُرست السماء ومنع الجن والشياطين من استراق السمع كما قال تعالي عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ٩ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾ [الجن]، يقول ابن كثير حول تفسير الآيات: (حين بعث الله نبيه محمد ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين من مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك، لئلا يسرقوا شيئاً من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يُدرى من

الصادق، وهذا من لطف الله بخلقه ورحمته بعباده وحفظه لكتابه العزيز ومن يرد أن يسترق السمع اليوم يجد له شهاباً مرصداً له لا يتخطاه و لا يتعداه بل يمحقه ويهلكه).[١]

لقد كان ردُّ فعل رسول الله ﷺ فطرياً، حينما قيل له اقرأ فقال ما أنا بقارئ، إنه لم يكن قارئاً ﷺ لم يقرأ قبل ذلك، ولم يدر ما يقرأ إلى أن غطه جبريل عليه السلام، وهذا جزء من تربية ربانية، فما كان ليفعل إلا ما أمره الله به مع حبيبه المصطفي ﷺ، وقد امتثل قراءة ما علمه الله سبحانه وتعالى وانزل عليه من الآيات القرآنية المباركة وتعرف على ربه وخالقه، ونزل عليه وحيه وعلمه، وهو الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم.

كما كانت ردُّ فعل رسول الله ﷺ حينما دخل داره في مكة على زوجته الحنون، في ذاك الجو الحار وهو يطلب الغطاء دثروني دثروني، زملوني زملوني، حتى أصبحت من أسمائه ﷺ المدثر والمزمل[٢] ونزلت آيات القرآن تتحدث عن هذا الموقف المؤثر الذي راقبه الرب

(١) **تفسير ابن كثير**، ج ٢/ ١٩٢٥ - ١٩٢٦.

(٢) انظر:موضوع **أسماء الرسول ﷺ**، من هذا الكتاب.

تبـــارك وتعـــالى وهـــو يعـــتني بعبـــده وحبيبـــه محمـــد ﷺ، وسميت باسمها سور تتلى إلى يوم القيامة.

فتور الوحي: [1]

إن الوحي الذي أنزل على رسول الله ﷺ لم يكن باختياره، وكذلك توقفه واستمراره لم يكن باختياره، وليس هذا نقصاً في المصطفي ﷺ، بل هو من كمال نبوته وصدقه أنه ﷺ يسير بأمر الله، والله لا يريد به إلا خيراً ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩ ﴾[الأحقاف]. وقد توقف الوحي عن النبي ﷺ فترة محدده،[2]ومهما أختلف العلماء في تحديدها فإن ذلك لحكمة يعلمها الله، كان يرعى فيها حبيبه محمد ﷺ، بغض النظر عن تقديرها بميزان البشر الزمني، التي أرى عدم الفائدة من تحديدها بدقة. ولعل في الخلاف حولها رحمة.

في هـذه الفـترة كـان الـنبي ﷺ يتطلـع إلى اسـتمرار الـوحي واتصـاله بجبريـل واسـتمرار نعـيم الآيـات الـتي أحـس منهـا

---

(١) انظر: حديث البخاري في **صحيحه**، كتاب بدء الوحي، حديث رقم(٣)؛ وانظر: ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٩٦؛ وانظر : إبراهيم العلي، **صحيح السيرة**، ص٥١.

(٢) ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج٢/٤١٢.

الرحمة والهدى، فكان يتردد على غار حراء وما جاوره، يدور في الوديان وبين الجبال واثقاً بالله متطلعاً لاستمرار الصلة به سبحانه وتعالى وتكرار الوحي، كان الانتظار قاسياً والشوق لآيات الله قوياً والخوف من الله وابتغاء رضاه جعله يخشى ويترقب ويتوجس، وكان الله سبحانه وتعالى مطّلعاً عليه رحيماً به مؤدباً له بقدرته وعلمه وحكمته الإلهية .

وكان من أوائل ما نزل على رسول الله ﷺ بعد ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر].[1]

ثم كان من ما نزل عليه سورة الضحى[2] في قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ

---

(١) ابن كثير، **كتاب التفسير**، ج٢/١٩٣٤.

(٢) محمد أبو شهبة، **الإتقان في علوم القرآن**، ج ١ / ١٠؛ محمد أبو شهبه، **السيرة النبوية**، ج١/٢٨٢

﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى].[١]

ولعل أهم ما فيها أن نعم الله وعنايته برسوله ﷺ كانت معه منذ بداية حياته وقبلها، وأن فضل الله عليه في الدنيا عظيم وفي الآخرة عظيم، وكل دارس لهذه الآيات بدقة في ظل معرفته بالسيرة، يدرك ما فيها من كرامات وخصائص للنبي ﷺ مرتبطة بحياته من أولها إلى أخرها، وبما بعد حياته ﷺ وأن الله لم يودعه ولم يهجره أو يقليه، وان الله سيعطيه وينعم عليه حتى يرضى، وكانت نعمة كبرى على حبيبه ﷺ باستمرار الوحي وتتابعه على الرسول ﷺ.

كان شوق الرسول ﷺ للقرآن ولتعلمه وحفظه شديداً في بداية الوحي، وفي كل حياته، فنزل قول الله تعالي: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة] وقوله تعالي ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه].

(١) ابن كثير، **كتاب التفسير**، ج٢/٢٠٠٥؛ **والسيرة النبوية**، ج٢/٤١٢.

والعجب ممن يحاول جاداً أن يبحث عن سبب تأخر الوحي، وكأن الرسول ﷺ أتى معصية أو أخطأ متناسياً نفي الآيات لهجر الرسول، وأن الله سبحانه وتعالى يسيره برضاه، وأن هذا التأخير في حد ذاته تربيه ومزيد إعداد لرسوله ﷺ وليس عقوبة، كما يحاول بعض من كتب بأسلوب فيه شيء من الجفاء مع حال المصطفى ﷺ. وينبغي لكل من طرق الموضوع التعمق في الحدث من خلال الآيات القرآنية.

بدء الدعوة:

حين نزول سورة المدثر كانت واضحة في أمر الرسول ﷺ بالدعوة إلى الله وإنذار الخلق الذين بعث إليهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾ [المدثر]، إنها الرسالة والدعوة، وما تتطلبه من جد وعمل وإنذار وصبر وطهارة إنه إنذار الخلق وقيادتهم إلى الله وتوحيده، والخلوص من الشرك، والاستعداد لذلك بالطهارة والنقاء والبعد عن الشر، وحب الخير للناس إنه القيام بأمر الله ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ [المدثر]، إنه أمر الله لرسوله بتكبير الله مع العباد.

ومن الطبيعي أن أمر الإنسان بالخير وإن كان لسائر العباد فإنه ينبغي أن يكون مبادراً دون تأخير لأول من يلي الإنسان، وأول وأولى الناس بذلك هي أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) التي كانت واضحة في تصديقها لرسول الله ﷺ منذ بداية الوحي ونزول (إقرأ)، ومع ذلك فقد أكدت إسلامها مرة أخرى بعد الأمر للرسول ﷺ بالإنذار، وبالتالي فإن أم المؤمنين خديجة هي أول من

أسلم وآمن بالرسول ﷺ [١] لم يسبقها بذلك لا ذكر ولا أنثي، كما أنها رضي الله عنها هي أول من صلى مع رسول الله ﷺ. [٢]

كما سارع إلى الإسلام بنات النبي ﷺ، ولذلك فإنهن أسلمن مباشرة مع أمهن خديجة، وخصوصاً الكبار منهن، اقتداء بأمهن وتصديقاً بأبيهن، ولعل الأم لها دور في دعوتهن رضي الله عنهن. وقد نص بعض العلماء على أنه (لما أكرم الله نبيه بالنبوة أسلمت خديجة وبناتها). [٣]

كما كان في بيت النبوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي انتقل إلى بيت النبي ﷺ ليكون في رعاية المصطفي ﷺ، تخفيفاً على والده في عبء النفقه، فأكرمه الله بذلك، وكان من المستجيبين مباشرة لدعوة النبي ﷺ، لم يصل عمره عشَر سنوات فكان أول من أسلم من الصبيان وأقام الصلاة مع الرسول ﷺ وخديجة وبنات المصطفى

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٢٤٠؛ وابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٤٢٦.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١ /٢٤٤. الصلابي، **السيرة النبوية**، ج١/ ١٢٦.

(٣) انظر: محمد أبو شهبه، ج١/ ٢٨٤

ﷺ (١)

وبقاء علي رضي الله عنه في بيت النبوة نال به شرف الحياة مع رسول الله ﷺ قبل مبعثه، واطلع من أموره على ما لم يره غيره وهناك رجل آخر نال شرف العشرة والتعامل مع الرسول ﷺ وهو مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، (٢) الذي آثر البقاء مع رسول الله ﷺ على العودة إلى أهله وقال لأهله: شهدت منه ما يجعلني لا أدعه، حينما رغبوا في دفع ثمن له وأخذه معهم وكان مولى رقيقاً لرسول الله ﷺ فبادر الرسول ﷺ بعتقه ودعاه باسمه، فصار يسمى زيد بن محمد، إلى أن حُرم ذلك بعد الهجر فعاد اسمه "زيد بن حارثه"، (٣) لقد آمن برسول الله ﷺ وصدقه دون تردد، فأصبح كل من هو داخل بيت رسول الله ﷺ مؤمناً به، الزوجة والبنات وابن العم والمولى، فكانوا يصطفون وراء إمامهم رسول الله ﷺ مصلين مصدقين

---

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ١٣٠؛ محمد أبو شهبه، السيرة، ج١/٢٨٤؛ والصلابي، السيرة، ج١/١٣٧.

(٢) ابن أبي شيبة المغازي، ص ١٣٧.

(٣)ترجمته في موضوع المعايشون للنبي ﷺ من هذا الكتاب.

مـؤمنين،[١] وهـذا مـن رحمـة الله لرسـوله ومـن صـدقه، حيث آمن بـه مـن في بيتـه جميعـا، وقـد عرفـوه حـق المعرفـة ولم يترددوا في ذلك.

ومـع كثـرة الكـلام بـين العلمـاء حـول محاولـة ترتيـب المسـلمين الأوائـل[٢] فـإني لا أشـك أن كـل مـن في بيـت الرسـول ﷺ أسـلموا وآمنـوا قبـل غيرهـم، وأولهـم خديجـة رضـي الله عنهـا قبـل نـزول سـورة المـدثر عليـه، ولا يسـتبعد إسـلام بقيـة مـن في بيـت النبـوة في وقـت واحـد، فمـن الـراجح أنـه عرضـت علـيهم الـدعوة في وقـت واحـد، بعـد خديجة ولا يلزم العرض عليهم منفردين على حدة.

وأول من أسلم وآمن برسول الله ﷺ من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه،[٣] وهو صاحب رسول الله ﷺ منذ وقت مبكر، ربطتهما علاقة خاصة، عرف كل منهما صدق الآخر وجربه وعرف أمانته،[٤] وكأن الصديق ينتظر مثل هذا

(١) انظر: **حديث البخاري في فضائل الصحابة**، رقم ٣٦٦١؛ وابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٤٣٧.

(٢) انظر: إبراهيم العلي، صحيح السيرة، ص ٥٣.

(٣) انظر : ابن أبي شيبة، المغازي، ص : ١٣٠.

(٤) انظر: فضائل الصحابة عند البخاري في **صحيحه**، باب مناقب أبو بكر

الأمر من رسول الله ﷺ، وقد استعدّ نفسياً لقبول دعوة الرسول ﷺ دون أي تلكؤ كما قال ﷺ: ((ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عكم حين دعوته ولا تردد فيه))[(١)] إنه صاحب رسول الله ﷺ بنص القرآن هاجر معه بعد ذلك ونزل فيه قوله تعالي: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة].[(٢)]

وكأني بهذه الآية لا تخص الهجرة وحدها، إنه ثاني اثنين في الإيمان برسول الله ﷺ وتصديقه واتباعه. ولم يكن إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه[(٣)] إسلاماً عادياً يتوقف

الصديق، (٥ / ١٩٢).

(١) انظر: الذهبي، السيرة النبوية ن ص ١٣٦؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١/٩٥.

(٢) انظر فضل الصديق، عند البخاري في صحيحه، وعند مسلم في صحيحه، وانظر: **تفسير ابن كثير**، ج١/٨٨٣.

(٣) انظر: **البخاري**، باب إسلام أبي بكر رضي الله عنه، ج٤/٢٤٠.

عند صاحبه، بل كان رجلاً مباركاً تحرك منذ إسلامه داعية للإسلام ولرسول الله ﷺ، كان ينتقى الرجال الصادقين العقلاء ليدعوهم إلى الإيمان برسول الله ﷺ، وقد أسلم على يد أبي بكر ﷺ معظم العشرة المبشرين بالجنة ومنهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد أبي وقاص، والمقداد بن الأسود وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين.[١]

وقد أخذ الإسلام ينتشر سراً بين قريش، وزاد عدد المسلمين وكان بعض المسلمين لا يعرف بإسلام الآخر، وكل من أسلم يعمل داعية لله ورسوله ﷺ، ويعرض الإسلام على من يثق به ممن حوله،[٢] وقد بدأ خبر إسلام هؤلاء ودعوة الرسول ﷺ يتسرب إلى رجالات قريش،[٣] لكن عدم جهر الرسول ﷺ بالأمر وعدم

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص١٢٥ـ ١٣٨؛ ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٢٥٠.

(٢) صالح الشامي، **من معين السيرة**، ج١/١٩٨.

(٣) ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ص ١٩٨.

عيبه أصنامهم في هذه المرحلة جعل زعماء الكفر في قريش يسكتون ويتغاضون، رغم خروج أخبار الدعوة بحدود.

كان المسلمون الأوائل من أشراف مكة[١] وفيهم من المستضعفين من أمثال بلال بن رباح وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت وعبد الله بن مسعود، وكان معظم المسلمين من الشباب.

كما كان فيهم عدد من النساء، منهن أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وفاطمة بنت الخطّاب، وفاطمة بنت المحلل، وفكيهة بنت يسار، ورملة بنت أبي عوف، وأمينة بنت خلف زوجة خالد بن سعيد بن العاص، وسمية أم عمار (رضي الله عنهم أجمعين) وغيرهن،[٢] ومن الملاحظ أن معظم هؤلاء المسلمات تأثرن بإسلام أزواجهن، وبالتالي تكونت بيوت وأسر مسلمة وسط

---

(١) انظر: **إحصائية محمد شاكر في عدد المسلمون الأوائل**، (التاريخ الإسلامي، السيرة النبوية) حيث غلب الأشراف على المستضعفين في الإسلام، ص ٥٨؛ ومن **معين السيرة**، صالح الشامي، ص ٣٩.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٢٥٦؛ وانظر: إبراهيم العلي، **صحيح السيرة**، ص ٥٤؛ وصالح الشامي، من **معين السيرة**، ص ٣٨.

مجتمع مكة الكبير.

وخلال سنوات ثلاث من الدعوة أسلم ما يقارب الأربعين من الرجال والنساء أشرافاً ومستضعفين، أحراراً وأرقاء، [١] ويمكن أن يكون العدد أكبر من ذلك لوجود مسلمين لا يعرف بعضهم بعضا، والغالبية منهم كانوا من أشراف أهل مكة وشبابها وذوي النسب فيهم. [٢]

كان الرسول ﷺ من البداية يتوقع شراً من المشركين وشديد أذى لأتباعه وله ﷺ، ولذلك كان تحركه حذراً، وكان الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر الصديق ﷺ حريصين على أن يفدوا رسول الله ﷺ بأنفسهم، ولذلك كانوا يباشرون الدعوة بأنفسهم دون أن يلزم ظهور رسول الله ﷺ إلا عند الحاجة والقناعة من المدعو، فيؤتي به لرسول الله ﷺ، [٣] مع أنه لم يتوقف بنفسه عن

---

(١) من رواية مسلم عن عمر بن عنبه، حديث رقم: ٨٣٢؛ وانظر: تخريجه عند إبراهيم العلي، **صحيح السيرة**، ص ٥٥؛ وانظر: ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٤٣٦.

(٢) صالح الشامي، من **معين السيرة**، ص ٤٠

(٣) انظر: ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٤٣٨.

الـدعوة فكـان العمـل مشـتركاً.[١] وكـان المسـلمون الأوائـل يشـاركون بعضـهم في تـلاوة القـرآن والصـلوات مخـتفين في الشـعاب والأوديـة والبيـوت،[٢] وقـد عرفـوا مـن خـلال تـلاوة القـرآن والسـماع مـن الـنبي ﷺ أن أتبـاع الأنبيـاء يتعرضون للأذى والقتل.

كـان الرسـول ﷺ يربـى أصـحابه علـى التوحيـد وإخـلاص العبـادة لله تعـالى وحمـل هـم البشـرية وربطهـا بخالقهـا وإنقاذهـا مـن الشـرك،[٣] والاسـتجابة الكاملـة لله تعـالى ونزاهـة القلـوب، وحـب الخـير للنـاس، وتقـوى الله والرغبـة فيمـا عنـده، وابتغـاء الـدار الآخـرة، واتخـاذ الأسباب والتوكل على الله.

وفي هذه المرحلة كان ضمن الداخلين في الإسلام الأرقم بن أبي الأرقم، فكانت داره ملتقى للمؤمنين برسول الله ﷺ وبعضهم ببعض، فيها ينهلون من نبي الرحمة مباشرة، كان النظر إلى الرسول ﷺ والجلوس معه والاستماع إليه نعمة عظيمة صعبة التحقيق، إن لم تكن في مكان محدد بعيداً عن أعين

(١) انظر: ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/١٩٩.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٢٤٦، ج١/٢٦٣.

(٣) انظر: علي الصلابي، **السيرة النبوية**، ج١/١٤٤.

قريش، وخطرها المحدق بالرسول ﷺ، إنه المربي الذي يحتاج إلى جو خاص ليتلو عليهم كتاب الله تعالى وليروا بأنفسهم أحياناً نزول الوحي عليه ﷺ، فكان هؤلاء نواة امة الإسلام الكبرى التي ضربت في كافة أنحاء الأرض حتى اليوم الحاضر، إنهم دعاة الخير وحملته للبشرية: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف].

استمرت مرحلة الدعوة الأولى ثلاث سنوات وقد عرفت بمرحلة الدعوة السرية[1] كان المؤمنين جميعاً ينتظرون مراحل قادمة في الدعوة، تتطلب منهم الاستعداد للبذل والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله، وقد عرفوا أن ذلك من سنن الله مع الأنبياء وأتباعهم، وتربوا على أوائل ما نزل من السور المكية من القرآن الكريم، كما كان الرسول ﷺ يرعاهم ويحن عليهم﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[الشعراء].

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١/٢٦٢.

بعد مضي ما يقرب الثلاث سنوات من الدعوة إلى الإسلام وانتشاره بين بطون قريش وشدة تكتم المسلمين حتى أن بعضهم لا يعرف بعضاً،[١] نزل عليه ﷺ قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [الشعراء]، جاء أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بإظهار دعوته وإنذار قومه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر].[٢]

فخرج رسول الله ﷺ إلى الحرم وهو منطقة فضاء، وصعد على الصفا حيث ارتفع على الصخرة وأشرف على المكان، وأخذ ينادي الناس (وا صباحاه).[٣] وكان

(١) انظر: أكرم العمري، **السيرة النبوية الصحيحة**، ج ١ / ١٤٠

(٢) انظر: **تفسير ابن كثير**، ج١/١٠٥٣.

(٣) من رواية للبخاري في صحيح، كتاب التفسير، باب سورة تبت يدا أبي لهب

هـذا الأسـلوب متبعـاً عنـد العـرب للـدعوة للاجتمـاع والاسـتماع لمتحـدث في أمـر هـام وخطـير عنـد الإحسـاس بـذلك، وأخـذ ﷺ ينـادي في قـريش: ((يـا بـني فهـر، يـا بـني عبـد منـاف، يـا بـني عبـد المطلـب، يـا بـني فـلان، يـا بـني فـلان، حتـى اجتمـع القـوم فقـال أرأيـتم إن أخـبرتكم أن خـيلاً تخـرج مـن سـفح هـذا الجبـل أكنـتم مصـدقي؟ فقـالوا مـا جربنـا عليـك كـذباً، لقـد كانـت تلـك شـهادة عامـة مـن الجميـع بصـدق الرسـول ﷺ فقـال ﷺ: فـإني نـذير لكـم بـين يـدي عـذاب عظـيم، فكـان في الحضـور عمـه أبـو لهـب فـرد عليـه بعنـف وقسـوة وتجـبر: ((تبـاً لـك سـائر هـذا اليـوم! ألهذا جمعتنا)).[1]

فنزل رسول الله ﷺ وقد بلغ علناً أمام أهل مكة جمعاء أمر ربه، وكان رد أبي لهب وهو عمه ومن أقرب الناس إليه رداً قاسياً عنيفاً صعباً وأنزل الله على رسوله ﷺ وفيه آيات تتلى إلى يوم القيامة ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣

وتب، (٦/٩٤).

(١) انظر: ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/٢٠٠، وإبراهيم العلي، **صحيح السيرة**، ص ٥٦.

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥ ﴾ [المسد]. لم يكن موقف العناد خاصّاً بأبي لهب، بل شاركه فيه امرأته التي استمر أذاها للرسول ﷺ.[1]

كما أنه ﷺ قال في تلك الدعوة الأولى: "يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغنى عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئتِ من مالي لا أغنى عنك من الله شيئاً".[2] كان كلام رسول الله ﷺ واضحاً وقوياً وهو يدعو إلى الله وأنه نذير ولن ينفع أحد إلا الصلة بالله وطلب رضاه، وأن قرابتهم له لن تنفعهم وحدها ولا يملك رسول الله ﷺ شيئاً لمن لم يطلب رضا الله بالإيمان والتوحيد والتصديق.

لقد كانت هذه الدعوة قوية منذ البداية، ذات صدى عال، وصلت أسماع القوم الذين كان أغلبهم معاندين منذ البداية، وربما سمعوا بهذه الدعوة سابقاً وقبل موقف يوم الصفا، لكنهم تريثوا في الرد، وقد كانت

---

(١) انظر: ابن سعد، **السيرة النبوية من الطبقات**، ج١/٢٠٠.

(٢) انظر: **صحيح البخاري**، تفسير سورة الشعراء، باب وانذر عشيرتك الأقربين، ج٦/١٦، وانظر: التخريج عند إبراهيم العلي، **صحيح السيرة**، ص ٥٦.

شـهادة القـوم بصـدق الرسـول ﷺ وأنهـم مـا علمـوا عليـه كـذباً قـط مقدمـة حقيقـة وواقعيـة تفيـد بـأن مـا جـاء بـه صـدق وامتــداد لتــاريخ صــادق لم يجــرب عليــه ولا يتوقــع منــه كــذب قــط ، وبالتــالي فــإن المعانــدين الــذين تقــدمهم أبــو لهـب في الـرد علـى رسـول الله ﷺ كـانوا يعرفـون صـدقه ولا يشـكون فيمـا قـال ، لكـنهم اختـاروا طـرق التكـبر والكفـر والعنـاد ، وأصـبحوا خصـوماً لرسـول الله ﷺ منـذ البدايـة ، ولدعوتـه الصـادقة وهـو الصـادق الأمـين ، كمـا عرفـوه قبـل ذلـك. وقـد ظهـرت مـن كـثير مـنهم علامـات التهديـد وإن لم تنقل لنا صراحة ، لكنها متوقعة في مثل هذا الموقف.

ومـا نقـل عـن أبـي لهـب لا ينفـي حـالات أخـرى غـير مسـتبعده لآخـرين في هـذا الموقـف ، كمـا أن هـذا الإعـلان عـن الـدعوة لم يتوقـف عنـد حـدود مكـة ، حيـث تناقـل الركبـان الخبر ، وكـان لـه أثـره خـارج مكـة في البـاحثين عـن الحق.

وقــد وردت روايــات أخــرى مفادهــا أن الرســول ﷺ جمـع عـدداً مـن أهـل بيتـه قرابـة الـثلاثين مـنهم ، وصـنع لهـم طعامـاً فلمـا أكلـوا وشـربوا حـدثهم الـنبي ﷺ قـائلاً : إنـي بعثـت لكـم خاصـة وإلى النـاس بعامـة وقـد رأيـتم مـا رأيـتم

فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي، فلم يقم إليه أحد منهم سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان أصغر القوم سناً وأرجحهم عقلاً وأكثرهم علماً وإيماناً.(١)

وقد يكون حدوث هذه الواقعة بعد دعوته العامة في الصفا، وهي الأرجح، وقد تكون قبلها مباشرة، وعلى كل فدعوته لعشيرته الأقربين وصدعه لقريش وكافة الناس كانا متقاربين وربما لا يفصل بينهما سوى أيام.

وبهذا ينتهي هذا القسم من هذه الكتاب، ويليها بإذن الله تعالى القسم الثاني الذي بدايته أذى المشركين للرسول ﷺ، وما لقي منهم.

(١) انظر: ابن إسحاق، **السيرة النبوية**، ص ١٢٧؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج١/٤٥٦.



رسول الله وخاتم النبيين
دين ودولة

القسم الأول

علم السيرة النبوية
العالم والمصطفى والوحي

- السيرة النبوية علم بذاته ومفتاح لعلوم متعددة، من خلاله يتعلم المسلم الأخلاق وتطبيقها والعقيدة وأصولها، والأحكام الشرعية والآداب المرعية، والعدل، والنظم الإسلامية وسياساتها الشرعية، والحقائق عن حياة الرسول ﷺ.

- يتعلّمها المسلم مع كثير من الحقائق الجغرافية لبلاد العرب عموماً والحجاز خصوصاً وسائر العالم الذي ارتبطت به أحداث السيرة وما له صلة بعصر النبوة، يعيشه بعلمه وعقله وروحه ووجدانه، كأنما يشاهد مجالسه ومن يحفُّ به من الصحابة، ويسمع آيات الله من فِيْهِ ﷺ، يرى عطفه وشفقته، مع شجاعته.

- المتعلم لسيرة النبي ﷺ ومصادرها الصحيحة يدرك ما صح من الروايات. ومختلف مراحل حياة الرسول ﷺ وتدرجه في دعوته دعوته مع الواقع ورحمته للناس.

- كما يرى معرفة أهل الديانات السماوية ببعثته وما جاء به وانتظارهم له ﷺ.

رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ونصرته

كرسي المهندس عبد المحسن الدريس للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة